١٠٦٦

حقيقة المسيح

إنسان أم أسطورة
أم المسيح المنتظر؟

رايس بروكس

حقيقة المسيح

تُعدُّ دراسةُ يسوعَ المسيحِ من الناحيةِ التاريخيَّة مجالاً بحثيًّا واسعًا، سواء بين المؤمنين بأنَّ يسوعَ هو المسيحُ المنتظر، أم الدارسين الذين يسعَونَ إلى إبرازِ التحدِّياتِ في الإيمانِ المسيحيِّ.

وفي هذا السِّياقِ، يقول د. رايس بروكس إنَّه في أثناء تأليفِ هذا الكتاب، أمضى مئاتِ الساعات في الاستماع إلى عروضٍ من مشكِّكين، وقراءة كتبٍ ألَّفها أكثرُ المفكِّرين المُلحدين المتحمِّسين في زمننا. وبينما كان يتأمَّل في كتاباتهم، كان هدفه التحقُّق من عدم وجودِ شكوكٍ أو اتِّهاماتٍ في قلبه وذهنه ضدَّ الله تحملُ تحدِّيًا ما.

ولا شكَّ أنَّها مهمَّةٌ صعبةٌ أن نستمعَ في هذه الأيَّام إلى تعليقاتٍ لا حصر لها تُقدَّم بغرضِ التَّشكيك المقصود في الإيمان. لكنَّ المؤلِّف استعرضَ في هذا الكتاب برهانًا مبنيًّا على بحوثٍ معَمَّقة، كما استعانَ بعددٍ من الخبراء في عدَّة مجالاتٍ ذات صلة، وقد أطلقَ عليهم اسمَ "فريق الأحلام"، فاستطاعَ بذلك أن يردَّ بأسلوبٍ عقلانيٍّ متَّزنٍ على الحُجج والتحدِّياتِ التي تواجِهُ الإيمانَ المسيحيَّ.

حقيقة
المسيح

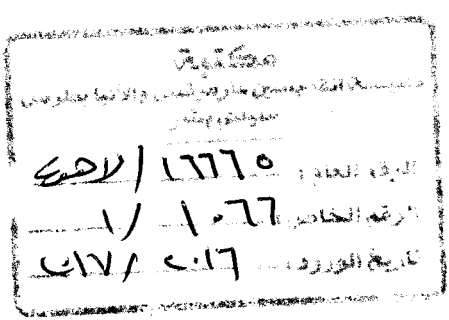

حقيقة المسيح

إنسان أم أسطورة أم المسيح المنتظر؟

رايس بروكس

ترجمة

ماجد صبحي زاخر

أوفير
ophir

Originally published in Nashville, Tennessee, by W Publishing Group, an imprint of Thomas Nelson under the title: **Man Myth Messiah**.

Copyright © 2016 Rice Broocks

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means electronic, mechanical, photocopy, recording, scanning, or other except for brief quotations in critical reviews or articles, without the prior written permission of the publisher.

Arabic Edition Copyright © 2016 by **Ophir Printers & Publishers**.

Published by arrangement with Thomas Nelson, a division of HarperCollins Christian Publishing, Inc.

حقيقة المسيح
الطبعة العربية الأولى ٢٠١٦م
حقوق الطبع محفوظة

أوفير للطباعة والنشر
ص.ب. ٣٠٦٢، عمان ١١١٨١، الاردن
هاتف: ٣٣٨١ ٤٦٣ ٦ ٩٦٢+، فاكس: ٣٣٨٥ ٤٦٣ ٦ ٩٦٢+
Email: info@ophir.com.jo
www.ophir.com.jo

رقم الإيداع: ----------
ISBN 978-90-5950-247-5

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

المحتويات

تقديم ٧

المقدِّمة: إنَّه الأمرُ الأروَع ١١

الفصل الأوَّل: إنسانٌ أم أسطورةٌ أم المسيح المنتظر؟ ٢٣

الفصل الثاني: الحدُّ الأدنى من الحقائق ٤٣

الفصل الثالث: يمكنُنا الوثوق بالأناجيل ٦١

الفصل الرابع: الصَّلْب: لماذا كان على يسوع أن يموت ٨٣

الفصل الخامس: القيامة: الحدثُ الذي غيَّر كلَّ شيء ١٠٣

الفصل السادس: تبديدُ الأساطير: تفرُّد قصَّة يسوع ١٢٣

الفصل السابع: يسوع هو المسيح المنتظر: ابن الإنسان، ابن الله ١٤٥

الفصل الثامن: المعجزات: برهانُ ما هو فائقٌ للطبيعة ١٦٩

الفصل التاسع: تبعيَّةُ يسوع: تلبيةُ الدعوة إلى التلمذة ١٨٩

الفصل العاشر: المدافعون عن الإيمان: مستعدُّون لمشاركة الإنجيل ٢١٣

الخاتمة: بما لا يدعُ مجالًا للشكِّ ٢٣٧

شكر وعرفان ٢٤٥

الملاحظات ٢٤٩

لمحة عن المؤلِّف ٢٥٩

تقديم

من الثقافة الشعبيَّة إلى دوائر العهد الجديد، يُمكن القَولُ إنَّ موضوعَ يسوعَ التاريخيِّ هو أبرز المواضيع في الوقت الحاضر. وقد كان كذلك على مدى العقدَين أو الثلاثة الماضية. ومنذ ثمانينيَّات القرن العشرين، انخرطَ عُلَماء في ما اصطُلحَ على تسمِيَته: "البحث الثالث عن يسوع التاريخيّ" (Third Quest for the Historical Jesus)، بدايةً بالحركة الألمانيَّة الأولى في القرن التاسع عشر.

يخطو د. رايس بروكس (Rice Broocks) إلى هذا المجال المعاصر بتأليفه هذا الكتاب الذي بين أيدينا، وفيه يُطلع القُرَّاء على نظرة عامَّة شائعة إلى بعض الأمور والأسئلة الأساسيَّة التي تَحظى باهتمامٍ حاليّ، وهي تربطُ يسوع المسيح بالتاريخ. غير أنَّ هذا النصّ لا يبخل بمشاركة بعضٍ من الأفكار العلميَّة والاقتباسات المهمَّة التي تَضَعُ المناقشات الحاليَّة في إطارها الصحيح.

وبهدف تحقيق هذه المهمَّة، ينطلقُ د. بروكس من المبادئ الأساسيَّة، وصولًا إلى أمورٍ أكثر تخصُّصًا. وفي أثناء هذه العمليَّة، يطرَحُ الكثيرَ من الأسئلة والمواضيع الرئيسيَّة، ويقدِّمُ أحدث المناهج ويتناولها بالتَّفصيل.

وتَتَضافَرُ كلُّ تلك الجُهود لِتَجْعَلَ من هذا الكتابِ دليلًا قيِّمًا للدِّراسات المعاصرة، كما أنَّه دليلٌ لبياناتٍ إضافيَّة يمكن أن تُسهِمَ في تَناوُل الأسئلة الكثيرةِ التي تتزايدُ باستِمرارٍ حول هذا الموضوع.

في إطارِ طَرحِ هذا الموضوع، يأتي د. بروكس بمجموعةٍ فريدةٍ من الخصائص المفيدة إلى هذا المشروع؛ فهو راعٍ لكنيسةٍ متعدِّدة الأعراق في ناشڤيل، تَنيسي

(Nashville, Tennessee)، مع خدمة ممتدَّةٍ حول العالم تستهدفُ الوُصولَ إلى طُلَّاب الجامعات، وهو أيضًا مؤلِّفٌ لعددٍ من الكتب، وحاصل على درجة الدكتوراه من كُلِّيَّة لاهوت فولر (Fuller Seminary). وفضلًا عن ذلك، من الجليِّ أنَّ لدى رايس دافعًا قويًّا للإسهام في بناء ملكوت الله؛ فالكِرازةُ هي ما تجعلُ نبضَ قلبِه مستمرًّا، وهو يُدركُ تمامًا أنَّ الكرازة لا يُمكن أن تُبنى سوى على أساسٍ من المعرفة. لذا ليس هناك بديلٌ عن الحقِّ المؤسَّس الذي يُنتجُ عملًا هادفًا. وأيُّ تقصيرٍ في كلا الجانبَين قد يكونُ كارثيًّا للخدمة المسيحيَّة. ومن هنا، فهذه هي المرَّة الثانية التي يكون فيها أحدُ كتبه أساسًا لفيلم طويل.

لأسباب مثل هذه، يضَعُ د. بروكس أساسًا مسيحيًّا يمكن منه أن نشرَع في العمل في العالم، ويتَّضحُ ذلك حين يقدِّم في الثلاثة الفصول الأولى مواضيع التاريخ، و"منهج الحدِّ الأدنى من الحقائق" (Minimal Facts Method)، وموثوقيَّة الكتاب المقدَّس، وتقدِّمُ الفصولُ الثلاثة التالية بعضًا من الأساس التاريخيِّ لصَلْب يسوع المسيح وقيامته، فضلًا عن تسليط الضَّوء على تفرُّده. ويُخصَّصُ الفصلان السابع والثامن لألوهيَّة يسوع وحقيقة العالم الفائق للطبيعة.

وبعد أن يضع هذا الأساس، ينتقلُ إلى حاجة المؤمن بالمسيح إلى الانخراط في التلمذة والكرازة، وكما ذُكِر سابقًا، توفِّرُ الأساسات الجيِّدة أرضًا صلبةً للانطلاق نحو نشاطٍ عمليٍّ راسخ، وهو الأمر ذاته الذي كان في العهد الجديد أيضًا.

ولنضرِبْ مثلًا أو اثنين من الكثير من الأمثلة التي يمكن الإشارة إليها هنا. قال بولس الرسول إنَّه حين وعظ أهل كورنثوس، قدَّم أوَّلًا رسالة الإنجيل، وحين عُرِّف الجانب المتعلِّق بحقائق الإنجيل في العهد الجديد، ذُكِرت ألوهيَّة المسيح جنبًا إلى جنبٍ مع موته وقيامته. وبعدَ وَضْع هذا الأساس، شجَّع الرسولُ على التعهُّد ليسوع المسيح في ١كورنثوس ١٥: ١-٢. وبالمثل، حين قدَّم بطرس الرسول أولى عظاتِه في يوم الخمسين، والتي كانت بدايةَ الكنيسة، وضع هو أيضًا الأساسَ التاريخيَّ

للإنجيل قبل أن ينتقلَ إلى الرسالة العمليَّة للكرازة (أعمال ٢: ٢٢-٤١).

وهذا هو المنهَجُ المُتَّبع في هذا الكتاب؛ إذ يضَعُ د. بروكس الأساسَ قبل شَرْحِ عملِ الله في الإصلاح، وهو قائدٌ ذو كفاءةٍ عالية في هذه المجالات، ولديه قلبٌ يتوق إلى تطبيق ما يعلِّمُه أيضًا. فمثلًا، في الفصل الثاني، يُظهر للقارئ مدى قوَّة الحدِّ الأدنى من الأساس التاريخيِّ للمسيحيَّة، الذي يقبل حقائقه الأساسيَّة حتَّى العُلَماءُ المتشكِّكون. وما دامَ الأمرُ كذلك، فلماذا لا يتَّخذ شخصٌ ما الخطوةَ التالية ويُقِرُّ بإيمانِه؟

لأسباب مثل هذه، أنصحك جدًّا بقراءة هذا الكتاب؛ لأنَّه مرجِعٌ قويٌّ للإجابة عن أسئلةٍ صعبة، كما أنَّه يعزِّزُ المناداة برسالة الإنجيل، والاستعداد لمشاركة هذه الحقائق مع آخرين. وغنيٌّ عن القول إنَّ د. بروكس مُرشدٌ متمكِّنٌ قادرٌ أن يقودَنا إلى مقصِدِنا بأمان. وليسَتْ هناك رسالةٌ في الحياة أعظمُ من أنَّ المناداة بالإنجيل هي أمرٌ حقيقيّ، وأنَّ رسالةَ الإنجيل تُجيبُ عن أعمق أسئلتنا واحتياجاتنا، علاوةً على نتيجتها المتمثِّلة في حياة أبديَّة لكُلِّ مَن يؤمن.

غاري آر. هابيرماس (Gary R. Habermas)،

أستاذ كرسيٍّ ورئيس قسم الفلسفة واللاهوت، جامعة ليبريتي (Liberty University)

المقدِّمة

إنَّه الأمرُ الأروَع

بينما كنتُ أقفُ منتظرًا دَوري لأدفعَ ثمنَ مُشتَرياتي من محلِّ البقالة، التقطتُ على غير عادتي مجلَّة؛ إذ لم أستَطعْ مقاوَمة قراءة ما كتبَتْه مجلَّة نيوزويك (Newsweek) عن يسوع المسيح في مقالتها الخاصَّة بعنوان "الأشخاصُ المئة الذين شكَّلوا عالمنا" (The 100 People Who Shaped Our World)، وتوقَّعتُ أنَّ ما كتبَتْه نيوزويك عن يسوع المسيح هو كلامٌ غير جيِّد؛ إذ كانت الكتابة من مَنظورٍ متشكِّكٍ مع القليل جدًّا من التَّظاهُر بمحاولة إخفاء التحيُّز. وبينما يُتوقَّعُ من أيِّ كاتبٍ أن يُبديَ احترامًا لدى كلامِه عن دينٍ آخر أو شخصيَّة دينيَّة موقَّرة، فالاستنثاءُ هو في حالة يسوع المسيح؛ إذ يشعر الناسُ لسببٍ مُبهَم بالحرِّيَّة لقَذفِه وتَشويهِه وإعادة تصوُّره كما يحلو لهم. وفي هذه المحاوَلة المقتَضَبة لتلخيص حياته وتأثيره، أوصَلَ المقالُ الفكرةَ النمطيَّة بأنَّنا غير قادرين حقًّا على معرفة الكثير بشأن يسوع تاريخيًّا.

إنَّ تأثير يسوع الناصريِّ، الواعظِ المتجوِّل والذي صارتْ تعاليمُه أساسًا لأحد أكثر أديان العالم ممارسةً، لهو تأثيرٌ لا يقبل الجدل. غير أنَّ طبيعةَ الرَّجُلِ كانت مَوضع جَدَلٍ واسع، لا سيَّما عند النَّظرِ إليه بواسطةِ عدسات العلماء الذين يبتعِدون أكثر وأكثر من الحِقبةِ الزمنيَّة التي عاشَ يسوع فيها.

وأكثر ما صدمني في ذلك المقال هو الإشارة في نهايتِه إلى كتابٍ من تأليف عالم الاجتماع رضا أصلان (Reza Aslan) لَمَنْ يرغبُ في تعلُّم المزيد عن يسوع. فمن وسط كلِّ الكُتَّاب والكتب التي ألَّفَها لاهوتيُّون مسيحيُّون كان في وُسعِ

نيوزويك الإشارةُ إليهم، وجَّهتِ القارئ إلى كاتبٍ مُسلِمٍ لا يؤمنُ بموثوقيَّة الأناجيل، وينكر لاهوتَ يسوع. ولا أقول هنا إنَّه لا يمكن أن يكتبَ شخصٌ مُسلِمٌ عن يسوع المسيح، بل أقولُ إنَّه كان ينبغي على الأقلِّ أن يُشار إلى شخصٍ يكتبُ من منظورٍ مسيحيٍّ. لكنْ يبدو أنَّ الصحافةَ العادلةَ والمتوازنةَ قد ولَّت.

ويتَماشى هذا مع المسار العامِّ حينما يتعلَّق الأمر بأغلبيَّةِ التصوُّرات عن يسوع المسيح في الإعلام العَلْمانيِّ، إذ تُنحَّى المنهجيَّةُ التاريخيَّةُ المتَّسقة جانبًا لمصلَحةِ خطابِ التشكيك. هذا فضلًا عن النزعةِ الغريبة حينما يتعلَّق الأمرُ بالكتابة عن يسوع، وتتمثَّل هذه النزعةُ في أنَّه إذا دعا شخصٌ ما نفسَه مسيحيًّا ملتزِمًا، يصيرُ غير مؤهَّلٍ لأنْ يكونَ متحدِّثًا موثوقًا. ولا أستطيع التفكير في أيِّ حقلٍ معرفيٍّ آخر لا تُعدُّ فيه مثل هذه النزعةُ غير معقولةٍ، إذ يشبه ذلك القَول إنَّك لو كنتَ أميركيًّا لا يمكن أن يوثقَ بك لتتكلَّمَ بموثوقيَّة عن الحقائق الصحيحة من التاريخ الأميركيّ.

وقد ساهَمَ هذا النوعُ من العَرْض المنحَرفِ في تحوُّلٍ كبيرٍ في المعتقدات الدينيَّة لدى فئةٍ من الأميركيِّين، لا سيَّما أولئك دون سنِّ الثلاثين. وقد سُمِّيتْ هذه الظاهرة "صعود الذين هم من دون..." (The rise of the nones)، ولا سيَّما أولئك الذين يصرِّحون أنَّهم "دونَ" أيِّ انتماء دينيٍّ. ويقول مركز بيو للبحوث (Pew Research Center): "بوُصول دَفعةٍ متزايدةٍ من جيل الألفيَّة ممَّن يصرِّحون بقوَّةٍ أنَّهم دون انتماء دينيٍّ إلى سنِّ البلوغ، هبط متوسِّط عمر البالغين من هذه الفئة إلى ٣٦، بعد أن كان ٣٨ في ٢٠٠٧م، فكان بذلك بعيدًا جدًّا عن متوسِّط العمر في التعداد العامِّ للبالغين وهو ٤٦ عامًا".[١]

ومع أنَّ الأرقامَ ليست بمستوى الإحباط الذي قد يجعلنا بعض الناس نعتقده، فإنَّ هذه النزعة صارت أمرًا لا ينبغي تجاهُلُه؛ إذ كان هناك بالتَّأكيد تآكلٌ في الثقة بمصداقيَّة الإيمان المسيحيِّ، لا سيَّما بين الشباب. وفي قلب هذه الأزمة لا بدَّ من الإجابة بوضوحٍ عن سؤالٍ محدَّدٍ لإيقاف هذا النَّمط المنحدر. والسؤال هو: هل القصَّة المسيحيَّة حقيقيَّة؟

من واقعِ هذه البيانات الإحصائيَّة المقلِقة، ألَّفتُ كتاب "**الله ليس ميتًا: بُرهان الله في عصر التشكيك**" *(God's Not Dead: Evidence for God in an Age of Uncertainty)*، والذي ألهمَ فيلمًا يحمل الاسم نفسَه، والملايين ممَّن شاهدوه سيعرفون معنى أن يكونوا مدافعين عن الإيمان، ولا سيَّما الإيمان بوجود الله. وقد سعى الكتاب والفيلم كلاهما إلى تأسيس حقيقة أنَّ الإيمانَ الحقيقيَّ ليس أعمى، وقد وضعَ كتاب "**الله ليس ميتًا**" برهانَه استنادًا إلى العلم والفلسفة والتاريخ والكتاب المقدَّس.

أمَّا الآن، في التتمَّة "**إنسانٌ أم أسطورةٌ أم المسيح المنتظر**" *(Man, Myth or Messiah)*، فسوف نسلِّطُ الضَّوءَ أكثر على برهان يسوع التاريخيِّ. والتأكيد المركَزيُّ المقدَّمُ هنا هو أنَّ يسوعَ التاريخيَّ هو مسيحُ الإيمان، ويذهب الإيمان المسيحيُّ أبعدَ من الإعلان ببساطة أنَّ الله موجود، إذ يصرِّح أنَّ الله صارَ إنسانًا في يسوع المسيح، وعاش بيننا، وفي نهاية أيَّامه على الأرض، ضحَّى بنفسه من أجل التكفير عن خطايانا، وبعد ثلاثة أيَّام من موته، قامَ من الأموات مُبرهنًا أنَّه ابن الله، المسيَّا الموعود، ومخلِّص العالم.

فالمسيحيَّةُ هي الدِّين الوحيد الذي يَضَعُ ثِقَلَ مصداقيَّته على حدثٍ: القيامة، وهي معجزة فائقةٌ للطبيعة، وستُظهر الفصول التالية أنَّ البرهان المُستَقى من التاريخ، والذي سيقفُ المشكِّكُ حائرًا أمامَه، يؤكِّد أنَّ القيامةَ هي التفسير الواضح، بلِ التفسيرُ الأفضل، للحقائق المقبولة على نحوٍ واسعٍ: إعدام يسوع في عهدِ بيلاطس البنطيِّ، واكتشاف القبر الفارغ من تابِعاته، وتصريحات تلاميذه أنَّهم رأوه حيًّا بعد صَلْبه، والكثير من الأحداث الأخرى. فلو لم يَقُم المسيح، لفقدَتِ المسيحيَّةُ مصداقيَّتها بالكامل، ولما استحقَّتْ حتَّى لحظةً للتفكير فيها، أو كما قال الرسول بولس: "وإنْ لم يكُن المسيح قد قام، فباطلٌ إيمانُكم" (١كورنثوس ١٥: ١٧).

إنَّ الإيمانَ الراسخَ بشأن واقعيَّة القيامة هو الأساسُ الوحيدُ القادرُ على الصمود أمام هجوم التَّشكيك. وهذه الحقيقة هي ما تشير إلى حقائقَ حاسمة أخرى، مثل سلطان الكلمة المقدَّسة، والدور الفريد ليسوع بوصفه المسيَّا والمخلِّصَ، ويقدِّمُ هذا

الكتاب أفكارًا ثاقبةً أساسيَّة تختصُّ بالكيفيَّة التي يشير بها الصَّلْب والقيامة إلى حقيقة أنَّ يسوعَ المسيحَ هو حقًّا المسيَّا الموعود، ويتَّضحُ أنَّ التحدِّيات من الثقافة الشعبيَّة أنَّ قصَّةَ يسوع هي مجرَّد أسطورة أو خرافة إنَّما هي نفسُها أسطورة؛ إذ توجد هذه النوعيَّات من النظريَّات التخمينيَّة بغَزارة في ثقافةٍ تحاول الهروبَ سريعًا جدًّا بعيدًا من الله.

لقد ساعَدَتْ إعادةُ إحياء الفلسفة والدفاعيَّات المسيحيَّة في كَبْح تلك القفزةِ الانتحاريَّة، فها إنَّ الكنائسَ بدأت تُدركُ أنَّ تمكينَ الناس للدِّفاع عن إيمانهم هو بحيويَّة تعليم العقائد الأساسيَّة أو الوعظ برسائل مشجِّعة ومعزِّية يوم الأحد.

ويسعُني القَول إنَّه ما من أحدٍ في تاريخ العالم دُرست حياتُه أو موتُه وخَضَعا للتَّحليل والنقاش والمناداة إلى العالَم مثلما هي الحال مع يسوع المسيح الناصريّ. ويا لها من مهمَّة شاقَّة بكلِّ تأكيد مهمَّة الردِّ على كلِّ النظريَّات والادِّعاءات التي يطرحها النقَّاد! وفي أثناء عمليَّة البحث والكتابة، شعرتُ كثيرًا بأهمِّيَّة الأمر الخطير المتوقِّف على دراسة ما إذا كانت القصَّة حقيقيَّة بالفعل أم كما يؤكِّد المشكِّكون أنَّها مجرَّد مجموعةٍ من الحكايات التي تحاول إيصالَ إيمانِ المسيحيِّين الأوائل. ويبدو أنَّ ملايين الناس هم في عمليَّة إعادة تقييم لمعتقداتهم، وإذا صحَّ الأمرُ، يحتاجون إلى اتِّخاذ قرارات على أساس برهان موثوقٍ، لا مجموعةٍ من الشائعات.

وبغَضِّ النظر عن خلفيَّتِك أو مكانِ ولادتِك، فعليك اتِّخاذ قرارٍ بشأن ما تؤمن به بشأن هذا الإنسان، والتصريح أنَّه ابنُ الله، مخلِّصُ العالم. وبسبب ثِقَل الموضوع المطروح ووقاره، حاولتُ تجنُّبَ التشبيهات والاستعارات اليوميَّة التي هي جزءٌ من أسلوبِ تواصلي، خَشيةَ أن تهوِّن جُهودي عددًا من الجوانب المهمَّة في القصَّة. غير أنِّي في النهاية تخلَّيتُ عن هذا التفكير، وكان السبب الأكبر وراء ذلك هو في إدراك أنَّ على كلِّ تابعٍ للسيِّد المسيح أن يوصِلَ إيمانَه بشخصيَّته ولُغتِه. وسواء كان الأمرُ كتابةً أم محادَثةً، فإنَّنا نُخبرُ الآخرين بسبب إيماننا، والتأثير الذي كان للإيمان في حياتنا وفي العالم من حولنا. وهذا ما حدثَ على مدار ألفَي عام، بدءًا

من شهاداتِ متَّى ومرقس ولوقا ويوحنَّا، الرجال الذين دوَّنوا السيرة الأولى لحياة يسوع، وصولًا إلينا بعد المرور بآخرين على مدى أكثر من خمسين جيلًا.

إجابةُ السؤال العظيم

لقد سُمِّيتِ المهمَّةُ المشتركة الخاصَّة بالمناداة بهذه الرسالة "**الإرساليَّة العُظمى**"، وهي التعبير الذي وضعه لاهوتيُّون ومرسَلون لِوَصف المسؤوليَّة التي وضعَها يسوع المسيح على عاتق تلاميذه ليذهبوا إلى جميع الأمم ويتلمِذوهم (متَّى ٢٨: ١٩-٢٠). أمَّا **الوصيَّة العُظمى** فهي التعبير المستَخدَم للوصيَّة التي تركَها يسوع لنا لنحبَّ الله ونحبَّ قريبنا (متَّى ٢٢: ٣٥-٤٠)، لذا فقد يكونُ من الملائم وَصْفُ السؤال الذي طرحَه يسوعُ على تلاميذه "وأنتم، من تقولون إنِّي أنا؟" (متَّى ١٦: ١٥) **بالسؤال العظيم**. ومن دون شكٍّ، هذا **أعظَمُ** سؤالٍ في التاريخ؛ لأنَّ الإجابةَ عنه تؤثِّر في كلِّ شيءٍ. وإذا كان تركيزنا منصَبًّا على الإرساليَّة العظمى والوصيَّة العظمى، أفلا ينبغي أن نوليَ أيضًا اهتمامًا مساويًا للسؤال العظيم؟

في الكتاب المقدَّس، جاءت لحظةُ ذلك السؤال المهمِّ فجأةً، مثل اختبارٍ مفاجئٍ يُعطى في صفٍّ دراسيّ، إذ طُرح هذا السؤال بعدَ سلسلةٍ من الأحداثِ المذهِلة: يسوع يشفي العُمي والعُرج، ويُطعم معجزيًّا خمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتَين (ثمَّ يمشي على الماء)، وبعدها يُطعِمُ جَمْعًا آخرَ من أربعة آلافٍ من سبعة أرغفة والقليل من السمك.

تُسمَّى هذه المعجزات في إنجيل يوحنَّا "آيات"، وتشير الآية (أو العلامة) إلى أمرٍ ما. فحين ترى علامةً كُتِبَ عليها "خروج" (Exit)، فإنَّك تَفهَمُ ضِمنًا أنَّها تشير إلى بابٍ يمكنك السير عبْره، وكانت هذه الآيات تشير إلى حقيقة أنَّ يسوع ليس إنسانًا عاديًّا، بل كان الموعودَ، ابنَ الله. وبعد ذلك طرحَ يسوعُ السؤالَ العظيمَ قائلًا: "وأنتم، من تقولون إنِّي أنا؟"، وكان الصوت الوحيد الذي أجاب فورًا هو بطرس

التلميذ الصريح، إذ قال: "أنت هو المسيحُ ابنُ اللهِ الحيِّ" (متَّى ١٦: ١٥-١٦). ولو لم يكُن هذا التصريح حقيقيًّا، لصحَّحَ يسوع فَورًا مثل هذا التصريح المجدِّف المتهوِّر؛ فما كان لنبيٍّ حقيقيٍّ من الله أن يسمحَ باستمرارِ سوء فهمٍ فظيعٍ مثل هذا.

لم يصحِّح يسوعُ بطرس، ولا انتَهرَه بسبب إعلانه المذهل، بل امتدحَه بقَوله: "طوبى لكَ يا سمعان بن يونا، إنَّ لحمًا ودمًا لم يعلنْ لك، لكنَّ أبي الذي في السماوات"، وواصَلَ ليخبرَه بأنَّه سيبني كنيستَه على هذا الأساس ذاته، و"أبوابُ الجحيم لن تَقوى عليها" (متَّى ١٦: ١٧-١٨). وفي هذا الحوارِ ما بين بطرس والربِّ، نرى خطوطًا واضحةً للمعركة، وهي المعركةُ التي ستكلِّف الكثيرَ من أتباع يسوع حياتَهم.

سيُختزَل الصِّراعُ الكونيُّ ليكونَ متعلِّقًا بمعرفة الهُويَّة الحقيقيَّة لهذا الرجل من الناصرة، الواقعة شمال الجليل، ضمن بلدٍ يُعدُّ صغيرًا نسبيًّا. وقد قُطع الوعدُ أنَّه مهما كانت ضَراوةُ النزاع، فلن تسودَ قوى الظلام. وفي ضوء هذا الحوار، يتَّضحُ السببُ وراء عاصفةٍ مثل هذه حول اسم يسوع المسيح، فما من اسم آخر يستَحضرُ مثل هذا الجدل أو الانفعال، فهو الاسمُ الأشهَرُ والاسمُ الأكثر استقطابًا في التاريخ، وفي الوقت نفسه، لم يُلهِمِ اسمٌ آخرُ مثل هذا الجمال والشجاعة والتضحية.

"برنامج ذا ڤويس" (The Voice)

أحَدُ أكثر البرامج شهرةً على شاشة التلفزيون الأميركيِّ هو "برنامج ذا ڤويس". ولأولئك الذين لم يشاهدوا "ذا ڤويس"، نقول إنَّ فكرةَ البرنامج تقومُ على أن يُديرَ الحُكَّامُ ظُهورَهم بعَكسِ المتسابقين، فبذلك يَسمعونهم بينما يُغنُّون دون أن يرَوهم. وإذا أُعجِبَ أحَدُ الحُكَّام بصوتِ متسابقٍ ما، فإنَّه يضغطُ زرًّا أمامَه، ليَستديرَ بكرسيِّه ويرى المتسابِق. وقد يكون هذا أحَدَ أفضل الأمثلة على الكيفيَّة التي نقرِّرُ بها الصوتَ الذي سنستمع إليه ونتبعَه حين يتعلَّق الأمر بالحقائق الروحيَّة.

يبدو الأمر الآن، بعد سنواتٍ من دخولنا القرن الحادي والعشرين كأنَّ مجموعةَ

قواعدِ الحضارة الغربيَّة كلِّها تنقلبُ. ويُشبِه الأمرُ كثيرًا الثورةَ في بداية القرن العشرين والتي أحاطت بقوانين العلم والطبيعة (النظريَّة النسبيَّة ونظريَّة الكمِّ).

ويبدو الآن كلُّ هيكلٍ أخلاقيٍّ واجتماعيٍّ متاحًا أمامَ إعادةِ التعريفِ بِاسْم التسامُح والحرِّيَّة، وأصوات المعارضة الوحيدة لهذه الثورة الاجتماعيَّة والأخلاقيَّة هي تلك التي تبدو مدفوعةً بإطارٍ دينيّ، وبعض هذه الأصوات هي رجعيَّةٌ خائفةٌ وغير متسامحة. غير أنَّ هناك صوتًا آخر لا يصيحُ لكنَّه تكلَّمَ بأمانةٍ من عصرٍ إلى عصرٍ بشأن طبيعة الله والإنسانيَّة، وهذا الصوت المحبُّ هو صوتُ الخالق، الذي هو ليس قوَّةً بعيدة غير شخصيَّة؛ ولا هو مصدرٌ أوَّل منفصل، بل هو الإلهُ المحبُّ الرحيم. ومع أنَّ هذا الإلهَ قويٌّ بما يكفي لخَلْقِ الكَونِ، فهو أيضًا متاحٌ بما يكفي ليكُونَ جزءًا من خليقته في يسوع المسيح. لذا فكلماتُه مختلفة عن الآخَرين كلِّهم، فقد أعطَتْنا أكثرَ من مجرَّد قواعدَ عمياءَ نتَّبعها، بل قدَّمَتْ إرشاداتٍ مُحِبَّة لكيفيَّة عَيشِ حياتِنا بملئها. إنَّه الصوت الذي يقودنا إلى طريق ضيِّق من الخير والنور- صوتٌ يمكننا أن نثقَ به بسبب الحياة والشخصيَّة اللتَين تدعمانه.

إنَّ هدفَ هذا الكتاب هو بناء ثقةِ القارئ بأنَّ يسوعَ المسيح كان ليس فقط شخصًا حقيقيًّا في التاريخ، بل كان أيضًا المسيَّا (المخلِّص) الموعود وابن الله. وليست مهمَّتي استكشاف كلِّ تخمين ونظريَّة حاولت إقصاءَ هذه الحقيقة، لكنِ التعامل مع العوائق الأساسيَّة التي تحاول حَجْبَ النور الذي تنضحُ به هذه الحقيقة، ودون شكّ، سيكون الصوتُ الذي تختار أن تسمتعَ إليه هو أهمَّ قرارٍ ستتَّخذه في حياتِك. وحيث إنَّك تقرأ هذا الكتاب الآن، فالاحتمال الأكبر هو أنَّك إمَّا تابعٌ للسيِّد المسيح وإمَّا راغبٌ في استكشاف خِيارِ أن تصيرَ مثل هذا التابع. ويتضمَّن هذا أيضًا مساعدة الآخرين على اتِّباعه أيضًا. وأفترضُ أنَّك قابلتَ على الأرجح ردَّ فعل عنيفًا أو معارضةً من آخرين لا يشاركونك هذا الشغفَ والسعي، لذا تريد أن تكونَ قادرًا على تقديم أسبابِ إيمانك. وهذا الكتاب هو أداةٌ تساعدك على شرح التصريحات

والحقائق الأساسيَّة للإيمان المسيحيِّ، والدفاع عن هذه الحقائق والتصريحات. بكلمات أخرى، تساعدك على الإجابة عن السؤال العظيم بأمانة وحقٍّ.

وأرى أنَّه يجب أن يكونَ تحضيرُ المؤمنين ليقدِّموا أسبابَ إيمانهم هو الأولويَّة القصوى للمنخرطين في جهودِ الخدمة المسيحيَّة. فإذا كانت ثمَّة شكوك تحوم حول حقيقة الرسالة، فإنَّ مشروع المسيحيَّة كلَّه في خَطَر. وبوصفي راعيَ كنيسةٍ، أدركُ تمامًا مدى انشغال معظم قادة الكنائس، ومن ثمَّ يمكن أن تكونَ المَطالِب التي تواجِه الخدَّام للاعتناء باحتياجات الآخرين مطالبَ غامرةً، وكثيرًا ما تحتلُّ الاحتياجات المُلحَّة لرعيَّتِنا أولويَّة تسبقُ الأسئلة المُلحَّة عن حقيقة الإيمان التي يطرحُها "الذين هم من خارج". ومع ذلك فقد خلقَتِ الاحتياجاتُ الهائلةُ للكلِّ في كلِّ مكانٍ فرصةً لإظهار محبَّة الله عمليًّا، ولمشاركة الإنجيل معهم. "اسْلُكوا بحكمةٍ مِن جهة الذين هم من خارج، مفتدين الوقت. ليكُن كلامكم كلَّ حين بنعمة، مُصلحًا بملح، لتَعلَموا كيف يجب أن تجاوبوا كلَّ واحد" (كولوسِّي ٤: ٥-٦).

من بين كلِّ حقوق الإنسان التي ينبغي لنا النضال من أجلها، يجب أن يتقدَّمَها حقُّ كلِّ شخصٍ في سماع بشارةِ الإنجيل، ونوال فرصة معرفة يسوع المسيح. وبينما يتمُّ عملٌ رائعٌ حول العالم بواسطة مؤمنين يعملون لمساعدة المحتاجين وشفاء المتألِّمين، يُعوِزُنا كثيرًا تحضيرُ الناس ليتمتَّعوا بإيمانٍ يزدهر في القرن الحادي والعشرين، حيث تتصاعَدُ ثقافةٌ مضادَّةٌ للإيمان تشبِّعُها وسائل الإعلام بطُوفانٍ يجتاحُ الناسَ من الصور والرسائل القائلةِ إنَّ الإيمانَ بالله لا يَمُتُّ للواقعِ بِصِلةٍ، والنتيجة النهائيَّة هي أنَّ أعدادًا كبيرةً من المؤمنين بالمسيح يرتَبِكون ويحتارون إزاءَ الفَوضى المجنونة التي وصل إليها العالم. كما أنَّهم يرَونَ أنَّ قِيَمهم ومعتقداتهم صارَتْ فاقدةَ الاتِّصال مع التيَّار العامِّ في المجتمع، علاوةً على أنَّ بعضَ الأشخاصِ يضعونَ تلك القِيَم والمعتقداتِ في إطار من التعصُّب والجهل، وقد يساعدُ هذا على تفسير أنَّ ٣٪ فقط من الكنائس في الولايات المتَّحدة تنمو بواسطة الكرازة.

الخلاصة عندي هي الآتية: إذا كنتَ تؤمن بأنَّ قصَّة يسوع حقيقيَّة وتفهَمُ السببَ، فسوف تشاركها مع آخرين، والعكس بالعكس. ينبغي للمؤمنين بالسيِّد المسيح أن يتعلَّموا ويتدرَّبوا، وليس فقط أن يتعَزَّوا ويُرفَّه عنهم. ولأنَّ هذا النوع من النشاط السطحيِّ هو السائد، فلا عجب أنَّ المسوحَ البحثيَّة تُظهِرُ أرقامًا قياسيَّةً لنَزعةِ الشباب إلى هَجْرِ الكنيسة.

ما من أرضٍ محايدةٍ في هذا النقاش؛ فالتصريحات عن يسوع في الكتاب المقدَّس تجعلُ من المستحيل تقريبًا صرْف النظرِ عنه حاسبينَ إيَّاه مجرَّد إنسان، والاختياران الآخران هما إمَّا أسطورة وإمَّا المسيح المنتظر. ولا بدَّ للاختيار الذي ستتَّخذه أن يقرِّر كيفيَّةَ إدارتك لكلِّ مجالات حياتك. فلو كان يسوع أسطورةً، فعليك حينها أن تعيشَ حياتَك كما تريد: فلتُصمِّمْ أخلاقيَّاتك، وكُنْ رئيسَ نفسك. أمَّا إذا كان هو المسيَّا، ربَّ الخليقة، فعِشْ حينَها كاملًا ومقدَّسًا له.

لأنَّ يسوعَ هو مصدرُ كلِّ صلاحٍ وحياة، فيجب أن يكونَ في مركَز حياتنا، وكذلك في ثقافتنا وممارساتنا. ولنَفعلَ ذلك، علينا استعادة الثقة بأنَّ كلماته حقيقيَّة وبدرجة عاليةٍ من اليقين، أي أنَّ كلماتِه لم تُفقَد دون أملٍ في العثور عليها جرَّاء مُرورِ مئاتِ السنين، وبسبب محاولات البشر أن ينسبوا إليه كلماتٍ لم يقُلها قَطّ. سوفَ يقودنُا بحثُنا عن يسوعَ الحقيقيِّ بمرورنا بكلِّ المُدَّعين الذين يحاولون إقحامَه على أنَّه جزءٌ من قِصَصهم، بينما يرفضون الجزءَ الأكبرَ من قِصَّته: أنَّه ربُّ الخليقةِ كلِّها. هذا الأمرُ حيويٌّ لأنَّ الرسالةَ التي يقدِّمها السيِّدُ المسيحُ هي رجاءٌ للبشريَّة. فهل يمكنك التفكير في أيِّ شيء آخر نحتاجُ إليه في الحاضر أكثر من ذلك؟ كما قال يسوعُ: "وتعرِفون الحقَّ، والحقُّ يحرِّركم" (يوحنَّا ٨: ٣٢).

أحيانًا تعلَقُ ترنيمةٌ في رأسك

كانَ هذا ما حدث مع أحَدِ أشهَرِ مُلحِدي العالم. ففي مناقشة عامَّة في أكسفورد (Oxford)، مع فيلسوفٍ ولاهوتيٍّ، أعلن ريتشارد دوكينز (Richard Dawkins) صراحةً أنَّه كان يُرنِّمُ ترنيمةً في ذلك الصباح بينما كان يستحمُّ، وهي ترنيمة كان قد تعلَّمها في طفولته في الكنيسة الأنغليكانيَّة، وعنوانها "إنَّه الأمرُ الأروَع!" (It Is a Thing Most Wonderful). وبعد أن ذكرَ العنوانَ وبعض الكلمات الأولى من الترنيمة، واصل قوْله إنَّ فكرةَ أن يَصِلَ الكَونُ إلى حالةِ الوجود من العدم، ثمَّ إنتاج كِيانات مثل البشر لها ضَمائر لهو أمرٌ أروع جدًّا من أن يُصدَّق.[٢] واضحٌ أنَّ دوكينز توقَّف قبل الانتهاء من المقطع الافتتاحيِّ للترنيمة، وهي الكلمات التي تشير إلى قصَّةٍ أخرى كانت مصدرَ ذُهولِ الكاتب:

إنَّه الأمرُ الأروَع- أروَعُ من أن يُصدَّق
أن يأتي ابنُ الله نفسُه من السماء
ويموت ليفديَ طفلًا مثلي أنا
وأنا أعلم أنَّ هذا أمرٌ حقيقيٌّ.[٣]

كم هو عبثيٌّ أنَّ ما وصفته الترنيمة من العَجَبِ والنعمة، نَسَبَه دوكينز ببساطة إلى اللاشيء- لا شيء سوى قوى عمياء من الطبيعة، وما فاتَه هو الرسالة الساطعة أنَّ المسيح هو حقًّا مركَز العَجَب، وهو مَن يستحقُّ أن نرفَعَ له شكرَنا وعرفانَنا.

مثل ريتشارد دوكينز، أتذكَّر أنا ترانيمَ من طفولتي.

لدينا قصَّة نخبرُ بها الأمَمَ،
قصَّة ستقلب قلوبَهم،
قصَّة حقٍّ ورحمةٍ،
قصَّة سلام ونور.

فالظلمة ستصيرُ فجرًا،
والفجرُ ظُهرًا مبهِرًا،
وسيأتي ملكوت المسيح إلى الأرض،
ملكوتُ المحبَّة والنور.[٤]

بهذا الرجاء أكتبُ، فإجابتك عن السؤال العظيم بشأن يسوع- إنسانٌ أم أسطورةٌ أم المسيح المنتظر؟- ستكون أهمَّ شيء، وهي إجابة تستحقُّ السعي في البحثِ فيها بكلِّ قلبك وفكرك ونفسك وقدرتك، فسيتركُك واقعُ حقِّها وقوَّتها متعجِّبًا: "إنَّه حقًّا الأمر الأروَع- أروع من أن يُصدَّق".

١

إنسانٌ أم أسطورةٌ أم المسيح المنتظر؟

السؤال الأعظم في التاريخ

"ما مِن مُهمَّة تاريخيَّة تكشف الذاتَ الحقيقيَّةَ للإنسان مثلما تفعل كتابةُ حياة يسوع".[١]

ألبرت شڤايتزر (Albert Schweitzer)

إنَّ إحدى الميِّزات الغريبة للطبيعة البشريَّة هي ميلُنا إلى تصديق أمورٍ جامحة مُنافِيةٍ للعقل، بينما نشكِّكُ في الأمور المعقولة والمهمَّة ونصرفُ النظر عنها.

كان هذا الميل إلى تصديق التخمينات الساذَجة التي بلا أساس مادَّةً للسُّخرِية في البرنامج التلفزيونيِّ الأميركيِّ المشهور المباشر "مساء السبت" (Saturday Night Live). وتحتلُّ إحدى فِقراته لديَّ مرتبةَ أحد أفضل الاسكتشات الكوميديَّة، وقد تضمَّنتْ حوارًا بين ملاكٍ وشخصٍ كان قد مات حديثًا وذهب إلى السماء. كان هذا الوافد الجديد يُمطِر الملاك بأسئلة عن كلِّ المسائل التي لم يُجَبْ عنها، وكلِّ الألغاز التي لم تُحلَّ في ماضيه. وكان الحوارُ يشبه ما يلي: "ماذا حدث للخمسين دولارًا التي ضاعت منِّي عند التخرُّج؟"، و"مَن كانت مُعجبةً بي سِرًّا؟" وأمورًا من هذا القبيل. وأخيرًا، سأل عضوُ السماء الجديدُ هذا قائلًا: "ما الأمر الذي سيدهشني أكثر من أيِّ شيء آخر لو اكتشفتُه؟" توقَّف المُمثِّل

الذي يلعب دورَ الملاك وِفقةً دراميَّة، ثمَّ قال: "مصارعة المحترفين حقيقيَّة".[٢]

أظنُّ أنَّ ما بدا لي مضحكًا هو أنِّي قابلتُ بالفعل أشخاصًا يصدِّقون أنَّ مصارعةَ التلفزيون حقيقيَّة (وليست تسليةً مُنظَّمة). وكانت جدَّتي أحد هؤلاء الناس. هناك بالتَّأكيد الكثيرُ من الناس الذين يَرَون في أمورٍ ساذجةٍ أشياءَ حقيقيَّة، مثل الأطباق الطائرة (UFOs)، أو ظهوراتِ إلڤيس پريسلي (Elvis Presley). وكما كتب بلايز پاسكال (Blaise Pascal) في كتابه "**أفكار**" *(Pensées)*: "إنَّ إدراكَ الإنسانِ للتَّفاهات، وعدم إدراكه للعَظائم، إنَّما يدلَّان على وضع مقلوبٍ غريبٍ".[٣]

ويُلقي هذا بالضَّوء على الميل إلى إنكار أحداث ينبغي تصديقُها، مثل سَيْر الأميركيِّين على سطح القمر، وحقيقة أنَّ أحداث ١١ أيلول /سپتمبر كانت هجومًا إرهابيًّا نفَّذه متطرِّفون، ولم تكُن مؤامرةً من الحكومة الأميركيَّة.

من المؤسف أن تتفشَّى المعلوماتُ الخاطئة والشائعاتُ في عصرٍ تجدُ فيه كلُّ وجهة نظرٍ موقعًا إلكترونيًّا وصفحةً على فيسبوك (Facebook)، فيصيرُ الوصول إلى الحقيقة أمرًا شاقًّا، ويتطلَّب استعدادَنا لقبولِ الحقيقة مهما كانت تفضيلاتنا أو انحيازاتنا الشخصيَّة، فيكون علينا، بكلمات أخرى، الاستعدادُ لتتبُّع البرهان أينما يقودُنا.

ورغم أنَّ الكثير من المعتقدات الزائفة هي معتقداتٌ غير ضارَّة ولا مهمَّة نسبيًّا، فإنَّ لمعتقداتٍ أخرى نتائجَ مدمِّرةً، لا سيَّما إذا شُوِّهَ التاريخُ الحقيقيُّ أو أُهمِل. وقد ظهرَ ذلك في أوضح صورةٍ عند زيارة مواقع مثل معسكرات الاعتقال النازيَّة في الحرب العالميَّة الثانية، مثل ذلك المعسكر في أوشڤيتز (Auschwitz) في بُولندا، إذ سيقودك السيْرُ عبْر الغرف الضخمة الممتلئة بالأحذية وحقائب السفر وخُصل الشَّعر، وسط ما بَقِي شاهدًا على جَحيم على الأرض، إلى صرفِ النظر عن أيِّ إيحاء أنَّ المحرَقةَ اليهوديَّة لم تحدث قَطُّ، فقد قُتِلَ عددٌ كبيرٌ من اليهود في واحدة من لحظات البشريَّة البغيضة.

إنَّ نسيانًا من هذا النوع لهو نِسيانٌ أو تَناسٍ مَقصود. ويبدو هذا نمطًا مألوفًا جدًّا في التاريخ؛ لأنَّ التذكُّر هو عملٌ شاقٌّ يستلزم كلَّ قدراتنا العقليَّة لئلَّا يعوقَنا الانحياز والأجندات الشخصيَّة، فمثلُ هذه الذكريات المؤلمة تعيدُنا إلى حقيقة النزعة المخزية في الطبيعة البشريَّة نحو القسوة والظلم. فإذا تُركَ الأقوياء دون رادعٍ أو محاسَبة، فسوف يسودون على الضعفاء والمغلوبِ على أمرهم، بدلَ الوقوف والدفاع عنهم، لا سيَّما مع مخاطرة فقدان حياتنا أو مصداقيَّتنا.

وبسبب هذا الخلل القاتل في الطبيعة البشريَّة، أرسلَ الله ابنَه ليكونَ إنسانًا يَسيرُ وَسَطنا ويجسِّدُ النموذج العكسيَّ لهذا النوع من التمركُز على الذات. فقد عاش يسوع المسيح حياةً مضادَّةً لذلك التيَّار القويِّ من التاريخ، وعاش الحياة التي كان ينبغي أن نعيشها- حياةً بلا عيبٍ أخلاقيًّا. وبينما لم يكن أيُّ شخصٍ آخر في التاريخ البشريِّ ليستطيع التصريح بأنَّه بلا خطيَّة، صرَّح يسوعُ بذلك، لذا كانت حياتُه هي الأهمَّ والأكثر تفرُّدًا في التاريخ، وهي حياةٌ لا يسعُنا صَرْفُ النظر عنها أو تجاهلها.

ومع ذلك، يُرفضُ أمرٌ غالٍ ورائعٌ كهذا إذ يحسبُه المتشكِّكون مستحيلًا، رغم قبولهم تفسيراتٍ عبثيَّة وغير منطقيَّة لوجودنا، لا سيَّما إذا كانت هذه التفسيرات خالية من تفسير الآثار الأخلاقيَّة، وواضعين إطارًا واحدًا لكلِّ المعتقدات الدينيَّة، صارفين النظر عن هذا الإطار بتهمة أنَّ الإيمان أعمى، أو كما يحبُّون أن يقولوا: إنَّ "الإيمان هو تصديقُ ما تعلم أنَّه ليس حقيقيًّا".

يقولُ الكاتبُ المُلحِدُ مايكل شيرمر (Michael Shermer) إنَّ "الإيمان الدينيَّ يعتمدُ على مجموعةٍ من العوامل الاجتماعيَّة والنفسيَّة والعاطفيَّة التي لا علاقة لها بالاحتمالات والبرهان والمنطق".[٤]

وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة؛ فرغمَ أنَّ هناك كثيرين يؤمنون بالله دون وعيٍ بكلِّ البرهان والمنطق الشاهدَين على حقِّ هذا الإيمان، فإنَّ ذلك لا يعني بتاتًا عدمَ وجود البرهان والمنطق. فإذا كنتَ تؤمن بالله وتتبع المسيح، فهذا الإيمان مؤسَّسٌ في

التاريخ والمنطق، وهكذا فالإيمان الحقيقيُّ ليس أعمى، وبهذا الصَّددِ يحذِّرُنا الكتاب المقدَّس قائلًا: "قد هلَك شعبي من عدم المعرفة" (هوشع ٤: ٦).

إذا كانت رغبتنا ألَّا ننجرفَ في تسونامي العبثيَّة الرقميَّة، علينا أن نجدَ الأساسَ الراسخَ لأمرٍ حقيقيٍّ وجديرٍ بالثِّقة، فمن الأيسر كثيرًا الاسترخاء والانسياب مع ما تقولُه الثقافة بشأن أمرٍ ما بدلَ البحث عن الحقِّ بإخلاصٍ وموضوعيَّة، بغضِّ النظر عن الوِجهة التي يقودنا إليها البرهانُ.

لكلِّ شخصٍ الحقُّ في معرفة الحقيقة واتِّخاذ قراره الشخصيِّ، ومع ذلك فهناك بالتأكيد مَزَقُ وأزقَّة مُظلِمةٌ وخَطِرةٌ يمكن أن يُسطى فيها عليك وتُجرَّد من إيمانك، لذا يجدرُ أن أكرِّرُ هنا قائلًا: إنَّ الأصواتَ التي تستمع إليها في هذه الرحلة من الإيمان والاستكشاف هي أمرٌ حسَّاس.

نظرة أُخرى إلى "الله ليس ميتًا"

بعد ثلاثين عامًا من العمل مع طلَّابٍ جامعيِّين حول العالم، قرَّرتُ كتابة الحُجج المؤيِّدة لوجود الله في شكلٍ رجوتُ أن يكون بسيطًا وموجزًا. وقد أثمَرَتْ تلك المحاوَلةُ عن كتاب "الله ليس ميتًا"، وقد قدَّم لمحةً عن الجَدَلِ المشحون بالمشاعر الذي يستَشيطُ بين هذين الرأيَين المتعارضين بشأن ما هو العالم عليه: المادِّيَّة (الإلحاد) والإيمان بالله. وليست هذه المناقشةُ مناقَشةً وُدِّيَّة؛ فمع أنَّ هناك أصواتًا عاقلةً ووسطيَّة من كلا الجانبَين، فإنَّ المعتادَ هو مباراةٌ صارخةٌ من الإهانات أكثر منها بيان الحُجَج، وفصاحةٌ أكثر منها منطق، وقد غمرتني استجاباتٌ من مؤمنين بالمسيح من كلِّ الأعمار والخلفيَّات، يخبرونني بقِصصٍ عن الكيفيَّة التي حاوَلَتْ بها أصواتُ التعصُّب كلَّ أمرٍ ممكنٍ لإسكات آرائهم لأنَّهم مؤمنون بالمسيح، وكان عليهم أن يتَّخِذوا مَوقفًا أيضًا مع مُخاطَرةِ فقدانِ المصداقيَّة، أو فقدانِ درجاتٍ دراسيَّة من المدرِّس، أو حتَّى فقدان وظائفهم.

لِمَن يتبع السيِّدَ المسيحَ، هناك صراعٌ شرسٌ على جبهتَين مختلفتَين: فمن جهة، هناك تحدِّي المادِّيَّة والإيمان بالله، الذي ذكرناه، إذ يؤمن المادِّيُّ بأنَّ الطبيعةَ هي كلُّ ما في الأمر، ويمكن أن يفسَّر العالم بكلِّ ما فيه بواسطة الأسباب الطبيعيَّة دون احتياجٍ إلى أيِّ "خدع فائقةٍ للطبيعة"، كما يسمِّيها الفيزيائيُّ الملحد لورنس كراوس (Lawrence Krauss)[٥]، بينما يؤمن الرأيُ الإيمانيُّ بأنَّ النظام والمعلومات في الكون المادِّيِّ إنَّما يشيران إلى ذهنٍ عاقل وراء كلِّ ذلك. المعلومات نفسها هي كِيانٌ غير مادِّيٍّ ليستْ له كتلةٌ أو خصائصُ مادِّيَّة. وللمنادين بالمذهب المادِّيِّ، يُحبط هذا من فكرة أنَّ الأشياء المادِّيَّة فقط هي الأشياء الحقيقيَّة، وتنضمُّ طبيعةُ المعلوماتِ غير المادِّيَّة إلى قائمةِ الحقائق غير المادِّيَّة الأخرى التي يعتمدُ عليها العلماءُ في تكوين فرضيَّاتهم وملاحظاتهم وقياساتهم ونتائجهم، وتتضمَّن هذه القائمة الرياضيَّات والعقل وقوانين المنطق، ويرتكز العلمُ نفسه على افتراض أنَّ هذه الأمور حقيقيَّة.

يبقى أنصارُ وجهة النظر الإلحاديَّة على أمل ألَّا نلاحظَ أنَّ هذا الرأي لا يرتكز على حقائقَ ثابتةٍ أساسيَّة، بل على مجموعةٍ من الافتراضات. ويدَّعي هذا الرأي أنَّه وجهةُ النظر التي يؤيِّدها غالبيَّة أفضلِ العلماء، وبذلك فهو الخلاصة الوحيدة الناتجة عن ذهن منطقيٍّ مُثقَّف علميّ. وبناءً على هذا الرأي، فليسَتِ الحياةُ سوى نتاجٍ للصدفة العشوائيَّة وللقوى الطبيعيَّة فقط. وحيث إنَّه لا توجَدُ بدايةٌ حقيقيَّةٌ للإنسانيَّة، فإنَّنا، نحن البشرَ، فرعٌ في الشجرة التطوُّريَّة للحياة، ومن ثَمَّ لا توجد خطيَّة للتَّكفير عنها، ولا احتياجٌ إلى فادٍ. فالحياة ببساطة صراعٌ يكونُ البقاء فيه للأصلح، أمَّا الباقي فيواجِهُ الانقراض. وهكذا يُختزَلُ البشر إلى كونهم حيوانات تخضعُ لبرمجةِ حمضنا النَّوَويِّ لنتمكَّن من البقاء.

ينبغي نزْع هذه العباءة من الزعمِ الأكاديميِّ لنرى التأثيرَ الحقيقيَّ وراء هذا الشعار من الإلحاد والشكوكيَّة الراديكاليَّة: الفلسفة الطبيعيَّة، وعلى عكس ما أعلنه ستيفن هوكينغ (Stephen Hawking) بأنَّ "الفلسفة ميتة"[٦]، تُظهر كتابات

الملحدين المشاهير أنَّ الفلسفة السيِّئة لا تزالُ مزدهرةً في ظلام الذهن غير المؤمن.

فالحقيقة هي أنَّنا نتصرَّف ليس فقط كقطيعٍ من الحيوانات التي تصارع من أجل البقاء؛ إذ يمكننا التفكير فلسفيًّا بشأن الوضع البشريِّ وخلْق وسائل لمعالجة الظلم أينما وُجد، وخدمة الفقراء والمحتاجين، وهذه التصرُّفات التي تساعد الضعفاء والعجزة لا تنبع منطقيًّا من غريزة تطوُّريَّة أو من وجهة نظر البقاء، وقد قال داروين (Darwin) إنَّنا بهذه التصرُّفات من الإيثار الذي يتعذَّر تفسيرُه، نعطِّل عمليَّة التطوُّر.[٧] لكن يأتي هذا الأمر طبيعيًّا لنا لأنَّه غُرِسَ فينا ناموسٌ أخلاقيٌّ يعكسُ تميُّزنا بوصفنا بشرًا مصنوعين على صورة الله. وعلى عكس ما قاله داروين، قال يسوع: "ليس لأَحَدٍ حبٌّ أعظم من هذا: أنْ يضع أحدٌ نفسَه لأجل أحبَّائه" (يوحنَّا ١٥: ١٣). وهذا هو ما فعله يسوع بالضبط حين وضعَ حياتَه هو من أجل خطايانا بموته على صليبٍ رومانيٍّ، وهو يدعونا الآن لنحبَّ الآخرين ونخدمَهم باسْمه.

وعلى الجانب الآخر من الصراع المسيحيِّ، نجدُ التحدِّي النابع من حقيقة وجود الكثير من الأديان في العالم، والكثير من الأصوات المتناقضة التي تحاوِلُ وَصْفَ الله، وما يتوقَّعه هذا الإله منَّا.

مع وجود كلِّ الأديان في العالم، أيُّها صحيح؟

هل الأمر مجرَّد مسألةِ ولاء؟ كيف يمكن أن تكونَ كلُّ الأديان صحيحة بينما ادِّعاءات الحقِّ للأديان تُقصي بعضُها بعضًا؟ بكلماتٍ أُخرى، لا يمكن أن تكونَ كلُّ الأديان صحيحةً بشهاداتِ هذه الأديان نفسها؛ فبعضُها يؤمن بإله شخصيٍّ، وأخرى تؤمن بتعدُّدِ الآلهة، وبعضها يؤمن بقوَّة غير شخصيَّة، وهناك الملايين من الناس الذين لن يتشكَّكوا بتاتًا في ما أُخبروا به وهُم يتبعون معتقداتهم الثقافيَّة وإيمان آبائهم على نحوٍ أعمى. لكنَّ هناك ملايين أكثر من أولئك سيختبرون ما أُخبروا به في ضَوء السوق الحرَّة المفتوحة للأفكار، وسيرغبون في معرفةِ ما هو حقيقيٌّ بالفعل مقارنةً بما هو مُفضَّل ثقافيًّا، وسيصمدُ ما هو حقيقيٌّ أمامَ الاختبار الدقيق

للاستقصاء التاريخيِّ والفلسفيِّ والعقلانيِّ؛ فجوهر الحقِّ هو أنَّه حقيقيٌّ بغضِّ النظر عن الثقافة أو السياق.

يدعونا الله لنتبعَه بقلوبنا وأذهاننا. ورغمَ أنَّنا قد نبدأ بإيمان آبائنا، فينبغي لنا جعْلُ هذا الإيمان إيمانَنا نحن، وهذا عادةً أمرٌ شاقٌّ جدًّا. يُبنى كلُّ دينٍ على تصريحاتٍ ينبغي اختبارُها في ضَوء التاريخ والفلسفة والعلم واللاهوت، وتقدِّم هذه كلُّها تصريحاتٍ ينبغي مقارنتُها ورؤية التباين بينها. ولا يمكن أن تكونَ هذه التصريحات كلُّها حقيقيَّة. فبينما تُنادي المسيحيَّة بأنَّ يسوعَ المسيح صُلِبَ وماتَ وقام، تُنادي أديانٌ أخرى بأنَّه لم يُصلب. وكما سنناقش عميقًا في هذا الكتاب، سنرى أنَّ البرهانَ الغامرَ الذي يقبله المؤرِّخون هو أنَّ يسوعَ صُلب على عَهدِ الحاكم الرومانيِّ بيلاطس البنطيِّ، إذ لا يتعلَّق الأمرُ بالأعلى صوتًا لتحديد حقيقةِ التصريحات الحسَّاسة التي تقدِّمُها الأديان والفلسفات المختلفة، أو كذبِ تلك التصريحات.

يمكننا، بل ينبغي لنا، التمييز الواضح ما بين التصريحات المتنافسة التي تدَّعي الحقَّ. وقد كان الرجاء منذ بداية المشروع الأوَّليِّ لكتاب "**الله ليس ميتًا**" هو مساعدة الناس على تتميم العدد المشهور في ١بطرس ٣: ١٥: "مُستعِدِّين دائمًا لمجاوبة كلِّ من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم، بوداعةٍ وخوف".

منذ عامَين مَضَيا، خرجتُ ومعي ابني الأصغر تشارلي (Charlie) في رحلة برِّيَّة كان الإعلان عنها يقول إنَّها رحلةٌ ستأخذك إلى نطاق أوسعَ من منطقة راحتك، لكنَّه ظلَّ يقول لي: "لكنِّي أحبُّ منطقة راحتي، كيف يُعقل أن أرغبَ في الخروج منها؟". في هذه الرحلة كانت هناك سلسلة من التحدِّيات الشاقَّة، بما في ذلك رحلة تجذيف في مياهٍ ضحلةٍ سريعة، ولحُسن الحظِّ كان معنا مرشدٌ في هذه الرحلة بينما نقطعُ سلسلةً من منحدرات النهر. ولأنَّنا كنَّا نستمع إلى صوت الخبرة هذا بشأن توقيت الميل يسارًا أو يمينًا، أو توقيت التجذيف أو توقيت رفْع مجاذيفنا من المياه، فقد جنَّبنا هذا مجموعةً من الصخور الخطرة التي كان يمكن أن تقلبَنا أو

تُصيبَنا إصاباتٍ بالِغة. كثيرون هم الناس الذين جُرِحوا في إيمانهم أو خسروه بسبب الاستماع إلى الأصوات الخاطئة، لذا أشعر بالشُّكر والعرفان لأجل المرشدين الذين ساعدوني على الإبحار في خضمِّ التحدِّيات الشكوكيَّة إلى حقِّ الإيمان المسيحيِّ. ورجائي هو مساعدة القرَّاء أن يتجنَّبوا الأمورَ التي تسبِّب تحطُّمًا لسفينة ثقتهم بالله. ويبدأ هذا بقبول حقيقة لا جدل فيها: كان يسوعُ موجودًا فعلًا.

إيمانٌ أم تاريخ؟

تثيرُ حقيقة وجودِ يسوعَ النقاشَ بشأنه ليس فقط في نطاق الإيمان الدينيِّ، بل أيضًا ضمن ميدان الاستقصاء التاريخيِّ. فإنْ كان الشخصُ أمينًا فكريًّا، ينبغي له على الأقلِّ اختبار البرهان على حياة يسوعَ، وهو الأمر ذاته الذي كان ليفعلَه بشأن أيِّ شخصٍ آخر عاش على الأرض، مثل سقراط (Socrates) أو أغسطس قيصر (Caesar Augustus) أو ناپُليون (Napoleon). ولا ينبغي لنا صرفُ النظر عن برهان حياته في وقتٍ مبكِّر بسبب استيعابِنا الخاتمةَ الاستثنائيَّة، وهي الخاتمة التي قد تكون منتظرةً بتهديدٍ في نهاية البحث.

حين يتعلَّق الأمر بيسوع المسيح، نجد بكلِّ تأكيد مقياسًا أعلى، بل أعلى على نحوٍ غير معقول، للبرهنة على الحقائق المحيطة بحياته وأعماله وكلامِه، وقد كانت المطالب بشأن المعايير المحدَّدة التي يستخدمها الكثير من العلماء العصريِّين للتحقُّق من أصالة يسوع- مَطالِبَ عاليةً حتَّى إنَّها لو طُبِّقتْ على التاريخ القديم، لصارَ معظمُ ما هو مقبولٌ حاليًّا في طيِّ النسيان. فمثلًا، تخيَّل تأكيد أنَّه يمكننا أن نعرفَ بشأن روما القديمة بما نعرفه من المصادر غير الرومانيَّة، الأمر الذي يفعله المتشكِّكون مع السجلَّات الكتابيَّة. في المقابل، يدركُ العلماءُ الذين يستخدمون مناهجَ موثوقةً بإنصافٍ واتِّساق أنَّ المعتقدات المسيحيَّة بشأن يسوع هي معتقداتٌ محروسةٌ بقوَّةٍ في الحقيقة التاريخيَّة. فكما هو مذكورٌ في كتاب "**إعادة اكتشاف يسوع**"

(Reinventing Jesus): "إذا كنتَ متشكِّكًا من جهةِ يسوعَ الكتابِ المقدَّس، فنرجو أن تكتشف أنَّ خطوةً في اتِّجاهه لا تتطلَّبُ ترْك عقلك وراءك. وإذا تقبَّلتَ المسيح كما هو في الكتاب المقدَّس، لكنْ ظننتَ أنَّ الإيمان لا يتعلَّق بأمور الذهن، فنريدك أن ترى أنَّ الإيمان بالتجسُّد- دخول الله في العالم المحكوم بالزمان والمكان بوصفه إنسانًا منذ ألفي عامٍ- يُجبرك أن تأخذ التاريخ على محمَلِ الجِدِّ".[٨]

ويستخدمُ المؤرِّخون معاييرَ موثوقةً للتحقُّق من احتماليَّة أنَّ يكون حدثٌ ما قد وقعَ فعلًا في الماضي. فمثلًا، تزيد احتماليَّة أن تكون تصريحاتٌ ما حقيقيَّةً إذا أورَدَتْها مصادرُ مستقلَّةٌ متعدِّدة، وبهذا المقياس تفوقُ معرفتُنا عن يسوع معرفتَنا عن كلِّ شخصيَّة تاريخيَّة قديمة أخرى تقريبًا؛ إذ اكتشفَ العلماءُ مصادرَ أدبيَّة عن يسوع التاريخيِّ في إطار القرن الأوَّل بعد حياته أكثر من كلِّ المصادر الأدبيَّة الأوَّليَّة عن سقراط، والتي يُعدُّ توافُقُها أقلَّ بكثيرٍ بعضها مع بعضٍ مقارنةً بتوافُقِ الأناجيل.[٩]

حين تكون العمليَّة التاريخيَّة اعتباطيَّة وغير متَّسقة، يصيرُ الماضي أمرًا يمكن أن يتلاعَبَ به أصحابُ الأجندات مثل قصَّة خياليَّة. وتقود مثل هذه العقليَّة إلى صَرْفِ النظر عن القصص المعجزيَّة التي يذكرُها تابعو يسوع في الأناجيل، وتُستبدَلُ بتلك القصص لمحاتٌ تاريخيَّةٌ لما يمكن أن يكونَ عليه **على الأرجح** شخصٌ عاشَ في زمان يسوع، ويذهب بعضُ الناس بعيدًا إلى حدِّ ادِّعاء أنَّ كلَّ ما فعلُه تابعو يسوع هو الاستعارة من ميثولوجيا المصريِّين والإغريق والفُرس. ما المنطقُ من وراء ذلك؟ لم تحدث المعجزات؛ لأنَّه من غير الممكن أن تحدُثَ المعجزات. وسنحلِّل هذا بالتفصيل في فصلٍ لاحق. لقد انتهزَتِ الثقافةُ الشعبيَّة هذه التخمينات التي بلا أساس من الصحَّة، وبثَّتْها حاسبةً إيَّاها حقيقة.

يُثرثرُ بهذا الكلام الكوميديان ومقدِّمُ البرامج بل مار (Bill Maher) لإسعاد جماهيره، بينما يكرِّر آخرون هذا مِرارًا وتَكرارًا كما لو كان جزءًا من المسلك العقائديِّ القويم لدينٍ تشكيكيٍّ جديد. ولتنتبهْ جيِّدًا! الإلحادُ هو دينٌ؛ فهو

مجموعةٌ من المعتقدات بشأن طبيعة العالم وبشأننا نحن البشر. ولتلك المعتقدات أفكار ضمنيَّة كبرى في ما يتعلَّق بالكيفيَّة التي ينبغي بها أن نعيشَ، والتي ينبغي للمجتمع أن يعمل وَفقًا لها. وفي قلبِ هذه المنظومة المضادَّة للإيمان بالله، هناك ضرورةٌ لرَفْضِ ما هو فائق للطبيعة، لا سيَّما الأحداث الفائقة للطبيعة من ميلاد يسوع المسيح وحياته وموته وقيامته.

كاذب أم مُختلٌّ أم ربٌّ؟

في جيلٍ سابق قدَّم المُلحدُ السابق والكاتب والفيلسوف الأسطوريُّ سي. أس. لِويس (C. S. Lewis) معضلتَه المشهورة ذات الجوانب الثلاثة، حيث قال إنَّه بناءً على تصريحات يسوع في الأناجيل بشأن كوْنه ابنَ الله، فهو إمَّا بالحقيقةِ ربٌّ كما قال، وإمَّا أنَّه مُختلٌّ (إذ كان يظُنُّ أنَّه الله) أو كاذبٌ (لأنَّه كان يعرف أنَّ ذلك ليس حقيقيًّا).

وكان تحدِّي لِويس هذا لِيُساعدَ الناسَ ألَّا تظلَّ عالقة في الموقف القائل إنَّ يسوعَ كان مجرَّد رجلٍ صالح وليس المسيح المنتَظر الذي صرَّح هو بنفسه وأظهر أنَّه كذلك. إذًا كان كاذبًا أو مُختلًّا ويكون بذلك غير مؤهَّلٍ ليكونَ الشخصَ الذي يجب أن نحسبَه التمثيل المُطلق لله غير المنظور.

وفي السِّياقِ ذاته، يخبرُنا بارت إيرمان (Bart Ehrman)، المؤمنُ الإنجيليُّ السابق والذي صار لاأدريًّا، وهو مدرِّسٌ في جامعة نورث كارولينا، كيف أضاف كلمة **أسطورة** إلى قائمة الاختيارات التي اقترحها لِويس للتفكير في الهُويَّة الحقيقيَّة ليسوع، إذ يقول متسائلًا: "ماذا لو لم يدَّعِ يسوعُ أصلًا أنَّه ابن الله؟" سيعني هذا أنَّ القصصَ بشأن معجزات المسيح وقيامته من الأموات كانت ببساطة أساطير بناها أتباعُه بعد مرور وقتٍ طويلٍ على موته. ويكرِّر هذه الفكرة كُتَّابٌ مشاهير يرفضون تصريحات يسوع عن كوْنه المسيح، وينقلونَه إلى مرتبة كونه غيوريًّا يهوديًّا ماتَ مُحاوِلًا قيادةَ تمرُّدٍ ضدَّ الرومان. وهناك كُتَّابٌ، مثل رضا أصلان عالم الاجتماع المذكور في

المقدِّمة، الذي تحوَّل من الإيمان المسيحيِّ عائدًا إلى إيمانه الأصليِّ بالإسلام، ينادون أنَّ يسوعَ كان ريفيًّا أمِّيًّا، ولم يقُل قَطُّ معظم ما تقول الأناجيل إنَّه قاله، ولا فعل ما تقول الأناجيل إنَّه فعله. ورغمَ كلِّ هذا، فلا يوجد في ما يقوله أصلان الكثير من التفكير المبتكر؛ إذ إنَّه يعيد ببساطة المناداة بكتاباتِ المتشكِّكين من قبله، أمثال أس. جي. أف. براندن (S. G. F. Brandon)، وجون دومينيك كروسان (John Dominic Crossan)، وماركس بورغ (Marcus Borg)، ويتجاهلُ أصلان الأناجيل ويختارُ عوضًا عنها كتاباتٍ ليسَتْ عن يسوع، بل هي عن نوعيَّةِ الناس من زمانه، ومن أولئك الذين ربَّما عاشوا في بلدته، وهو يؤكِّد: "بغضِّ النظر عن النتيجة، فالمدخَلُ الوحيدُ الممكن حتَّى نصلَ إلى يسوعَ الحقيقيِّ لا يأتي من القصص التي وردت عنه بعد موته، بل من المعرفة السطحيَّة للحقائق التي يمكننا جمعُها من حياته بوصفه جزءًا من عائلةٍ يهوديَّةٍ كبيرةٍ يعمَلون في النجارة أو البناء، ويكافحون للبقاء على قَيدِ الحياة في القرية الجليليَّة الصغيرة في الناصرة".[١٠]

يشبهُ ذلك القوْلَ إنَّه يمكن أن نحصلَ على صورة أفضل لإبراهام لينكولن بدراسة ما كان الناس عليه في الولايات المتَّحدة ممَّن عاصَروه، بدلَ دراسةِ أحداثِ حياته من أولئك الذي كانوا يعرفونه حقَّ المعرفة، بل إنَّ من الاستهتار جدًّا صرفُ النظر عن شهادة الناس الذين آمنوا بيسوع، حاسبين أنَّها شهاداتٌ منحازةٌ، وقبول تصوُّرات أولئك الذين لم يؤمنوا به على أساسِ أنَّ تلك التصوُّرات أكثر معقوليَّة.

لقد استدعَتِ الأدبيَّاتُ المتناميةُ- والتي تطرح مثل هذه النوعيَّة من الادِّعاءات، مع صعود متشكِّكي الإنترنت والذين يصرِّحون أنَّ هذه النوعيَّة من الكتابة هي كتابة "علميَّة" و"موثوقة"- جهودًا متجدِّدةً لتصحيح الأمور، لذلك يقدِّم عنوانُ هذا الكتاب معضلة ثلاثيَّة الجوانب، وهي معضلةٌ مختلفة من أجل جيل مختلف.

البحث عن يسوعَ التاريخيِّ

يمكن تتبُّع جذور ثقافة التشكيك هذه بالعودة إلى القرنَين السابع عشر والثامن عشر، إذ يمكن وصفُ هذه الحِقبةُ، والتي يُشار إليها عادةً باسْم عصر التنوير، بأنَّها عصرُ الشكوكيَّة. ويلخِّص عقليَّةَ هذه الحِقبةِ عالِمُ الرياضيَّات والفيلسوفُ الفرنسيُّ الراحل رينيه ديكارت (René Descartes)، والذي بدأ في الشكِّ من أجل الوصول إلى موضعٍ من الثقة بشأن ما يمكنه أن يعرفَه بالتأكيد. "من أجل السعي إلى الحقيقة، من الضروريِّ مرَّة في حياتنا، أن نشكَّ في كلِّ الأمور، قدرَ المستطاع".[١١]

وقد تركَه هذا المنظورُ بأنَّ أساسَ الواقع هو أفكارُه، ولو كانَتْ شكوكًا في حقيقةِ وجوده. وقد نمَتِ البذارُ التي زرعها ديكارت إلى القرن التالي إلى عصر التنوير، والذي نادى أنَّ "الفكَّر حلَّ محلَّ الإعلان" في ما يختصُّ بمصدر نظريَّة المعرفة لتلك الثقافة، بمعنى كيفيَّة معرفتنا بما نعرفه.

ازدهرَتْ هذه النزعةُ الفلسفيَّةُ في القرن التاسع عشر مع إصدار كتاب "**أصل الأنواع**" *(On the Origin of Species)* لمؤلِّفه تشارلز داروين (Charles Darwin)، وصارت نظريَّةُ التطوُّر بالانتخاب الطبيعيِّ (Natural selection)، بديلًا في أذهان المشكِّكين عن الإيمان بأنَّ الحياة تحتاجُ إلى مُصمِّم لتفسير "ظهور التصميم في الطبيعة". وغيَّرتْ هذه القصَّةُ البديلةُ تغييرًا جذريًّا كيفيةَ نَظَرِ الناس إلى أصلنا، وكذلك إلى مصيرنا وقيمتنا وفهمنا للواقع المُطلَق؛ لأنَّه لو لم يكن هناك احتياجٌ إلى خالقٍ فائقٍ للطبيعة لتفسير الحياة، فلِمَ لا نصرف النظر عنه تمامًا؟

ليس مفاجئًا إذًا أن يظهَرَ التشكيك في يسوعَ التاريخيِّ في الحِقبةِ ذاتِها؛ لأنَّك إذا لم تؤمن بالله، أو إذا رفضتَه كونه إلهًا غير شخصيٍّ لا يهتمُّ بشؤون البشر، فلن تؤمن بأنَّ له ابنًا أُرسِل ليدفعَ ثمنَ خطايا العالم، وتظهرُ هذه الشكوك في صانع العجائب يسوع الناصريِّ ظُهورًا جليًّا مع اللاهوتيِّ الليبراليِّ ديڤيد شتراوس (David Strauss)، حيث عزَّزتْ كتاباتُه من تخيُّلِ يسوعَ بصورةٍ مجرَّدةٍ تمامًا من

المعجزات المفترضة، ومن ثمَّ أيِّ تصريحٍ لِكَوْنه ابنَ الله الذي ماتَ وقام ثانيةً.

لقد خُفِّضتْ هُوِيَّة يسوعَ تخفيضًا أكثر في ١٩٠٦م بعد صُدورِ كتابِ "**البحث عن يسوع التاريخيِّ**" *(The Quest of the Historical Jesus)* لمؤلِّفه ألبرت شفايتزر (Albert Schweitzer)، الذي نادى أنَّ يسوعَ لم يكُن حتَّى المُرشد الأخلاقيَّ العظيمَ الذي يصوِّرُه العلماءُ الليبراليُّون، بل كان ببساطة معلِّمًا حَسَنَ النيَّة أخطأَ بشأن نهاية العالم الوشيكة. وأنكر شفايتزر أيضًا معظم تصريحات العهد الجديد المهمَّة بشأن حياة يسوع وتعاليمه ومعجزاته.

> "إنَّ يسوعَ الناصريَّ الذي تَقدَّم علانِيَةً بوصفه المسيح المنتظر، ونادى بأخلاق ملكوت الله، وأسَّسَ ملكوتَ الله على الأرض، ومات ليُعطيَ عملَه التقديسَ الأخير- هو شخصٌ لم يوجَدْ قَطّ، بل هو شخصيَّة صمَّمتْها العقلانيَّةُ، ومنحتْها التحرُّريَّةُ حياةً، وألبسها اللاهوتُ المعاصرُ ثوبًا تاريخيًّا. لم تُدمَّر هذه الصورة من الخارج، بل تحطَّمتْ بالكامل".[١٢]

لا يزال تأثير مثل هؤلاء العلماء ملموسًا اليوم؛ فقد استمرَّ المؤرِّخون واللاهوتيُّون المشكِّكون في القرن العشرين في البناء على المراجعات السابقة ليسوع مُعيدين صياغته في مختلف الأشكال بدءًا من الريفيِّ الأمِّيِّ الذي يقود عصيانًا ضدَّ روما، مرورًا بمعلِّم العصر الجديد المروِّج لتصوُّفٍ شرقيٍّ سرِّيٍّ، وفي ثمانينيَّات القرن العشرين وتسعينيَّاته، تكوَّن "سَمينار يسوع" (Jesus Seminar) من "مجموعةٍ من العلماء ذوي ميول مشترَكة، وقد اختاروا أنفسَهم لهذه المجموعة" ليكونوا محكمةً معاصرةً للتَّصويت على تحديد كلمات الكتاب المقدَّس التي يعتقدون أنَّ يسوعَ قالَها، والكلمات التي لفَّقها مسيحيُّون لاحقون.[١٣] وقد يمكنك تخمين أنَّ القليل جدًّا هو ما تبقَّى بعد تعديلاتهم الكاسحة للأناجيل لتظلَّ فقط بعض تعاليم يسوع الأخلاقيَّة. ويذكِّرنا هذا الجهد بتوماس جيفرسون (Thomas Jefferson) الذي قصَّ حرفيًّا فقرات

الأناجيل التي تحتوي على أيِّ شيء فائقٍ للطبيعة تاركًا فقط التعاليم الأخلاقيَّة ليسوع في نسخته الخاصَّة من الكتاب المقدَّس. في النهاية، أدرك معظمُ علماءِ العهد الجديد أنَّ السَّمينار لا يمثِّل بتاتًا غالبيَّةَ الخبراء في المجال، بل يمثِّل فقط رأيَ فصيلٍ متطرِّفٍ، اقتيد الكثيرون منه من الرغبة في التشكيك في المسيحيَّة التاريخيَّة.

تُغيِّر القيامةُ كلَّ شيء

إنَّ المناداةَ بأنَّ يسوع قام بعد ثلاثة أيَّام من موته، ليست مجرَّدَ معتقدٍ إيمانيّ، بل هي أيضًا تصريحٌ يمكن اختبارُه تاريخيًّا. وقد أشار الفيلسوف ستيفن ديڤيس (Stephen Davis) إلى هذا قائلًا: "مع ذلك، أومن حقًّا بأنَّ معنى القيامة يعتمد على حقيقة القيامة، بمعنى أنَّه لو لم يقُمْ يسوع حقًّا من الأموات، فلن يكون للقيامة حينها أيُّ معنى مثير للانتباه".[١٤]

إنَّ المسيحيَّة مبنيَّة على هذا التصريح المركَزيِّ، لذا فهي متاحةٌ للاستقصاء التاريخيِّ الناقد. وبالطريقة التي سعى بها تشارلز داروين في كتابه "**أصل الأنواع**" إلى التحقُّق من التاريخ الماضي للأحياء بالطريقة المُسمَّاة **الاستدلال بأفضل تفسير** (Inference to the best explanation)، يمكننا النظرُ إلى هذا الحدثِ مستَخدِمين العمليَّةَ ذاتَها. في الواقع، يكتبُ الرسولُ بولس أنَّه لو لم تكُنْ هناك قيامةٌ، لكانَ الإيمانُ المسيحيُّ باطلًا (١كورنثوس ١٥: ١٤). لقد نادى النقَّاد طويلًا أنَّ التصريحاتِ الدينيَّةَ هي ببساطة بياناتُ إيمانٍ دون برهانٍ أو فحوى. ويقولون أيضًا إنَّ تصريحاتِ العلم أكثر معقوليَّة إذ يمكن إثبات عدم صوابِها، لكنْ هذا هو بالضبط ما تصرِّح به المسيحيَّة، فما من دينٍ آخر يبني الثِّقَلَ الكلِّيَّ لمعقوليَّته على معجزة أو حدثٍ وحيد. فكما قال مايكل غرانت (Michael Grant) بجرأة: "إنَّ المسيحيَّة هي الديانة الوحيدة التي تَثبُتُ أو تسقُطُ بواسطةِ أحداثٍ تاريخيَّةٍ مُفترَضة".[١٥]

وهذا الإيمانُ الراسخُ هو ما دفعَ مجموعةً صغيرةً من أتباع السيِّدِ المسيح ليَخرُجوا

من ظِلالِ الخوفِ والشكِّ إلى مركَز التاريخ، وصارَ هذا الإيمانُ مصدرَ الحِكْمةِ والقوَّة الفائقة للطبيعة، والتي كانت بصَدَدِ إفحامِ خصومِهم. وفي النهاية كان هذا الإيمانُ بصَدَدِ غَمْرِ إمبراطوريَّة، لا بواسطةِ البطولة العسكريَّة، بل بالحقِّ الذي ينفَذُ إلى القلب، والحبِّ المستمرِّ الذي لا يُقهر. ولم يكُنِ العالمُ قد شَهِد أيَّ شيء مثل ذلك من قبل، أو حتَّى منذ ذلك الحين. وها هو المؤرِّخ وِل دورانت (Will Durant) يستنتج قائلًا:

"ليس هناك في السجلِّ البشريِّ دراما أعظم من رؤية بضع مسيحيِّين، يُحتقرون أو يُضطهدون بسلسلةٍ متوالية من الأباطرة، محتمِلين كلَّ المِحن بتماسكٍ ملتهبٍ، ومتزايدين في هدوء، وبانين نظامًا بينما يولِّد أعداؤهم فوضى، محاربين السيفَ بالكلمة، والوحشيَّة بالرَّجاء، وفي النهاية تمكَّنوا من هزيمةِ أعتى دولةٍ عرفَها التاريخ. كان قيصر والمسيح قد التقيا في الحَلَبة، وانتصرَ المسيح".[١٦]

هذا الإيمان بأنَّ يسوع قام من الأموات هو ما استَحضَرَ تكريسًا وتضحيةً من أتباعه ليُطيعوا وصاياه. وعلى قمَّة القائمة، كانت الوصيَّة أن يُحبُّوا أعداءَهم؛ فمن المستبعَد جدًّا أن يكونَ أتباعُه أمناءَ لتلك الكلمات لو كانت حياة يسوع قد انتهت إلى الأبد على الصليب. وهنا يقول عالم العهد الجديد أن. تي. رايت (N. T. Wright) إنَّه ما من أحدٍ في العالم القديم بين مَن صرَّحوا عن أنفسهم أنَّهم المسيَّا، ظلُّوا محتفِظينَ بأتباعٍ أو تأثيرٍ بعدَ موتِهم.

من الممكن هنا إضافة أتباع يوحنَّا المعمدان، وكذلك أتباع يهوذا الجليليِّ (Judas the Galilean) وسمعان (Simon) وآثرونجس (Athronges) وإليعازر بن ديناوس (Eleazar ben Deinaus) وألكسندر (Alexander) ومناحم (Menahem) وسمعان بن جيورا (Simon bar Giora)، وابن كوخبا (Bar-Kochba) نفسه. فحين واجَهَ أتباع شخصيَّات مثل هؤلاء هزيمةَ قائدهم، كانوا إمَّا يتجمَّعون بعضهم مع بعض وإمَّا يذوبون ويختبئون

تمامًا، وكانت الإمكانيَّة الأخرى هي الارتباطَ بقائدٍ جديد. وفي حالة المملكة الظاهرة التي عُرفت بعد ذلك باسْم السيكاري (Sicarii)، حين كان يُقتَلُ قائدٌ، كانوا ببساطة يختارون آخرَ من العائلة ذاتها، ولا نسمع بتاتًا عن أيَّة مجموعة بعد موت قائدها ادَّعاؤها أنَّه كان حيًّا من جديدٍ، وأنَّه بذلك تحقَّق توقُّع الأمَّة العبريَّة بطريقةٍ غريبة. لذا يسلِّط التاريخُ الضوءَ على هذا السؤال: ماذا حدثَ ليجعلَ أتباعَ يسوعَ من البداية يتكلَّمون بهذا التصريح، ويستَنبِطون تضميناته؟[١٧] والاحتياج الماسُّ لنا اليوم هو إلى استرداد الإيمان الراسخ نفسه بحقِّ هذا الحدث الذي لدى أولئك التلاميذ الأوائل.

أكثر من مجرَّد درسٍ في التاريخ

طرحَ تلاميذُ يسوعَ السؤال: "مَن هو هذا؟" حين كانوا شهودًا على تهدئته لعاصفةٍ في بحر الجليل بكلمات: "اسكُت، ابكَم". وطرحت الجموعُ السؤال نفسَه حين دخلَ أورشليم قبل صلبِه بأسبوع مع صيحات "أوصنَّا" للملك. والإجابة؟ إنَّه المسيَّا- المسيح المنتظر.

كان الإيمانُ مؤسَّسًا بكلِّ تأكيدٍ على برهانِ قوَّة كلماته وأعماله؛ فقد شفى المرضى وأشبعَ الجموعَ وسارَ على الماء، وأقام لِعازر من الأموات أيضًا، فلم يكُن هذا مجرَّد إنسانٍ. وسيُقال لاحقًا إنَّه ما من إنسانٍ يتكلَّم مثلما تكلَّم هو (يوحنَّا ٧: ٤٦). ومع أنَّ تلاميذ يسوع شاهدوا من كثبٍ أروَعَ ثلاثة أعوام في التاريخ البشريِّ، فإنَّهم كانوا مع ذلك يتصارعون مع الشكِّ، مع أنَّهم رأوا المعجزات وهي تحدث أمام أعينهم، فأيُّ فرصة لنا نحن لنؤمنَ بهذه الأمور بعد ألفَي عام من الأحداث الأصليَّة؟ يؤكِّد هذا السؤال على حقيقةٍ أساسيَّةٍ حين يتعلَّق الأمر بالعلاقةِ بالله: ينطوي الإيمان على ما هو أكثر من مجرَّد تصديق نسخةٍ صحيحة من التاريخ، فبينما موت يسوع وقيامته هما حدثان يُمكن الحكم عليهما تاريخيًّا، فسوف تظلُّ هناك دَومًا دعوةٌ إلى علاقةٍ تتطلَّب خطوةً من الإيمان (الثقة).

قال يسوع لبطرس بعد إعلانه المُذهل أنَّ يسوع هو المسيح: "طوبى لك يا سمعان بن يونا. إنَّ لحمًا ودمًا لم يعلن لك، لكنَّ أبي الذي في السماوات" (متَّى ١٦: ١٧) ومثل التلاميذ الآخرين، كان بطرس قد رأى برهانَ مَن هو يسوع بطريقةٍ مباشرة، إذ رأوا كلُّهم المعجزاتِ نفسَها وسمعوا الكلمات ذاتَها، لكنَّهم لم يقدروا أن يصلوا إلى النتيجة نفسِها؛ فقد كان هناك احتياجٌ إلى شيء أكثر. ويكمنُ السببُ في حقيقةِ أنَّ الله ليس بالموضوع الذي يُدرَس أو القوَّة التي تُقاسُ، بل هو شخصيٌّ، أي يمكنُ أن نقيمَ علاقةً به. فكما هي الحال في أيَّة علاقةٍ شخصيَّة، لا يمكنك إجبارُ أحَدِهم على التكلُّم إليك، فكيفَ إذا طلبتَ أن يعطيَك معلوماتٍ شخصيَّةً عميقةً عن نفسه. فكِّر في حياتك أنت، فقد يعرفُ الناسُ أنَّك موجود، لكنَّ هذا لا يعني أنَّ في وُسعهم إجبارك على إخبارهم بأفكارك أو مشاعرك أو الأمورِ التي تفضِّلُها. أي أنَّك لا تدخلُ في علاقةٍ بشخصٍ آخر دونَ أن تكونَ مدعوًّا، والأمر نفسه هو مع الله؛ إذ ينقل روحُه إلى قلوبنا معنى هذه الحقائق، ثمَّ يقدِّم إلينا دعوةً موجودةً في الوعود المُعطاة. فإذا صدَّقنا كلماته، صارَ لنا أن نقبلَ دعوَتَه.

بعد قيامة يسوعَ بألفي عام، لا تزال الدعوةُ مفتوحةً، ولا يزال في وُسعِنا أن نستجيبَ لها، بل يمكن أن يكونَ لنا لقاءٌ مع الربِّ بالنَّضارة ذاتها كما كان لأولئك الذين ساروا معه بالجسد على سواحل الجليل، ورأوه بعد قيامته. وقد أخبرَ يسوعُ تلاميذَه قائلًا: "إنَّه خيرٌ لكم أن أنطلقَ؛ لأنَّه إنْ لم أنطلِقْ لا يأتيكم المعزِّي. ولكنْ إنْ ذهبْتُ أرسله إليكم" (يوحنَّا ١٦: ٧). بالتَّأكيد، اقتراحُ أنَّ الله يتواصل مع البشريَّة مباشرةً لهو مَدعاةٌ للسُّخرية العميقة من صفوف غير المؤمنين. فحقيقيٌّ أنَّ هناك إساءةَ استخدامٍ ضخمةً في المنطقة الخاصَّة بالتصريح أنَّ "الله كلَّمني بشيء"، لكنَّ هذا الافتراض لا يعني أنَّ الله غير قادر على التواصل معنا أو أنَّه لا يفعل ذلك. على قدر قوَّة البرهان والحُجج المؤيِّدة لحقِّ الإيمان المسيحيِّ، فإنَّ الامتيازَ الأعظَمَ المتاحَ للبشريَّة هو علاقةٌ شخصيَّةٌ بالخالق، وقد كتب القدِّيس أغسطينوس (Augustine) بشأن ذلك: "لن تهدأ قلوبُنا حتَّى تجدَ راحتَها فيك"[١٨] ويتكلَّم الكتابُ

المقدَّسُ عن محبَّة الله "الفائقة المعرفة" (أفسس ٣: ١٩)، فأن تعرفَ عن شخصٍ هو أمرٌ، أمَّا أن تعرفَ ذلك الإنسانَ شخصيًّا فهو أمرٌ آخر.

يمكن أن يُعينَ البرهانُ التاريخيُّ الناسَ كثيرًا في رحلتهم نحو الله، لكنْ لا يمكنه وحده أن يُحضِرَ شخصًا إلى الله بالكامل، إذ لا يستطيع المؤرِّخون التصريح بشأن الماضي القديم بيَقينٍ مُطلَق، بل فقط بمستَوَياتٍ متنوِّعة من الثقة. بكلمات أخرى، نادرًا ما يتحدَّث المؤرِّخون بشأن ما حدث **قطعًا**، بل ما حدث **على الأرجح**، كما يتَّضحُ من الاقتباس التالي: "نادرًا ما يؤمن المؤرِّخون بالحقيقة المطلَقة لما يكتبونه، بل ببساطة بالحقيقة المُحتَمَلة. ومع ذلك، فعدم القدرة على الوصول إلى اليقين المُطلق لا يمنعُ المؤرِّخين من أن يكونوا على يقينٍ كافٍ".[١٩]

بطريقة مختلفة قليلًا، يمكن القولُ إنَّ اليقينَ المُطلَقَ ممكنٌ فقط في مجالاتٍ مثل الرياضيَّات، لكنَّ الرياضيَّات لا يمكنها التحدُّث إلى الأحداث التاريخيَّة مباشرةً. ومع ذلك فبعض الأحداث يدعمُها الكثير من البرهان حتَّى إنَّ احتماليَّةَ حدوثها عالية جدًّا بحيثُ يسعُنا أن نقولَ بيقينٍ، وفي جميع الإطاراتِ العمليَّة، إنَّ هذه الأحداث وقعَتْ بالفعل. يعلِّق الكاتب والمؤرِّخ جيرالد أوكولينز (Gerald O'Collins) على ذلك قائلًا: "لا يمكن أن تُظهِرَ الحسابات الرياضيَّة وُجودَ الإسكندر الأكبر ومسار حياته في القرن الرابع قبل الميلاد. لكنَّ البرهان التاريخيَّ التقاربيَّ يجعل الأمرَ عبثيًّا لو أنكرنا أنَّه عاشَ وغيَّر الوجهَ السياسيَّ والثقافيَّ للشرق الأوسط".[٢٠]

يقعُ برهان القيامة تحت هذه الفئة؛ فهو برهانٌ قويٌّ، بحسب أكثر المقاييس التاريخيَّة موثوقيَّة، حتَّى إنَّ إنكارَ الحدث هو أمرٌ غيرُ مبرَّرٍ، إذا تناول الشخصُ البرهانَ بموضوعيَّةٍ وانفتاح. وهنا يقع التحدِّي؛ فما من أحدٍ موضوعيٍّ بحقٍّ؛ إذ إنَّنا نرى العالمَ بتَحيُّزاتٍ وافتراضاتٍ غيرِ واعية. وقد تنتُجُ التحيُّزات من النشأة أو من تأثيراتٍ ثقافيَّةٍ أخرى. فمثلًا، لو نشأَ شخصٌ على إنكار وجودِ ما هو فائق للطبيعة، فسوف يرفضُ ببساطةٍ برهانَ القيامة حتَّى قبل اختباره. وقد تنتُجُ التحيُّزات أيضًا من

أناسٍ يعيشون في تمرُّدٍ ضدَّ الإله الحقيقيِّ، واهبينَ قلوبَهم لأوثانٍ مثل المال والسُّلطةِ والمكانة، وكما قال الرسولُ بولس: "إلهُ هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلَّا تُضيء لهم إنارةُ إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله" (٢كورنثوس ٤: ٤).

خطوةُ الثقة

بغضِّ النظر عن هذه المعوِّقات، الدعوةُ مقدَّمةٌ إلينا للدُّخول في علاقةٍ شخصيَّةٍ بالله، وهي تتطلَّبُ خطوةَ ثقةٍ في الاتِّجاه الذي يقود إليه البرهانُ، وهي خطوةٌ تتضمَّن قلوبَنا (أرواحنا) وأذهانَنا معًا. وعلينا هنا أن نتذكَّرَ الوصيَّةَ العُظمى التي أوصانا بها الله: أن نحبَّه من كلِّ القلبِ والفكر والنفس والقدرة (مرقس ١٢: ٢٩-٣٠ وتثنية ٦: ٤-٥). وقد علَّمَ يسوعُ قائلًا: "الله روحٌ. والذين يسجدون له فبالروح والحقِّ ينبغي أنْ يسجدوا" (يوحنَّا ٤: ٢٤).

إذا سجَدْنا لله بأذهاننا فقط، فسيكونُ لنا هذا مجرَّد تدريبٍ فكريٍّ، يكونُ محدودًا بِطاقتِنا وقدراتِنا الفكريَّة. وفي المقابل، تتخطَّى المحبَّةُ الحقيقيَّةُ إلى ما وراء العقل، ويمكن أن يشهَدَ أيُّ شخصٍ متزوِّج أو شخصٍ في حالةِ حبٍّ عن الطبيعة الفائقة الخاصَّة بمحبَّةِ شخصٍ لآخر؛ فهي خبرةٌ تتضمَّن التحليل والتفكير. لكنَّ هذا بعدٌ واحدٌ فقط، فنحن كِياناتٌ روحيَّةٌ، ولسنا جسديِّين فقط، ومع ذلك فلا يزال الذهنُ أساسيًّا، إذ يعملُ البُعدُ الفكريُّ كقاضٍ وحَكَمٍ على الحقائقِ المتاحة لنا، إذ نحتاج إلى الإيمان بقلوبنا لكنْ دونَ رَفْضِ أذهاننا، فالأمر ليس إمَّا هذا وإمَّا ذاك، فهذا الاختيار الزائف هو اللحنُ المستمرُّ للمتشكِّكين القائلين إنَّ الإيمانَ والعقلَ متناقِضان، ومع ذلك فهما متوافِقان، ومرتبِطانِ أيضًا على نحو لا ينفصل.

لقد صنعَنا الله على نحوٍ نستطيع به إدراك أمرٍ ما بقلوبنا (أرواحنا) حتَّى وإنْ لم تقدر أذهاننا على فهمه بالكامل. كيف يمكن أن يدركَ المحدود إدراكًا كاملًا غيرَ المحدود؟ إذا كانت هناك رسالةٌ مركَزيَّة للكِتابِ المقدَّس من البداية إلى النهاية،

فهي الثقة؛ إذ يعطينا الله برهانًا كافيًا في الأمور التي نستطيع معرفتها، لنثقَ به في الأمور التي لا نقدر أن نفهَمَها.

بوصفي أبًا لخمسة أطفال، أمضيتُ أيَّامًا كثيرة أعلِّمهم أن يثقوا بي. فحين كانوا يتعلَّمون السباحة، كنتُ أطلبُ منهم القفزَ إلى ذراعيَّ من جانبِ البركةِ، بينما أقفُ أنا في الماء. ورغم أنَّهم لم يكونوا يفهمون كلَّ الأسباب التي يمكنهم بها الوثوق بي حين كنتُ أطلبُ منهم أن يتَّخذوا "قفزة إيمان"، فقد كان لديهم برهانٌ كافٍ للثقة بكلماتي والقفز في الماء. وما كنتُ أطلبه منهم هو أن يتَّخذوا خطوةَ ثقة. ويشبهُ طلبي لأطفالي خطوةَ الثقة التي يطلبها الله منَّا، إذ يدعونا إلى الإيمان به، لا بناءً على إيمان أعمى، بل بناءً على الكيفيَّة التي أثبتَ بها أنَّه جديرٌ بالثقة في حياتنا، وعلى مدى التاريخ أيضًا.

الخلاصة

حين يتعلَّق الأمرُ بالأمور المركَزيَّة في الإيمان المسيحيِّ، فإنَّ الخلافَ لا يكون عادةً بشأن حقائق التاريخ، بل بشأن الافتراضات ووجهات النظر لأولئك الذين يفسِّرون تلك الحقائق. وبينما تسمع البرهان بشأن يسوع وتفكِّر فيه مليًّا، ستكون قادرًا أن تعرفَ بثقةٍ أنَّه ابن الله. وستُظهر الفصول من الثاني إلى الخامس أنَّ برهانًا غامرًا يؤيِّد أنَّ يسوع هو حقًّا إنسانٌ تاريخيٌّ، وأنَّه صُلب ومات ودُفن، ثمَّ قام من الأموات. فضلًا عن ذلك، تدْفعُ هذه الفصول بأنَّ الأناجيلَ هي سجلَّاتٌ موثوقٌ بها لحياة يسوع وخدمته وتعليمه. وفي الفصلِ السادس، ستُرفَضُ الفكرةُ العبثيَّةُ أنَّ حياةَ يسوعَ تَجِدُ أصولًا لها في الميثولوجيا الوثنيَّة، كما سيُظهر الفصل السابع أنَّ يسوعَ هو المسيح المنتظر، مخلِّصُ العالم. ويستكملُ الفصلُ الثامن هذه الفكرة بالدفْع بحقيقةِ معجزاتِ يسوع، ويُظهر أنَّ أتباعه استمرُّوا في عمل المعجزات باسْمِه بعد قيامته حتَّى يومنا هذا. وأخيرًا يشرح الفصلان التاسع والعاشر كيف يمكنك أن تأتي إلى معرفةِ يسوعَ معرفةً شخصيَّةً، ثمَّ تخطو نحو خُطَّتِه لحياتك.

٢

الحدُّ الأدنى من الحقائق

ما يؤمن به حتَّى المتشكِّكون

"لقد جمَّع غاري هابيرماس قائمة من أكثرَ من ٢٠٠٠ مصدرٍ بالفرنسيَّة والألمانيَّة والإنكليزيَّة كتبَ فيها الخبراءُ عن القيامة منذ ١٩٧٥م إلى الآن. وقد حدَّد حدًّا أدنى من الحقائق عليها برهانٌ قويٌّ، وتحسبُها الغالبيَّةُ العُظمى من العلماء، بما فيهم المتشكِّكون، حقائق تاريخيَّة".[١]

مايكل ليكونا (Michael Licona)

كان غاري هابيرماس على وشك أن يفقدَ إيمانَه المسيحيَّ وهو طالبٌ صغير السنِّ يدرس الدكتوراه في جامعة ولاية ميشيغن. وأن تسمعَ أمرًا كهذا هو وضعٌ مألوفٌ حين يطَّلعُ الناسُ على مجلَّداتٍ من النقاش والتفكير الناقد حول الإيمان بالكتاب المقدَّس بوصفه كلمة الله المُعلَنة للبشريَّة. كان غاري مرتبكًا ومُستَنزَفًا من هذا المشروع حتَّى إنَّه كان يفكِّر أن يصيرَ بوذيًّا. كان قد قرأ في الكتاب المقدَّس ما قاله بولس إنَّه لو لم يكُنْ يسوع قد قام من الأموات لكانَتِ المسيحيَّة باطلةً- أو بتعبيره "فباطل إيمانكم" (١كورنثوس ١٥: ١٧). واستنتج من هذا أنَّه لو كان قادرًا أن يضعَ ثقتَه في حدوثِ القيامة فعلًا، فسوف تحفظ تلك المعرفة إيمانَه. لذا قدَّم حينها مُقترحًا بحثيًّا للجنة الدكتوراه المشرفةِ عليه مُعبِّرًا عن رغبته في الكتابة عن قيامة يسوع، وكانت اللجنة مكوَّنة من عالم يهوديٍّ، ولاأدريٍّ وعالِمين آخرَين لا

يؤمنان بأنَّ الكتابَ المقدَّسَ هو كلمةُ الله الموحَى بها. وحينَها قال رئيسُ اللجنة: "حسنًا، عليك فقط ألَّا تعود وتخبرنا بأنَّ يسوع قام من الأموات لمجرَّد أنَّ الكتاب المقدَّس يقولَ ذلك".

في بحثه عن البرهان التاريخيِّ للقيامة، جمَّع الحقائق التي سيقبلها أغلبُ المؤرِّخين بغضِّ النظر ما إذا كانوا مسيحيِّين أم لاأدريِّين أم ملحدين، ووصل إلى طريقةٍ أسماها لاحقًا منهاج "الحدِّ الأدنى من الحقائق"[٢]، وهي مُصمَّمة تصميمًا جيِّدًا لمناقشة الإيمان مع المتشكِّكين؛ إذ إنَّها تُظهِر أنَّ المعتقداتِ المسيحيَّة، ولا سيَّما القيامة، ليسَتْ مسألةَ إيمانٍ فحسب، بل مسألةُ تاريخ.

يقول د. مايكل ليكونا، المؤرِّخ والمؤيِّد لمنهاج الحدِّ الأدنى من الحقائق: "بعضُ الحقائق مُبرهَنة بقوَّة إلى درجة تجعلها لا تقبل الجَدَلَ عمليًّا. ويُشار إلى هذه الحقائق بأنَّها «حجرُ أساسٍ تاريخيٌّ»...وتتضمَّن أحجارُ الأساس التاريخيَّة تلك الحقائق التي تحقِّق معيارَين: أوَّلًا هي حقائقُ مُبرهنةٌ بقوَّةٍ لدرجةٍ يمكن بها أن يحسبَها المؤرِّخُ حقائقَ تاريخيَّة، وثانيًا، يحسبُها أغلبُ العلماء المعاصرين حقائقَ تاريخيَّة".[٣] وتقعُ أنواع البرهان المحدَّدة، والتي تقود إلى حسبانِ حقيقةٍ ما حقيقةً تاريخيَّة، في فئاتٍ متنوِّعة. وكما هو مذكورٌ سابقًا، عادةً ما يُعدُّ تصريحٌ تاريخيٌّ محتملًا على نحوٍ كبير إذا صَرَّحَتْ به مَصادرُ مستقلَّةٌ عدَّة. ويقول پول ماير (Paul Maier) في هذا الإطار: "تستندُ الكثيرُ من الحقائق من العصور القديمة إلى مصدرٍ قديمٍ واحدٍ فقط، لذا فوجود مصدرَين أو ثلاثةَ مصادرَ متَّفقةٍ يجعلُ الحقيقة عمومًا حقيقةً لا يَرقى إليها شكٌّ".[٤]

علاوةً على ذلك، تُعدُّ المصادرُ أكثر موثوقيَّة إذا وُجدتْ في وقتٍ قصير بعد الأحداث الفعليَّة، كما تُعدُّ النصوصُ جديرةً بثقةٍ أكبرَ إذا سجَّلتْ تفاصيلَ تتضمَّنُ حرجًا للكُتَّاب. فكلَّما حقَّقت البيانات التاريخيَّة هذه المعايير، صارَ التصريحُ التاريخيُّ على الأرجح معترَفًا به أنَّه حقيقة.

إنَّ عمليَّة تقييم التصريحات التاريخيَّة باستخدام هذه المعايير هي في جوهرها الطريقة العلميَّة المُطبَّقة على التاريخ. ويقدِّم منهاجُ الحدِّ الأدنى من الحقائق أرضًا مشتركةً لإشراك الناس في نقاش حقيقيٍّ هادف. فبوصفي شخصًا يؤمن إيمانًا راسخًا بموثوقيَّة الكتاب المقدَّس، كان هذا المنهاج حقًّا أشبَه باكتشافٍ في ما يتعلَّق بإيصالِ حقِّ الإنجيل إلى غير المؤمنين ممَّن يشكُّون في موثوقيَّة الأناجيل.

كما يفيد هذا المنهاجُ في عمله بوصفه أداةً للتعامل مع المشكِّكين الراديكاليِّين الذين لن يشتركوا في البرهان الحقيقيِّ للإيمان المسيحيِّ، بل يجزمون بسَخافات من قبيلِ أنَّ يسوع لم يكُن موجودًا أصلًا، ويُمكن أن يُسمَّى منهجهم "الشكَّ الأعمى". ولا يقدر مؤرِّخو التاريخ القديم أن يستخدموا مثل هذا التشكيك بتاتًا دون التقويض الكامل لهذا الفرع المعرفيّ. "لو بدأنا من نقطة انطلاق تفترض التشكيك في المصادر القديمة الأخرى، كما يفعل بعضُ العلماء مع الأناجيل، لَمَا عرَفْنا سوى القليلِ جدًّا عن العصور القديمة".[٥]

الحقائق مُزعجة، إذ تميلُ إلى الوقوف حائلًا في طريق تأكيد الخصم أنَّه ما من برهان على أنَّ المسيحيَّة حقيقيَّة. لذا سوف نختبرُ في هذا الفصل بعضًا من بين الكثير من حقائق التاريخ التي وضعها علماء مثل هابيرماس بوصفها حدًّا أدنى من الحقائق. وتتضمَّن أحداثًا مذكورةً خارجَ الكتابِ المقدَّس وداخله أيضًا. ولنتذكَّرْ أنَّه حتَّى معظم المُشكِّكين المتحمِّسين يقبَلون أمورًا كثيرةً في الكتاب المقدَّس بوصفِها حقيقةً لا جدَلَ فيها.

قبل أن نبدأ في الحدِّ الأدنى من الحقائق، نختبرُ أوضَحَ تصريح في الإيمان المسيحيِّ، والذي شكَّك فيه بعضُ الأشخاص: "هل كان يسوع موجودًا حقًّا؟". لا يُدرَجُ وُجودُ يسوعَ في القائمة ليكونَ أحدَ حقائق الحدِّ الأدنى؛ لأنَّه كان موجودًا بالتَّأكيد.

مع ذلك؛ ولأنَّ هناك مَن يريدون تحدِّي هذه الحقيقة في سبيل الجدل بشأن ما قاله وما فعله ومَن كان هو حقًّا، فسوف نبدأ مناقشتنا على هذا المستوى الابتدائيِّ.

خبر عاجل: يسوع عاش بيننا!

حتَّى بضع سنوات خَلَتْ، كان حُكمُ المؤرِّخين بالإجماع تقريبًا أنَّ يسوعَ شخصٌ تاريخيٌّ حقًّا. غير أنَّ ازدِيادَ الإلحادِ في العقد الأخير شَهِدَ ازديادَ المشكِّكين البارزين الذين يؤكِّدون "شكوكَهم" في وُجودِ يسوعَ دون تقديم أيِّ برهان عقلانيّ. لقد سمعتُ ملحدين بارزين مثل ريتشارد دوكينز وآخرين يقولون أمورًا مثل: "يسوع، حتَّى لو كان موجودًا..." من المهمِّ ملاحظة أنَّ هؤلاء الرجال ليسوا مؤرِّخين وهم يؤكِّدون ببساطةٍ هذا الخلاف، وهم يأمَلون ألَّا يتحدَّاهم أحَدٌ لأنَّهم عُلَماء. لقد تراجَعَ دوكينز عن رأيه منذ ذلك الحين، وهو يعترف الآن أنَّ يسوعَ كان موجودًا.[٦]

ومع ذلك، فقد تسرَّب هذا التوجُّه الرافض إلى دماء الثقافة الشعبيَّة، وهو يزدهرُ في عالم المدوَّنات وعلى المواقع الإلكترونيَّة للمُلحدين، وهو أمرٌ مساوٍ لحصولك على الأخبار من الصُّحف الشعبيَّة في محلِّ البقالة- الصُّحف ذات العناوين الرئيسيَّة مثل "اختطفتني مخلوقاتٌ فضائيَّة". قال بارت إيرمان: "كان يسوع موجودًا، وأولئك الأشخاص دائمو الجدل الذين ينكرون هذا الأمر إنَّما يفعلون ذلك لأنَّ لديهم أجندةً يخدمُها هذا الإنكار، وليس لأنَّهم فكَّروا مليًّا في البرهان مستخدمين عين المؤرِّخ النزيهة".[٧]

هذه الحقيقة من التاريخ مستقرَّة في أذهان المؤرِّخين الجادِّين، بغضِّ النظر عن معتقداتهم الدينيَّة. ولا تزالُ حياةُ يسوع بسنواتِها الثلاثة والثلاثين هي الحياةَ الأهمَّ في كلِّ الوجود البشريِّ، وتعاليمه هي حجر أساس الحضارة بعد ذلك بألفي عام.

حتَّى الحاجة إلى الدفاع عن حقيقة أنَّ يسوع كان شخصًا حقيقيًّا إنَّما تُظهر طبيعةَ تحدِّي العَيشِ في عصرٍ تتحوَّر فيه المعلومات بسرعةٍ إلى تضليلٍ؛ فالمنكرون الراديكاليُّون يتنصَّلون من أيِّ حدثٍ لا يتواءم مع روايتهم المُفضَّلة. ويُعدُّ وُجودُ يسوعَ تنازلًا صعبًا، بل مستحيلًا لكلِّ متشكِّكٍ يحاول يائسًا كَبْتَ أيِّ اقتراح يتعلَّقُ بالمصداقيَّة التاريخيَّة للإيمان المسيحيِّ.

ما يُثيرُ السخريةَ في داخلي هو أنِّي أكتُبُ هذا الفصلَ الآن بينما أنا في مدينة القدس. وسيكون من الصعب أن أجد أيَّ شخصٍ يعيشُ هنا اليومَ وينكر أنَّ يسوع كان موجودًا؛ فلا يُمكن إنكارُ تأثير حياته في هذه الأرض. وهناك أفواجٌ من الجماهير تأتي إلى هذا الجزء من العالم ليتجوَّلوا في الأماكن التي عاشَ فيها يسوع ووعظ وصنع معجزات. وقد كان شعوري لوقتٍ طويل أنَّ أيَّ شخصٍ يشكُّ في وجود يسوع عليه ببساطة المجيء إلى هذه الأرضِ، وتمضية أسبوع واحد. ولن تحتاج إلى عالمٍ أو مؤرِّخٍ؛ إذ يمكن أن يضعَك أيُّ مرشد سياحيٍّ على الطريق الصحيح. ومع ذلكَ صارَت هذه المسألةُ موضعَ تشكيكٍ، لا سيَّما لمن هم دون سنِّ الثلاثين في الولايات المتَّحدة.

قابلتُ مؤخَّرًا هيث آدامسن (Heath Adamson)، أحَدَ البارزين في مجال التواصل مع الشباب في أميركا. وتوقَّف بعد سماعه المناقشة عن تأليفي كتابًا يقول إنَّ يسوع كان موجودًا، وقال: "هذا أهمُّ سؤال يمكننا الإجابة عنه للشباب الذين يصارعون ليجدوا إيمانًا- هل حقًّا كان يسوع موجودًا؟" لو لم يكُن يسوع قد عاش أصلًا، فأمرُ الإيمان به هو أمرٌ زائفٌ بالإجمال.

للوهلة الأولى، يتَّضحُ الدافعُ من وراء مثل هذا الشكِّ الأعمى. فلو كان يسوعُ غير موجودٍ، فلن يكونَ عليك أن تشغلَ بالك بكلِّ العمل الشاقِّ للنظر في برهان كلماته أو أعماله أو كلِّ الحقائق التاريخيَّة الأخرى التي تتطلَّب حُكمًا عادلًا.

تمامًا مثل الجدل الدائرِ بقضيَّة وُجود الله؛ إذ يظنُّ المتشكِّكون أنَّه بتكرار العبارة السحريَّة مرَّة تلو الأخرى: "لا يوجد برهان على وجود الله...لا يوجد برهان على وجود الله"، فسيختفي الأمر تمامًا بكلِّ بساطة، ويبدو أنَّهم يحاولون الحيلةَ ذاتَها في ما يتعلَّق بوجود يسوع المسيح.

في فيلم "الله ليس ميتًا، الجزء ٢" (God's Not Dead 2)، يستَعِرُ الجدلُ حول ما إذا كان ممكنًا لمدرِّس أن يذكر اسمَ يسوع في أثناء التدريس أم لا. إذا كان يسوع

قد عاش هنا على الأرض، فلِمَ لا يُشار إليه، لا سيَّما في ضوء حقيقة أنَّ تأثيرَ حياتِه لا يزال حاضرًا إلى اليوم؟ فحتَّى نقَّاده يعترفون بأنَّ كلماته غيَّرتِ العالم وأعطَتْنا مقياسًا أخلاقيًّا لا مثيل له في التاريخ. لم يكُنْ وليَم ليكي (William Lecky) صديقًا للمسيحيِّين، بل مناوئًا، ورُغم ذلك كتبَ قائلًا:

"لقد أظهرَتِ المسيحيَّةُ في تبعيَّتها لقائدها أنَّها قادرة على العمل على مستوى جميع الأعمار والشعوب والطباع والأوضاع. وقد كانت ليس فقط أعلى نموذج للفضيلة، بل أيضًا أقوى حافزٍ لممارستها، وكان لها تأثيرٌ عميقٌ حتَّى إنَّه يمكن القول بحقٍّ إنَّ السجلَّ البسيطَ لثلاثة أعوام من الحياة الفاعلةِ، أسهَمَ في تجديد البشر وتليينهم أكثر من كلِّ محاضرات الفلاسفة وعِظاتِ الأخلاقيِّين".[٨]

ليس الدافعُ الحقيقيُّ للمتشكِّكين في إنكار أنَّ يسوع عاش بالفعل هو نقص البرهان؛ إذ لديهم أحيانًا الرغبة في مهاجَمةِ المسيحيَّة بأيَّةِ وسيلة ممكنة بسبب الشرِّ الذي يرتكبه مَن يقولون عن أنفسهم إنَّهم مسيحيُّون. وللأسف يمثِّل هذا المنظور سوءَ فهم ضخمًا للتاريخ وللكتاب المقدَّس. فالأعمال المظلمة المُرتكبة باسْم يسوع، والأعمالُ الوحشيَّة في أثناء الحملات الصليبيَّة، ومحاكم التفتيش، والحملات ضدَّ اليهود، جاءت كلُّها في تعارضٍ مباشر مع كلمات يسوعَ، وقد قالَ يسوعُ المسيحُ نفسُه إنَّ كثيرين سيدعونه "يا ربُّ، يا ربُّ" لكنَّهم لن يفعَلوا ما قاله (لوقا ٦: ٤٦).

علاوةً على ذلك، سيقبل كثيرون من أتباع يسوع في النهاية بحُكم الموت على أن يُنكروا أنَّ يسوع عاش ومات وقام. فماذا يمكن أن يجنيَ الناس من تلفيقِ تعليمٍ يتضمَّن "أحبُّوا أعداءكم" و"أكبركم يكون خادمًا لكم"؟

بكلِّ تأكيد ما كان القادة الدينيُّون ليلفِّقوا شخصيَّة لَمن كان يُطلِقُ عليهم لقبَ مرائين، ولا يمكن أن يكونَ الحكَّام الرومان هم مصدرَ هذه القصَّة؛ فلم يكونوا

يريدون أيَّ تحدٍّ لسلطتهم. لا، فالبرهان جليٌّ، ويسوعُ التاريخيُّ هو بالحقيقة مسيحُ الإيمان المُسجَّلُ في الكتابِ المقدَّس، والخطوة الحيويَّة الأولى هي معرفة هذا البرهان التاريخيّ، وبذلك سنكون مستعدِّين للتَّعامُل مع التصريحات التي لا أساس لها والتي تنتشر في ثقافتنا بقصد تقويض الإيمان بمصداقيَّة القصَّة المسيحيَّة.

تذكَّر أنَّنا نبحث عن برهان التاريخ المقبول حتَّى من الذين لا يثقون بالموثوقيَّة الكاملة للأناجيل، وكما سنرى بوضوح في الفصل الثالث أنَّ الأناجيلَ مَوثوقٌ بها، وهي مصادرُ ممتازةٌ لتوكيد ما حدث تاريخيًّا في ما يتعلَّق بحياة يسوع. لكنْ لا يزالُ في وُسعِنا تأسيس التصريحات والأحداث التالية بوصفها حقيقيَّة، وذلك من أجل لقاء المتشكِّكين بشروطهم، والنظر إلى البرهان المقبول من معظم المؤرِّخين.

صَلْبُ يسوعَ المسيح

الحقيقة الأولى في الحدِّ الأدنى من الحقائق هي أنَّ يسوع مات مَصْلوبًا. والصليب هو رمز الإيمان المسيحيِّ، وهو أحَدُ أشهرِ الشعاراتِ الدينيَّة التي يمكن تمييزها في العالم. ويؤمن مليارا شخصٍ تقريبًا بأنَّ لصَلْبِ يسوعَ علاقةً بأن يغفرَ الله خطاياهم. وفي الفصل التالي سننظر بعُمقٍ أكثر إلى أسباب صَلْبه، وكيف يؤثِّر موتُه في علاقتنا بالله، أمَّا هنا فسوفَ ننظرُ إلى حقيقة أنَّ إعدامه حدث فعلًا، وهو مسجَّلٌ ليس فقط في الأناجيل الأربعة، بل تقريبًا في كلِّ كتابات الكنيسة الأولى التي تزخرُ بإشارات إلى هذا الحدث.

وعلى قمَّة هذا البرهان نجد تقاريرَ المؤرِّخين والكُتَّاب الذين لم يكونوا متعاطفين مع القضيَّة المسيحيَّة؛ فحين يشير عدوٌّ أو خصمٌ إلى حدث ما، يحسبُ المؤرِّخون تلك الحقيقة علامةً على الأصالة. وأشهرُ مصدرٍ يهوديٍّ هو فلافيوس يوسيفوس (Flavius Josephus)، وهو مؤرِّخ يهوديٌّ وظَّفه الرومان، وكان يكتب في زمانِ المسيح، وكتبَ قائلًا: "حين كان بيلاطس قد حَكَم عليه [على يسوعَ] ليُصلَب، بعد أن سمعَ أنَّ رجالًا من أعلى مكانةٍ بيننا اتَّهموه..."[٩].

مصدرٌ آخر هو تاسيتس (Tacitus)، ويُعدُّ عمومًا الأعظمَ بين المؤرِّخين الرومان، وكان حاكمًا لآسيا ما بين عامَي ١١٢ و١١٣م، وكتبَ عملَه الأخيرَ "**الحوليَّات**" (The Annals) نحو ١١٦-١١٧م. وقد تضمَّن هذا العملُ ما يلي: "ألقى نيرون بالذَّنْب [ذنب حرق روما] على فئةٍ تُسمِّيها الجماهيرُ المسيحيِّين، وألحق بهذه الفئةِ المكروهة عذاباتٍ مقيتةً. وخريستوس (Christus)، الذي منه أصل اسمِهم، تكبَّد العقوبةَ القصوى في أثناء حُكم طيباريوس (Tiberius) على يدِ أحَدِ ممثِّليه، بيلاطس البنطيِّ".[١٠]

كان لوقيان (Lucian) مصدرًا رومانيًّا آخر، وكان كاتبًا مسرحيًّا في القرن الثاني، وقد كتبَ: "يعبُدُ المسيحيُّون، كما تعرفون، رجلًا إلى هذا اليوم- الشخص المميَّز الذي أدخل طقوسَهم الجديدة، وصُلِب لهذا السبب".[١١]

والمثَلُ الأخير، يسجِّل التلمودُ- وهو تجميعٌ لتعليم يهوديٍّ- أنَّه "في عشيَّة الفصح، عُلِّقَ يشوع (Yeshua)"[١٢]، واسم "يشوع" في العبريَّة مُترجَمٌ يسوع (Jesus) في اليونانيَّة. وكوْنه مُعلَّقًا على شجرةٍ كان يُستخدم لوصف الصَّلب في العصور القديمة.

لقد تركَتِ الملحَمةُ الكاملةُ لمحاكمة يسوع وإعدامه وتشتُّتِ تلاميذه أثرًا واضحًا في التاريخ، وهي شاهدةٌ على كونِ هذه الأحداث الحاسمة حقيقيَّة. لذا فمَوتُ يسوعَ بالصَّلْبِ هو حقيقةٌ تاريخيَّة مَدعومةٌ ببرهانٍ قويّ، والاحتماليَّة التاريخيَّة لصَلْبِ يسوع "تحت حُكم بيلاطس البنطيِّ" هو الأكثر يقينًا بين كلِّ التصريحات المتعلِّقة بيسوع.[١٣]

القبرُ الفارغ

حقيقة مهمَّةٌ أخرى هي أنَّه بعدَ صَلْبِ يسوعَ، وَجَدَتْ مجموعةٌ من النساء كنَّ يتبَعْنَه قبرَه فارغًا. ولا يضمِّن هابيرماس القبرَ الفارغَ رسميًّا بوصفه حقيقةً من الحدِّ الأدنى للحقائق؛ إذ يهبط عدد العلماء النقَّاد الذي يقبلون حقيقته إلى نحو ٧٥٪.[١٤]

(مقارنةً بأكثر من ٩٠٪ للحقائق الأخرى من الحدِّ الأدنى).[١٥] ومن المُحتمل أن يكونَ هذا الهبوط بسبب المضمون العميق لقبرٍ فارغ. فإذا كان يسوع قد دُفن بعد موته، يكون القبر الفارغ حينها جزءًا حاسمًا يُضاف إلى البرهان المؤيِّد للقاء التلاميذ ويسوع في صورة ملموسة.

ورغم القبول الأقلِّ قليلًا، فإنَّ برهانَ القبر الفارغ هو برهانٌ هائل؛ فأوَّلًا، تذكُرُ كلُّ الأناجيل الأربعة أنَّ نساءً كُنَّ شاهداتِ العِيان الأوائل. ولهذه الحقيقة مدلولٌ كبير؛ لأنَّ شهادةَ النساء كانت عادةً ما تُرفض في المحاكم قديمًا[١٦]، وهكذا ليس هناك كاتبٌ في القرن الأوَّل يلفِّقُ قصَّةً بهذا الشكل بتاتًا.

تذكُرُ الأناجيل الأربعة كلُّها أيضًا أنَّ جسدَ يسوعَ طُلب فورًا من بيلاطس من قِبل يوسف الراميِّ، وأنَّه وضعه في قبره. فضلًا عن ذلك، تقولُ العقيدةُ التي يذكرُها بولس في ١كورنثوس ١٥: ٤: "وأنَّه دُفِن"، فإذا كان دُفن، يكون القبر علامةً جغرافيَّة وتاريخيَّة أيضًا، ويكون حينها كلُّ ما على السلطات اليهوديَّة والرومانيَّة فعله هو إظهار جَسَدِ يسوعَ الميِّت، وستتوقَّف حينها القصَّة المسيحيَّة توقُّفًا صارخًا.

يحاول المشكِّكون التغلُّب على هذا البرهان بالتشديد على أنَّ يسوعَ ما كانَ ليحصُلَ على دفنٍ ملائم، بل إنَّ الرومان كانوا يُلْقون بالأجسادِ إلى الحيوانات المفترسة. أوَّلًا، مثل هذا الفعل كان ليَتجاوَزَ القوانينَ الرومانيَّة والتي تقول إنَّه ينبغي احترامُ عادات الأمم التي كان الرومان يحتلُّونها قدرَ الإمكان.[١٧] وكانت قوانين مثل هذه تُسنُّ للحفاظ على السِّلم الأهليِّ.[١٨] علاوة على ذلك، كان الناموسُ اليهوديُّ يأمرُ بوُضوحٍ أن تُدفنَ أجسادُ المذنبين لئلَّا تتنجَّس الأرض. "وإذا كان على إنسان خطيَّة حقُّها الموت، فقُتل وعلَّقتَه على خشبة، فلا تَبِتْ جثَّتُه على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لأنَّ المعلَّق ملعون من الله. فلا تُنَجِّس أرضَك التي يعطيك الربُّ إلهك نصيبًا" (تثنية ٢١: ٢٢-٢٣).

وقد قال عالمُ العهد الجديد كريغ إيڤانز (Craig Evans): "عند وَضْعِ العادات والحسَّاسيَّات اليهوديَّة في الحسبان، يكون من المتوقَّع، بل من المُقتضى، أن يجريَ الدَّفن".[١٩] وبالمدلولِ المهمِّ ذاته، نجد أنَّ تقليدَ الكنيسةِ الأولى يتَّسمُ بالإجماع بشأن تحديدها موقعَ القبر. حيث يقع القبرُ المُحدَّد داخل أسوار أورشليم، بعد أن تغيَّر موقعُ الأسوار إلى الخارج ما بين عام ٤١ و٤٣م، وكانت العادة تتطلَّب أن يُدفَنَ يسوعُ خارج الأسوار. لذا يعود التقليدُ الخاصُّ بمكان القبر بالتَّأكيد إلى الماضي في مدَّةٍ زمنيَّةٍ لا تتجاوزُ عشرة أعوام من القيامة. وبذلك تكون احتماليَّة تلفيق قصَّةِ القبر، وهي بهذا القُرب من الأحداث الفعليَّة، احتماليَّةً ضعيفة.[٢٠] ويشير برهانٌ تراكميٌّ غامرٌ مثل هذا إلى أنَّ تشكيكَ أولئك الذين ينكرون الدَّفنَ والقبرَ الفارغَ هو تشكيكٌ دون أيِّ أساسٍ تاريخيٍّ راسخ.

إيمانُ التلاميذ بظهور يسوع لهم

الحقيقة الثالثة من حقائقِ الحدِّ الأدنى هي اختبار التلاميذ ليسوعَ الذي ظهر لهم. والبرهان الداعم لهذه الحقيقة هو على قدم المساواة مع برهان صَلْب يسوع. أمَّا ما يتعلَّق بكيفيَّة تفسيرِ المؤرِّخين لتلك الظهورات، فذلك شأنٌ آخر. فبينما لن يُقرَّ المشكِّكون بقيامة حقيقيَّة أو بظهور جسديٍّ، فإنَّهم يعترفون بحقيقةِ أنَّ تلاميذَه والمتشكِّكين، مثل بولس (والذي كان مُضطهِدًا) ويعقوب (أخي يسوع)، آمنوا بأنَّه ظهر لهم بعد موته. يقول لوك تيموثي جونسون (Luke Timothy Johnson) في كتابه **"كتابة العهد الجديد"** *(The Writing of the New Testament)*:

"حدثَ أمرٌ ما في حياة رجالٍ ونساء حقيقيِّين، جَعَلَهم يرَون حياتَهم بطريقة مختلفة اختلافًا جذريًّا... لكنْ إذا سلَّمنا بأنَّ أمرًا ما حدث، يجب أن نواجه السؤال الأصعب: ماذا حدث؟ ما الأمرُ الذي يمكن أن يكونَ عميقًا وقويًّا بما يكفي لتغيير تابعين جُبَناءَ إلى قادةٍ نبويِّين وجسورين؟ وما القوَّة التي يمكنها تحويل مُضطهِدٍ متعصِّبٍ إلى رسولٍ متوهِّج؟".[٢١]

يأتي أحد أقوى أجزاء البرهان على هذه الخُلاصة من سرْد بولس الرسول لما سَمِعَه بشأن الظهورات من شهود عِيان. ويقبل العلماءُ بصورةٍ واسعةٍ أنَّ بولس هو كاتب الرسالةِ إلى أهل غلاطِيَّة، حيث وصف كيف رأى الربَّ في الطريق إلى دمشق، ثمَّ بعد ذلك بثلاثة أعوام ذهبَ إلى أورشليم وتكلَّم إلى بطرس ويعقوب. ومن هذه اللقاءات يسردُ بولس الرسول بالتفصيل الظهورات في ١كورنثوس ١٥: ٣-٨:

> "فإنَّني سلَّمتُ إليكم في الأوَّل ما قبلتُه أنا أيضًا: أنَّ المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنَّه دُفن، وأنَّه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنَّه ظهر لصفا [بطرس] ثمَّ للاثني عشر. وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ، أكثرهم باقٍ إلى الآن. ولكنَّ بعضهم قد رقدوا. وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثمَّ للرسل أجمعين. وآخر الكلِّ كأنَّه للسقط ظهر لي أنا".

يستعرضُ بولس قائمة موثوقًا بها من شهودِ عِيانٍ أساسيِّين حملوا شهادةً عن حقيقة أنَّ يسوع قامَ من الأموات.

هناك إشارةٌ مهمَّة أخرى إلى حقيقة أنَّ التلاميذ آمنوا بأنَّهم رأوا يسوع المقام. وتكمنُ هذه الإشارة في تحوُّل حياتهم وشخصيَّتهم. فمثلًا، لم يكُن يعقوب، وهو أخٌ غير شقيق ليسوع، تابعًا في أثناء خدمةِ يسوعَ على الأرض، بل كان متشكِّكًا وناقدًا مع باقي عائلة يسوع (مرقس ٣: ٢١ يوحنَّا ٧: ٥). وبعد رؤية يسوع حيًّا، أصبح قائدًا للكنيسة الأولى في أورشليم، وانتهى به الأمرُ إلى رجْمه حتَّى الموت، الأمر الذي سجَّله المؤرِّخ يوسيفوس.[٢٢] والتلاميذ الآخَرون أيضًا تحوَّلوا من متشكِّكين يائسين بلا رجاء، إلى مُنادين بالقيامة بجَسارة. وفي الواقع كانوا جميعًا على استعداد للألم والموت من أجل إيمانهم الراسخ بأنَّ يسوع قام من القبر، بل لدينا أدلَّةٌ جيِّدة على أنَّ بعضَهم استُشهد.[٢٣]

هناك قصصٌ عن آخَرين ادَّعى كلٌّ منهم أنَّه المسيَّا، لكنَّ ميتاتهم كانت تُشتِّت أتباعهم سريعًا وتنهي حركاتهم. ويُشار إلى مَثَلٍ منهم في أعمال ٥: ٣٤-٣٩، حين وُوجِه القادةُ الدينيُّون بخبرِ أنَّ يسوعَ حيٌّ، وحقيقة أنَّ الحركة نمت بالمئات بناءً على شهادة أنَّ يسوع كان حيًّا، إنَّما تَظهَرُ النتيجةُ الأكثر منطقيَّة: أنَّ الظهوراتِ المفترَضةَ هي ظهوراتٌ حقيقيَّةٌ أصيلة.

وتقدِّم الأناجيلُ مصدرًا إضافيًّا للدَّعم؛ إذ يسجِّل متَّى ومرقس ظهورَ يسوع للتلاميذ بعد قيامته في الجليل:

> "وأمَّا الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل، حيث أمرهم يسوع. ولمَّا رأوه سجدوا له، ولكنَّ بعضهم شكُّوا. فتقدَّم يسوع وكلَّمهم قائلًا: «دُفع إليَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس»" (متَّى ٢٨: ١٦-١٩).

ويَصِفُ يوحنَّا أيضًا ظهوراتٍ عديدةً، وتذكرُ النهايةُ الأصليَّة المُرجَّحة لإنجيلِ مَرقُس أنَّها ستحدثُ سريعًا (مرقس ١٦: ٧)، وقد لا يقبل المشكِّكون التفاصيلَ الدقيقة لروايات الظهور، ولن يعترفوا بأنَّ يسوعَ كان موجودًا ماديًّا بالفعل، مع ذلك فمعظم العلماء البارزين يعترفون أنَّ وجود الظهورات في مصادر متعدِّدة مستقلَّة، بما في ذلك الأناجيل والرسول بولس، إنَّما يشيرُ إلى أنَّ ظهوراتٍ من نوعٍ ما حدثت بالفعل.

يأتي برهانٌ إضافيٌّ من مُلخَّصات العِظاتِ والأحاديث في سِفر الأعمال. وعلينا أن نحذَرَ هنا، إذ لا يقبلُ الكثير من العلماء سِفر الأعمال بوصفه موثوقًا به تاريخيًّا، لذا فلا يدخل على المستوى الرسميِّ بوصفه جزءًا في حُجَّة الحدِّ الأدنى من الحقائق. ومع ذلك، يُظهر الفصلُ التالي أنَّ تقييمًا أمينًا للسِّفر، إنَّما يدعمُه بقوَّة بوصفه مصدرًا يجب الوثوق به. ويُتوقَّع من مؤرِّخ في مستوى لوقا أن يكونَ قد قدَّم بأمانةٍ المحتوى الأصليَّ للمتكلِّمين[٢٤]، وكان للوقا (الكاتب) وصولٌ لشُهود عِيانٍ

ولمصادرَ أخرى باكرةٍ جدًّا. ويذكرُ سِفرُ الأعمال بالتحديد أنَّ لوقا كان رفيقَ سفرٍ لبولس وأنَّه رافقَه إلى أورشليم وقابَلَ يعقوب والمشايخ (أعمال ٢١: ١٨). لذا تمثِّل الملخَّصات إذًا برهانًا راسخًا للرسل الذين شهدوا على الظهورات.

مثلًا، يذكر بطرس الظهورات في رسالته إلى أوَّل مؤمنين من الأمم:

"ونحن شهود بكلِّ ما فَعَل في كورة اليهوديَّة وفي أورشليم. الذي أيضًا قتلوه معلِّقين إيَّاه على خشبة. هذا أقامه الله في اليوم الثالث، وأعطى أن يصيرَ ظاهرًا، ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم. لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات" (أعمال الرسل ١٠: ٣٩-٤١).

وتُوصَف الظهورات أيضًا في الرسالة التي قدَّمها بولس في رحلته التبشيريَّة الأولى إلى مجمعٍ يهوديٍّ:

"ومع أنَّهم لم يجدوا علَّة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يُقتل. ولمَّا تمَّموا كلَّ ما كُتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر. ولكنَّ الله أقامه من الأموات. وظهر أيَّامًا كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب" (أعمال ١٣: ٢٨-٣١).

ويمكن إضافة العديد من الأمثلة الأخرى لإظهار أنَّ الرسلَ ضمَّنوا الظهوراتِ بوصفِها جزءًا مركَزيًّا لشهادتهم.

المناداة بالمسيح باكرًا

حقيقةٌ رابعةٌ من الحدِّ الأدنى للحقائق هي أنَّه نودِيَ بالقيامةِ باكرًا جدًّا (بعد مرور أيَّام فقط على الحدث الفعليِّ). فقد بدأتِ المسيحيَّةُ في مكانٍ تَقِلُّ احتماليَّة النجاح فيه، حيث كان من الأسهل جدًّا إثبات بطلانها- والمكان هو أورشليم بعد موته

بثلاثة أيَّام. ومع أنَّ علماء مشكِّكين بارزين يعترفون بأنَّه نودِيَ بقيامةِ يسوعَ باكرًا جدًّا، فإنَّ المشكِّكين المحترفين يحاولون غالبًا التعتيم على هذه الحقيقة أو حتَّى إنكارها، وهذا بالتأكيد بسبب التضمينات التي تنطوي عليها مثل هذه الحقيقة. وبدلَ الانخراط في نقاشٍ تاريخيٍّ، تُصرِّح أعمالٌ من الخيال الشعبيِّ مثل "**شيفرة دا ڤينشي**" *(The Da Vinci Code)* بادِّعاءات مثل أنَّ المسيحيَّة وصلَتْ إلى الشهرة بسبب الإمبراطور قسطنطين (Constantine) في عام ٣٢٥م. والحقيقة هي أنَّ الوعظَ بالقيامة قَلَبَ العالم رأسًا على عقب منذ البداية. وكما ذُكر سابقًا، تمثِّل ١كورنثوس ١٥: ٣-٨ عقيدةً باكرةً تسلَّمها بولس الرسولُ من بطرسَ الرسولِ بعدَ مَوتِ يسوع **بما لا يزيدُ على خمسة أعوام**، وذلك في أثناء زيارته الباكرة إلى أورشليم. ولمَّا كانَتِ العقائدُ تتطلَّب وقتًا لتصيرَ مُوحَّدة، فبالتأكيد كانت نشأةُ التعليم الأصليِّ تعودُ إلى سنوات قبل ذلك.[٢٥]

علاوة على ذلك، يُذكَرُ الموتُ والدفن والقيامة أيضًا في سِفر الأعمال ضمن العِظاتِ الأولى؛ فالبرهان من سِفر الأعمال برهانٌ هائل. ولكنْ للبقاء في إطار مقياس الحدِّ الأدنى من الحقائق، سيُصنَّف بوصفه تكميليًّا للأسباب المذكورة آنفًا. وفضلًا عن ذلك، كَتَبَ آباءُ الكنيسة الأساسيُّون الأوائل، مثل پوليكارپوس (Polycarp) وإغناطيوس (Ignatius) وپاپياس (Papias)، عن البدايات الباكرةِ للإيمان، والأهمِّيَّة المركَزيَّة للقيامة. وسوفَ تُناقَش هذه المصادرُ بتفصيل أكبر في الفصل الثالث.

يجعلُ هذا البرهانُ من المناداة الباكرة للإنجيل حقيقةً تاريخيَّة، يدركُها تقريبًا كلُّ علماء العهد الجديد، بل حتَّى بارت إيرمان يُقدِّر تاريخَ المناداة بالقيامة لتكونَ في إطارِ عامَين من الحدث، و يُقدِّر جيمس دَن (James Dunn)، وهو أحَدُ أبرز العلماء في العالم، تاريخَها في إطار شهورٍ منه، بينما يقدِّرُ لاري هرتادو (Larry Hurtado)، وهو رائدٌ في دراسة الكنيسة الأولى، تاريخَ المناداة في إطار أيَّام من الأحداث.[٢٦] فالرسالة المسيحيَّة إذًا ليست مبنيَّة على أسطورةٍ تطوَّرتْ على مدار السنين داخل الكنيسة،

وليست مبنيَّة على خداع النفس الجماعيِّ والذي سبَّبه نَوحُ التلاميذ بسبب فقدانهم قائدهم المحبوب؛ إذ كان لسيناريو مثل هذا أن يتطلَّب وقتًا أطول كثيرًا ليتطوَّر، فقد بدأتِ المناداةُ الباكرةُ بأنَّ يسوعَ الناصريَّ قام من الأموات، ومن ثمَّ فهو المسيح المنتظَر، بعد موته مباشرةً. وهذه الرسالة وحدها هي ما كان يستطيعُ في وقتٍ قصيرٍ مثل هذا إنتاجَ جَماهيرَ من مؤمنين أمناءَ حول حوض البحر المتوسِّط بأكمله.

شاول الطرسوسيُّ

خامسًا، يُجمع المؤرِّخون تقريبًا في معتقدهم أنَّ شاول الطرسوسيَّ، والمعروف أيضًا باسْم بولس، كان مُقاومًا قاسيًا للطائفة الجديدة من اليهوديَّة المُسمَّاة المسيحيَّة. لكنَّه تحوَّل إلى مدافعٍ عن الإيمانِ بها بعد أن آمن بأنَّه التقى يسوعَ المقامَ. كما يقبل العلماءُ أيضًا أنَّه كتبَ على الأقلِّ* سبعًا من رسائل العهد الجديد التي تحمل اسمَه. وأحَدُ أعظَمِ إسهاماته كان التفاعُلَ مع شهود عِيان على خدمةِ يسوع وإيصاله شهاداتهم إلينا (١كورنثوس ١٥ وغلاطِيَّة ١ و٢). وقد وصف كيف التقى يعقوبَ، أخا الربِّ، والرسولَين يوحنَّا وبطرس، حيث "عرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرزُ به" (غلاطِيَّة ٢: ٢). ويتكلَّم بارت إيرمان أنَّ بولس أمضى خمسةَ عشرَ يومًا مع بطرس (غلاطِيَّة ١: ١٨)، ومثل أيِّ شخصٍ آخر مهتمٍّ بالمسيحيَّة، يقول إيرمان إنَّه هو نفسه يودُّ لو أمضى خمسةَ عشرَ يومًا مع بطرس.

لماذا يشير المؤرِّخون إذًا إلى قبولهم شهادةَ بولس بوصفِها جزءًا من حجرِ الأساس التاريخيِّ؟ أوَّلًا، كما ذكرنا للتوِّ، يقدِّم بولس إلينا تقريرَه بوصفه شاهدَ عِيان. وقد كُتِبَتْ حقيقةُ أنَّه رأى المسيحَ المقامَ ليس فقط بواسطته، بل كتبَها أيضًا لوقا، وهو مؤرِّخٌ رافقَه في سفره، فأدرجَ هذا اللقاءَ الدراميَّ في سِفر أعمال

* المقصود هنا أنَّ الرسائل التي يُجمع العلماءُ، حتَّى المتشكِّكون بينهم، هي سبعُ رسائل، وليس الكلامُ عن أسفارِ العهد الجديد في إطارِ الإيمانِ المسيحيِّ الخاصِّ بالأسفارِ القانونيَّة (الناشر).

الرسل (أعمال ٩: ٢٧). ثانيًا، كان في الأصل عدوًّا لدودًا للحركة المسيحيَّة، لذا يعطي المؤرِّخون وزنًا أكثر لتصريحاته المتعلِّقة بالأحداث التي كتبها، إذ لم يكُن هناك عدوٌّ أشرسُ منه للحركة حديثةِ العهدِ. فتخيَّلْ شخصًا مثل ريتشادر دوكينز يتحوَّل إلى الإيمان، ويصيرُ نصيرًا للمسيح! كان ذلك هو حجمَ خلاصِ شاول واعترافه بالمسيح. ثالثًا، قدَّم شهادةً مُحرجةً بشأن نفسه والانقلاب الكُلِّيَّ لتصرُّفاته، إذ يحسبُ الاعترافَ بأنَّه كان مخطئًا في ضَوء جهوده التي لا تكلُّ لتشويه سمعة المسيحيَّة وتدميرها برهانًا موثوقًا به بدرجةٍ عالية. رابعًا، كان متعلِّمًا إلى درجة عالية، وكتب بالتفصيل عن لقائه المسيحَ المقامَ وتحوُّله الذي تلى ذلك (غلاطِيَّة ١-٢). وأخيرًا، كان على استعداد للألم والموت من أجل الحركة المسيحيَّة التي كان قد اضطهدها سابقًا، واستُشهد على يد نيرون في عام ٦٤م.[٢٧]

تخيَّلْ شاول، وهو مواطنٌ رومانيٌّ، يسلِّم طواعية للتخلِّي عن ميِّزةٍ† تقدِّمها إليه تلك المكانة، فتطوَّعَ لألم العقوبة القصوى لحُكم الموت. وكلُّ ذلك لأنَّه رفضَ إنكارَ أنَّ يسوعَ قام حقًّا من الأموات، وأنَّه بذلك هو المسيح المنتظر. "هذه النقطة موثَّقةٌ جيِّدًا، وكتبها بولس نفسه، وكتبها أيضًا لوقا وكليمندس الرومانيُّ (Clements of Rome) أسقف روما، وپوليكارپوس وترتليان (Tertullian) وديونيسيوس أسقف كورنثوس (Dionysius of Corinth) وأوريجانوس (Origen). لدينا إذًا شهادةٌ مباشرةٌ باكرةٌ متعدِّدةُ المصادر بأنَّ بولسَ تحوَّلَ من مقاومٍ قويٍّ للمسيحيَّة إلى أحَدِ أعظَمِ أنصارها".[٢٨]

يشير كلُّ هذا البرهان إلى خُلاصة أنَّ شاوُلَ تغيَّر بسبب إيمانه بأنَّه رأى يسوع المقام.

---

† الميِّزة المقصودة هنا هي أنَّ المواطنَ الرومانيَّ مُعفًى من عقوبة الإعدام. وقد تخلَّى بولس طَوعًا عن إمكانيَّة إعفائه (الناشر).

حقائق أخرى من الحدِّ الأدنى للحقائق

من الحدِّ الأدنى للحقائق ذكرنا الحقائقَ الخمسَ الأكثر استخدامًا في الدفاع عن القيامة. وهناك الكثير من الحقائق الأخرى التي يقبَلُها معظَمُ العلماء، وسأذكر باختصارٍ حقيقتَين إضافيَّتين من الحدِّ الأدنى للحقائق، وسأذكر حدثًا مدعومًا بقوَّة، لكنِّي سأدخل في تفصيل أكبرٍ بشأنهما في الفصول الباقية.

يعقوبُ المتشكِّك... تلميذًا ليسوع

أوَّل حقيقة إضافيَّة من الحدِّ الأدنى للحقائق هي أنَّ يعقوب، المعروفَ الملقَّبَ أخا الربِّ، كان في الأصل متشكِّكًا وناقدًا لخدمة يسوعَ (مرقس ٣: ٢٠-٢١؛ يوحنَّا ٧: ١-٥). ورغمَ ذلك، فقد وصلَ لاحقًا إلى الإيمان بأنَّ يسوع هو ابن الله، بعد أن ظهرَ له يسوعُ بعد قيامتِه من الموت. وذُكر الظهور ليعقوب في عقيدة ١كورنثوس ١٥، وصارَ يعقوبُ لاحقًا أيضًا قائد الكنيسة في أورشليم (أعمال ١٥: ١٣-٢١)، واستُشهد على يد قادة أورشليم الدينيِّين كما سجَّلَ يوسابيوس (Eusebius) ويوسيفوس[٢٩]، فلا بدَّ أنَّ أمرًا استثنائيًّا حدث ليُقنعَ متشكِّكًا أنَّ أحدَ أفرادِ عائلتِه هو مخلِّص العالم.

تأسيس الكنيسة المسيحيَّة ونموِّها

تتعلَّق الحقيقةُ الإضافيَّةُ الثانية من الحدِّ الأدنى للحقائق بالبداية المفاجئة للكنيسة المسيحيَّة ونموِّها؛ إذ يتَّفق تقريبًا كلُّ العلماء على أنَّ الكنيسةَ تأسَّست مباشرةً في أورشليم ونَمَتْ سريعًا. ويشير البرهانُ من رسائل بولس إلى أنَّ كنائسَ مسيحيَّةٍ متينة كانت قد تأسَّستْ في أنحاء مختلفة من الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، في مناطق اليهوديَّة، واليونان وروما، وذلك في غضونِ بضعة عقودٍ من الصَّلْب. كما تؤكِّدُ هذا الامتدادَ الباكرَ كتاباتٌ لمؤرِّخين وقادة رومان، مثل پلينيوس الأصغر (Pliny the Younger) وسويتونيوس (Suetonius) وتاسيتس (Tacitus)، بل حتَّى التلمودِ اليهوديِّ. وما كان

للكُتَّاب أن يلحَظوا المسيحيِّين الأوائل إلَّا إذا كانت أعدادهم قد كبرت فعلًا.

معموديَّة يسوعَ على يدِ يوحنَّا المعمدان

الحدث الأخير المدعوم ببرهان تاريخيٍّ هائل هو معموديَّة يسوعَ على يدِ يوحنَّا المعمدان.[٣٠] ويُذكَرُ يوحنَّا المعمدانُ في قصص الأناجيل الأربعة، ويُذكَر حدثُ معموديَّة يسوعَ على يده في أناجيل متَّى ومرقس ولوقا (متَّى ٣: ١٣-١٧؛ مرقس ١: ٩-١١؛ ولوقا ٣: ٢١-٢٢)، كما يُلمِّحُ إنجيل يوحنَّا إلى أنَّ المعموديَّةَ حدثَتْ فعلًا (يوحنَّا ١: ٢٩-٣٤). كما تصف كلُّ الأناجيل أيضًا تأكيداتٍ فائقةً للطبيعة لخدمة يسوع. وعلاوة على ذلك، كان يوحنَّا يعمِّد الناسَ لمغفرةِ الخطايا، لذا فمن الممكن أن تلمِّحَ تلكَ المعموديَّة إلى أنَّ يسوعَ أدنى مَنزلةً من يوحنَّا، الأمر الذي سيكون مُحرجًا للكنيسة الأولى، وبذلك ليس من المُرجَّح أن تكونَ القصَّةُ ملفَّقة. وقد أقنعَتْ هذه الحقائق حتَّى العلماء الليبراليِّين بأنَّ الحدث تاريخيٌّ.[٣١]

الخلاصة

أتذكَّرُ سماعَ أنَّ هناك حقائقَ معيَّنةً بشأن حياة يسوع وموته، وأحداثًا تاليةً بعد موته تُعدُّ حقائقَ من التاريخ، حتَّى من المتشكِّكين. ومع كلِّ إيماني بأنَّ قصصَ الكتاب المقدَّس حقيقيَّة، فقد كنتُ في أوقاتٍ أصارعُ لإيصالِ تلك الحقائقَ بصورةٍ فعَّالة إلى غير المؤمنين الذين كانوا يرفضون استخدامي للكتاب المقدَّس. وقد ساعدني منهاج الحدِّ الأدنى من الحقائق كما علَّمه د. هابيرماس، في تجميع تلك الأحداث الأساسيَّة وتقديمها بوضوح إلى الآخرين. كما كان هذا المنهاج هائلًا في بناء ثقتي بإيماني الشخصيِّ، وأملي أن تتمكَّن بهذا المنهاج أن ترسِّخَ إيمانَك، وتتواصل به بفاعليَّةٍ أكثر مع آخرين.

٣

يمكننا الوثوق بالأناجيل

سبب موثوقيّة الكتاب المقدّس

"من المُرجَّح لرجلٍ تظهر دِقَّته في أمورٍ يمكننا اختبارُها أن يكون دقيقًا حتَّى في غِياب وسائل اختباره؛ فالدقَّة عادةٌ من عاداتِ الذِّهن، ونعلم من خبرتنا أنَّ بعضَ الناس يتَّسمون بالدِّقَّة بطبعهم، تمامًا مثلما يمكن اعتماد آخرينَ بوَصْفِهم لا يتَّسمون بالدقَّة. يخوِّلُ سجلٌّ لوقا له أن يُعدَّ كاتبًا ذا دقَّة صارتْ جزءًا من طبيعته".[١]

أف. أف. بروس (F. F. Bruce)

يعتقد الكثير من الأبناء أنَّ آباءَهم أبطالٌ، وأنا أعتقد ذلك بالتأكيد. فحين كان أبي بِل بروكس (Bill Broocks) شابًّا، كان يخدم في البحريَّة في أثناء الحرب العالميَّة الثانية في غوَّاصة تُدعى يو. أس. أس. بارب (USS Barb)، وقد حصل أميرال السفينة على ميدالية الكونغرس للشرف بسبب أعماله الجسورة في أثناء نزاعاتٍ عدَّة في البحر. ونتيجةً لذلك، استحقَّ كلُّ الطاقم ما نالوه من التقدير.

لا يزال أبي قادرًا على سَرْدِ الكثير من الأحداث التي وقعَتْ منذ سبعين سنة بوضوح كبير؛ فالأمرُ عندَه أنَّ كلَّ المدَّة، وقدرُها ثلاثةُ أعوام ونصف تقريبًا، هي أيَّامٌ لا تُنسى. كنتُ أجلسُ وأستمعُ بينما يحكي- وهو في أواخر الثمانينيَّات من عمره- قصصًا عن بعض البطولات التي اشتركوا فيها، والتحدِّيات الضخمة

التي واجهوها. وكان أخوه الأكبر بَن (Ben) في سلاح البحريَّة، وقُتل على جزيرة ساپيان (Island of Saipan) حين قفزَ انتحاريٌّ إلى غرفته المحصَّنة، مفجِّرًا نفسَه وآخرين كثيرين في الجوار. وتلقَّى أبي الخبرَ بينما كانت الغوَّاصة بارب في ميناء پيرل هاربر (Pearl Harbor)، وأخذ الأميرال أبي إلى جزيرة ساپيان، مع وجود نزاع لا يزل مستَعِرًا هناك، وسمح له ولصديقَين آخرَين بأن يجذِّفوا بمركبٍ صغيرٍ إلى الشاطئ، ثمَّ يزحَفوا على طول مَقبرةٍ مظلمةٍ لعدَّة ساعات لتحديد مكان قبر أخيه، ليتمكَّنوا من إعادةِ رفاة جَسَدِه إلى الولايات المتَّحدة ليُدفن دَفنًا ملائمًا. كان لديهم لإرشادهم نور القمر فقط الذي كان ينيرُ المكانَ من حينٍ إلى آخر من بين السُّحب. وما أذهَلَني بشأن تلك القصَّة هي أنَّه انتظرَ وقتًا طويلًا ليخبرنا بالتفاصيل. لقد كان دونَ شكٍّ ينتمي إلى جيلٍ مختلف، وقد دعا الكثيرون هذا الجيل "أعظم جيلٍ".

عند سماعي تلك القصص تُروى بعدَ سبعين سنةً، تذكَّرتُ الرسولَ يوحنَّا، الذي كان جزءًا من حملةٍ أُخرى لا تُنسى- حملةٍ استغرقت أيضًا ثلاثة أعوام ونصف العام، فقد كان شاهد عِيان على الأعمال البطوليَّة وعلى خدمة يسوع الناصريِّ، وكان عتيدًا أن يكتب قصصًا عن هذه الأحداث بعد نحو خمسة وستِّين إلى سبعين عامًا، وقد أظهر لي استماعي إلى الوضوح الذي كانت عليه ذاكرة أبي، بشأن الأحداث البارزة للحرب، مدى واقعيَّة تذكُّر الماضي، لا سيَّما الأحداث التي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في الكثير من الناس.

كُتَّاب الأناجيل الأخرى، مرقس ولوقا ومتَّى، كتبوا في وقت أسبق كما سنناقش بعد قليل؛ فقد كتبَ مرقس إنجيله بعد موت يسوع وقيامته بثلاثين إلى أربعين عامًا على الأكثر، ويشبه ذلك محاولتي تذكُّر أحداث ١٩٨١م، العام الذي حدثت فيه محاولةُ اغتيال الرئيس الأميركيِّ الراحل رونالد ريغان (Ronald Regan)، أمَّا متَّى ولوقا فكتَبا لاحقًا، بعد نحو خمسين عامًا، وهو ما يشبه محاولة تذكُّر الأوقات الصعبة في ستِّينيَّات القرن العشرين.

ومع ذلك، فلم يكُن كُتَّاب الأناجيل يدوِّنون أحداثًا من ذاكرةٍ بعيدة، إذ كان لديهم وصولٌ إلى آخرين من قادة الكنيسة وأعضائها ممَّن كانوا قد كرَّروا القصص مِرارًا لعقودٍ، كما أنَّهم استَقوا من سجلَّاتٍ مكتوبة أخرى. وقد سجَّلَ كتَّابُ الأناجيل تجميعًا رسميًّا، كلٌّ بأسلوبه، عن حياة يسوع وتعليمه وخدمته، وهي الأمور التي تذكَّرَها كثيرون بأمانةٍ، وسُلِّمَتْ منذ البداية.

الأناجيلُ تحت المُجهِر

يمكن القول إنَّ السجلَّات الأربعة لحياة يسوع وموته وقيامته هي أكثر الأدبيَّات قراءةً ودراسةً وفحصًا في التاريخ. وهي أيضًا مرغوبٌ فيها؛ إذ كانت موضوعَ عددٍ لا يُحصى من قصصِ المقالاتِ والكتبِ والأوراق البحثيَّة بل حتَّى الكتب والأفلام. وتُعدُّ الإطاراتُ الزمنيَّة والتشبيهاتُ الموصوفةُ مهمَّةً جدًّا في مناقشةِ موثوقيَّة هذه الشهادات عن يسوع المسيح. فالرواية المتشكِّكة تؤكِّد أنَّ الأناجيلَ كُتبت بعدَ الأحداث الفعليَّة بوقتٍ طويلٍ جدًّا، وهذا لا يسمحُ بأن تكونَ موثوقًا بها، وأنَّها لم تكن سوى تعبيراتٍ إبداعيَّةٍ عن الإيمان من مجتمعٍ صغيرٍ من المؤمنين. ومع ذلك تُنكر هذه الأوصاف الكثيرَ من البرهان الموجود في التاريخ وفي علم الآثار.

السبب الأوَّليُّ لرفض الكثيرين للأناجيل هو أنَّهم يرفضون إمكانيَّة أيَّةِ معجزاتٍ أو أحداثٍ فائقة للطبيعة. وتمتدُّ جذور هذه العقليَّة إلى الشكوكيَّة والليبراليَّة الألمانيَّة في القرن التاسع عشر، وقد تشرَّبا هذه النوعيَّة من الفلسفة الطبيعانيَّة. فإذا كنتَ ترفض بداهةً كلَّ الأمور الفائقة للطبيعة حاسبًا إيَّاها أسطورةً أو خرافة، فسترفضُ الكثيرَ من الحوادث من هذا النوع في العهد الجديد. ولا تمثِّل هذه الهجماتُ النتائجَ الموضوعيَّةَ للعلماء الذين يختبرون الحقائقَ بعناية، بل هي في الغالب محاوَلاتٌ من رجال ونساء لرفض النتائج المترتِّبة على الاعتراف بالسلطان الواجبِ لتعاليم يسوع على حياتهم. وبكلمات أخرى، يبدأون دراساتهم مفترِضين أنَّ الأناجيلَ زائفةٌ، ثمَّ يدفعون البرهانَ ليلائمَ نتائجهم المحدَّدة سابقًا.

دراساتٌ أخرى بدأتْ بفهمٍ غير صحيح لأساليب الكتابة في ذلك الزمن، فهي بذلك تخفقُ في تقديرِ المرونة التي كانت لدى كُتَّاب القرن الأوَّل في تسجيل الأحداث والتعليم بكلماتهم، أو في إعادة ترتيب المادَّة. وبذلك يحسبون الاختلافاتِ ما بين القصصِ المتوازية في الأناجيل "تناقضاتٍ" أو "أخطاءً" تقوِّض من مَوثوقيَّتها. وسيُبرزُ هذا الفصلُ أنَّ اختبارَ البرهانِ بإنصافٍ مع الفهم الصحيح لأدبيَّات القرن الأوَّل سيقود إلى نتيجةِ أنَّ الأناجيل تمثِّل تاريخًا يُوثَق به.

ولدعم هذه الثقة، نختبرُ عدَّة أسئلةٍ أساسيَّة، آملين أن تبنيَ الإجاباتُ عنها ثقةً أعظم بموثوقيَّة الكتاب المقدَّس.

ماذا نقصدُ بالأناجيل؟

يرى العلماءُ الآن أنَّ الأناجيلَ هي سِيَرٌ تاريخيَّة، من النوع الذي كان شائعًا في العالم اليونانيِّ والرومانيِّ منذ ألفَي عام. ولم يكن أسلوبُ الكتابة هذا تسجيلًا زمنيًّا يوميًّا لحياة شخصٍ ما، بل ترتيبٌ يضعُه الكاتب للتفاصيل التي تبدو أهمَّ لجَعْل الدروس الأخلاقيَّة الإجماليَّة أكثر وُضوحًا. وحقيقةُ أنَّها سِيَر، ترفضُ تخمينَ أنَّ هذه الكتاباتِ كانَتْ أساطيرَ أو خرافات. ويؤكِّد المؤرِّخ د. مايكل ليكونا مغزى هذه النتيجة قائلًا: "إنَّ حقيقة اختيارِهم [أي كُتَّابِ العهدِ الجديد] تبنِّي أعرافِ السِّيَر اليونانيَّة-الرومانيَّة لروايةِ قصَّةِ يسوع هي أمرٌ يشيرُ إلى اهتمامهم اهتمامًا مركزيًّا بإيصال ما يظنُّون أنَّه وقعَ فعلًا".[٢]

يريدُ المشكِّكون أن يُنكِروا بقوَّةٍ أنَّ الأناجيل تقدِّم بياناتٍ تاريخيَّةً. لماذا؟ لأنَّ الأمرَ يتعلَّق بسلطانِ يسوعَ في حياتنا وثقافتنا، حيثُ يهاجمون موثوقيَّتها بمحاولة اختزالها إلى كونِها تصريحاتٍ من الإيمان أطلقَها المسيحيُّون بعد وُقوعِ الأحداثِ بوقتٍ طويل. ومن الأمثلةِ الجوهريَّة على ذلك رضا أصلان الذي كتب: "مهما يكن، ليست الأناجيل توثيقًا تاريخيًّا لحياة يسوع، ولا قُصد منها قَطُّ أن تكونَ

كذلك؛ فهي ليسَتْ قصصَ شهودِ عِيان على كلماتِ يسوعَ وأفعاله سجَّلها أناسٌ كانوا يعرفونه، بل هي شهاداتُ إيمان شكَّلتْها مجتمعاتٌ إيمانيَّة، وكُتبَتْ بعدَ الأحداث التي تصفها بسنين كثيرة، أي أنَّها ببساطةٍ تخبرُنا عن يسوع المسيح، لا عن يسوع الإنسان".[٣]

هذه النوعيَّة من التصريحات هي تكرارٌ للتصريحات الجوفاء ذاتِها لمشكِّكين آخرينَ عاشوا في وقتٍ سابق. وهي تحاولَ اختزال يسوعَ إلى مستوى إنسانٍ آخرَ أخفَقَ في سَعيه الذي يُشبِهُ سعيَ "دون كيشوت" (سعيًا واهمًا). إذا ألقيتَ بالأناجيل بعيدًا، فإنَّ لك الحرِّيَّة في تفسير معانيها من وجهة نظرٍ شبيهةٍ بالتاريخيَّة، راسمًا تخطيطًا ليسوع بناءً على تخيُّلك لما قد يكون عليه شخصٌ يعيش في زمن يسوع. وهذا خللٌ قاتلٌ في علم التأريخ وفي المنطق أيضًا. أمَّا العلماءُ الذين يقارنون بأمانةٍ الأناجيلَ بأدبيَّاتٍ كُتِبَتْ في زمن كتابةِ الأناجيل، فيُدركونَ أنَّ هذه الكتابات تمثِّل سِيَرًا مبنيَّةً على شهادة شهود عِيان، والتي توثِّق بأمانةٍ حياةَ يسوعَ وخدمتَه وقيامتَه، والقيامةُ هي الأمرُ الأهمُّ.

مَن كتب الأناجيل؟ ومتى كُتِبَتْ؟

الأسماء متَّى ومرقس ولوقا ويوحنَّا هي على الأرجح أشهَرُ رباعيٍّ من الكُتَّاب في التاريخ. ويا لها من دلالة على شُهرة شخصٍ ما حين لا تحتاج إلى اسم العائلة لتعرفَ مَن يكونُ! وقد قُبلت حقيقةُ أنَّهم الكُتَّابَ الأصليُّون لهذه السِّير منذ بداية الإيمان المسيحيِّ. لكنْ في غُضونِ بضعة قرون مَضَتْ، شكَّك بعضُ المفكِّرين المتشكِّكين في هُويَّة الكُتَّاب والتي كانت مُثبتةً في التقليد، وذلك في إطارِ استراتيجيَّةٍ لرَفْضِ سُلطانِ محتواها. وعوضًا عن ذلك، ينادي المتشكِّكون بأنَّ الكُتَّاب الحقيقيِّين لم يكُن لديهم وصولٌ إلى شهود عِيان، ومن ثَمَّ فقصصُهم ليسَتْ محلَّ ثقةٍ. ومع ذلك، فلا يزال برهانُ هُويَّةِ الكُتَّاب التقليديَّة برهانًا قويًّا.[٤]

لقد كُتبَتْ أعمالٌ علميَّةٌ كبرى عن هذا الموضوع. والهدفُ هنا هو تقديمُ تلخيصٍ قصيرٍ لبرهان هُويَّةِ الكُتَّاب لهذه الأسفار الحاسمة. وأقوى برهانٍ مؤيِّدٍ لوجهة النظر التقليديَّة هو أنَّ شهادةَ قادةِ الكنيسة الأولى هي شهادةٌ موحَّدةٌ تقريبًا بشأن كُتَّاب كلِّ سفرٍ. فمثلًا، اقتبسَ الأسقفُ إيرينايوس (Irenaeus)، وهو أسقف بارز في القرن الثاني، عدَّة تفاصيلَ بشأنِ كُتَّاب الإنجيل من مصدرٍ يرجعُ إلى بدايات القرن الثاني، وهذا المصدرُ هو الأسقفُ پاپياس (Papias)، الذي تتلمذَ على يدِ الرسول يوحنَّا:

> "أصدرَ متَّى أيضًا إنجيلًا مكتوبًا بين العبرانيِّين بلهجتهم، بينما كان بطرس وبولس يَعِظان في روما، واضِعَين أساساتِ الكنيسة. وبعد رحيلهما، سلَّم إلينا مرقُس أيضًا، وهو تلميذٌ ومترجمٌ لبطرس، كتابةً ما كان بطرس قد وعظ به. وسجَّل لوقا أيضًا، رفيقُ بولس، في سِفْرِ الإنجيلَ الذي كان يبشِّر به. وكذلك يوحنَّا، تلميذُ الربِّ الذي اتَّكأَ على صدره، نشرَ هو نفسُه إنجيلًا في أثناء إقامته في أفسس في آسيا".[٥]

مرقس

أوَّل إنجيل كُتِبَ كان إنجيلَ مرقس، والذي يؤرَّخ عادةً إلى ما بين ٦٠ و٧٠ ميلاديًا. وشُهد لمرقس على نحوٍ جامعٍ من قِبل قادة الكنيسة الأولى أنَّه هو يوحنَّا مرقس الذي كان رفيقًا لبطرس (١بطرس ٥: ١٣)، وابن أخت برنابا (كولوسِّي ٤: ١٠)، وفي وقتٍ ما كان رفيقًا لبولس أيضًا (أعمال ١٢: ٢٥). ويُظنُّ أنَّ مرقس سجَّل ذكرياتِ بطرسَ قُربَ وَفاته في روما تحت اضطهاد نيرون في منتصف ستِّينيَّات القرن الأوَّل للميلاد. وقال يوسابيوس، مؤرِّخ الكنيسة الأولى، نقلًا عن پاپياس: "بعد أن صارَ مرقس مترجمَ بطرس، دوَّن بدقَّة، لكن ليس بالترتيب نفسه، كلَّ ما تذكَّره من الأمور التي قالها يسوعُ المسيح أو فعلها".[٦]

وهناك أيضًا أجزاءٌ متعدِّدة من البرهان الداخليّ تدعمُ كَوْن مرقس هو الكاتب. فمثلًا، يدلُّ أسلوبُ الكتابة على أنَّ الكاتبَ كان يتحدَّث الآراميَّة، وهي اللغة الشائعة بين اليهود في ذلك الوقت، كما يذكر هذا الإنجيل بطرس مرَّات أكثر من الآخرين، بما في ذلك في بداياتِه وفي نهاياتِه أيضًا. كما يبدو المنظورُ أقرب إلى منظورِ واحدٍ من الاثنَي عشر.[٧] وهو يحوي الكثيرَ من التفاصيل الحيويَّة التي ما كان ليعرفها سوى مجتمعٍ يسوع، مثل الإشارة إلى "ألكسندرس وروفس" (مرقس ١٥: ٢١) أنَّهما ابنا سمعانَ القيروانيّ. وبالأهمِّيَّة نفسها، كان اسمُ مرقس مرتبطًا بمخطوطاتٍ ترجع إلى القرن الثاني، ولم يكُن مرقس شخصيَّة كبيرة في الكنيسة الأولى، لذا لم يكُن لاسمه على الأرجح أن يرتبطَ بإنجيل ما لم يكُن هو الكاتبَ الفعليَّ، وتتوافق هذه الحقائق مع التصريح التقليديّ بأنَّ الإنجيلَ هو ذكريات بطرس، وقد سجَّلها مرقس.

متّى

كان متَّى هو التالي في تسجيل إنجيلٍ ينضمُّ إلى العهد الجديد، ويُحدَّد تاريخُه عادةً من أواخر سبعينيَّات إلى ثمانينيَّات القرن الأوَّل، إذ يتوافق تركيزُه على نبوَّات يسوع بِدَمار أورشليم مع ذكريات المسيحيِّين بعد أن دُمِّرتِ المدينة في عام ٧٠م. كما يتوافق تحديدُ هذا المدى من التاريخ مع حقائقِ استخدامِه لإنجيل مرقس ليكونَ أحدَ مصادره الأوَّليَّة، وأنَّ متَّى صارَ إنجيلًا مفضَّلًا في كلِّ العالم المسيحيِّ بحلول القرن الثاني، وينسبُه آباءُ الكنيسةِ الأولى على نحوٍ شامل إلى الرسول متَّى. فمثلًا، يشيرُ إيريناوس إلى قَوْل پاپياس: "ثُمَّ كتبَ متَّى النبوَّات باللغة العبريَّة، وفسَّرها كلُّ شخصٍ كما استطاع".[٨]

كُتِبَ إنجيلُ متَّى باليونانيَّة، لكن قد يكون متَّى استعان بأقوالٍ ليسوع، سُلِّمت بالآراميَّة أو العبريَّة، ممَّا يفسِّر إشارة پاپياس إلى اللغة العبريَّة. ومع ذلك، فقد كانت

اليونانيَّة اللغة المفضَّلة للنسخة النهائيَّة للأناجيل ؛ إذ كانت اللغة الشائعة في المنطقة.

كما يدعمُ تحديدَ هُوِيَّةِ الكاتبِ البرهانُ الداخليُّ؛ ففي القصَّة عن جابي ضرائب دُعِيَ ليتبعَ يسوع، إذ يُدعى جابي الضرائب لاوي في إنجيلَي مرقس ولوقا، بينما يُدعى متَّى في إنجيل متَّى. ومن غير المرجَّح أنْ يكون كاتب إنجيل متَّى قد غيَّر الاسم المستخدم في مرقس ما لم يكُن هذا الاسمُ اسمَه هو. وفي ذلك الوقت كان الناس يستخدمون عادةً اسمَين. وبالأسلوب نفسه، يشيرُ مرقس ولوقا إلى "بيته" (مرقس ٢: ١٥؛ لوقا ٥: ٢٩)، بينما يشير متَّى إلى "البيت" (متَّى ٩: ١٠)، بالطريقة نفسها التي يكتبُ بها شخصٌ عن بيته هو في سِياقِ روايةٍ تَستخدِمُ ضميرَ الغائب. كما تُظهرُ كتابةُ متَّى أيضًا علاماتٍ من التدريب الدينيِّ اليهوديِّ، كما أنَّه متمكِّنًا من اللغةِ اليونانيَّة. وتتوافق هذه التفاصيل مع وَصْفِ الإنجيل لمتَّى/لاوي بوصفه لاويًّا وجامعَ ضرائب.[٩]

لوقا

كاتبُ إنجيل لوقا هو طبيبٌ كان أحدَ رُفَقاء سفر بولس، ويذكرُه بولسُ الرسولُ بالاسْم في العديد من رسائله (كولوسِّي ٤: ١٤؛ ٢تيموثاوس ٤: ١١؛ فليمون ٢٤). ويذكر لوقا نفسَه صراحةً بوصفِه مسافرًا مع بولس في رحلاته اللاحقة في الفِقرات التي تستخدم ضمير المتكلِّم، والتي تبدأ في أعمال ١٦: ١٠. وعلاوةً على ذلك، يدعم موقفَ أنَّ لوقا هو الكاتبُ قادةُ الكنيسة الأولى بالإجماع. فمثلًا، كتب إيريناويوس: "سجَّل لوقا تعاليمَ بولسَ بعدَ موتِ بطرس وبولس، وكُتِبَ بعد متَّى العبريِّ (Hebrew Matthew)، ونحو وقتِ كتابةِ مرقس، وقبل يوحنَّا".[١٠] ويسجِّل إيريناويوس أيضًا أنَّ لوقا كتبَ سِفْر الأعمال وسافر مع بولس[١١]، كما يؤكِّد أيضًا موقفَ أنَّ لوقا هو الكاتبُ قادةُ الكنيسة الأولى كليمندس[١٢] وترتليان[١٣] وأوريجانوس.[١٤]

وتساعدُ أجزاءٌ عديدةٌ من البرهان الداخليِّ في تحديد تاريخ كتابة الإنجيل وسِفر

الأعمال في سبعينيَّات القرن الأوَّل. فمثلًا، يسردُ سِفر الأعمال بالتفصيل أعمالَ شغبٍ معيَّنةً كانت ربَّما ستتسبَّبُ في نتائجَ عكسيَّةٍ إذا ما ذُكرت، لولا أنَّها كانت لا تزال في ذاكرةِ الناس، وكان من اللازم تناولها. فقد كان من الضروريِّ تفسيرُ تُهمةِ أنَّ بولس بدأ أعمالَ شغبٍ في حبسه، وفي أعقاب تنفيذ الحكم عليه. علاوةً على ذلك، يعيدُ لوقا صياغةَ نبوَّاتِ مرقس عن نهاية الأيَّام بحيث يربطها رَبْطًا واضحًا بِدَمارِ الهيكل في أورشليم عام ٧٠م. وكان تعزيز هذا الترابط مهمًّا إذا كان السِّفر كُتب حين كانت هذه الأحداث الصادمة لا تزال في ذاكرة القرَّاء. ومع ذلك يحدِّد بعضُ العلماء تاريخَ كتاباتِ لوقا إلى وقت أسبق؛ لأنَّ هذه الأعمال تنتهي قبل موت بولس، ومن الواضح أنَّ مثلَ هذا الرأي لن يُضعِفَ الحُجَّة المؤيِّدة للموثوقيَّة، بل سيعزِّزها على نحوٍ أكبر.

يوحنَّا

يُشهَد لإنجيل يوحنَّا على نحوٍ متَّسق في تقليد الكنيسة أنَّه كاتبَه هو الرسول يوحنَّا. فمثلًا، اقتبس إيرينايوس في القرن الثاني قَوْل پوليكارپوس أحد معارفه المعاصرين له، والذي كان تلميذًا للرسول يوحنَّا:

> "يوحنَّا، تلميذُ الربِّ والذي كان قد اتَّكأ على صدره، نشرَ هو نفسه إنجيلًا في أثناءِ إقامتِه في أفسس في آسيا...أولئك في آسيا من المُلِمِّين بيوحنَّا، تلميذِ الربِّ، [أكَّدوا] أنَّ يوحنَّا نَقَل إليهم تلك المعلومات، وبقي بينهم إلى أزمنة تراجان* (Trajan)...ثُمَّ إنَّ الكنيسةَ في أفسس، والتي أسَّسها بولس، وبوجود يوحنَّا باقيًا وسطهم بصورةٍ دائمة حتَّى أزمنة تراجان- هي شاهدةٌ حقيقيَّة على تقليد الرسل".[١٥]

كما يذكرُ يوحنَّا نفسَه مباشرةً بوصفه شاهدِ عِيان (يوحنَّا ١٩: ٣٥)، ويشير

* الإمبراطور الرومانيُّ الثالث عشر، وحكم ما بين ٢٨ كانون الثاني/يناير ٩٨م و٩ آب/أغسطس ١١٧م (الناشر).

ضمنيًّا إلى وجوده بالتلميذ "الذي كان يسوع يحبُّه" (١٣: ٢٣، ١٩: ٢٦، ٢٠: ٢، ٢١: ٧، ٢١: ٢٠). ويُلاحَظ أنَّ اسمَ يوحنَّا لا يظهرُ مع أنَّه يُصوَّر في الأناجيل الأخرى بوصفه أحدَ الثلاثة الأقربِ إلى يسوع. فإذا كان يوحنَّا هو الكاتب يمكن تفهُّم هذا الغيابِ الملحوظ، والمنظور هنا هو منظورُ شخصٍ كان في الدائرة الأقرب جدًّا، وهذه الحقائق تتَّفق أيضًا مع التعيين التقليديِّ لهُوِيَّة الكاتب.

كُتب إنجيل يوحنَّا مع نهاياتِ القرن الأوَّل. ولا يمكن أن يكونَ التاريخ لاحقًا؛ فإحدى أقدَمِ قُصاصاتِ المخطوطات المُكتشفة هي قطعةٌ جزئيَّةٌ من إنجيل يوحَّنا، ويُشار إليها باسم قصاصة جون رايلاندز، ويرجع تاريخُها إلى بدايات القرن الثاني[١٦]، وقد اكتُشفَتْ في مِصرَ، لذا كان الإنجيل قد كُتب قبل ذلك بعقود ليسمحَ بالوقت اللازم لانتقال نسخةٍ بعيدًا عن تكوينها الأصليِّ بهذا البُعد.

لماذا يوجد فقط أربعة أناجيل؟

أناجيل العهد الجديد هي الأناجيل الوحيدة التي قَبِلَها قادةُ الكنيسة الأولى بوصفها جزءًا من التجميع الرسميِّ للكتابات المعروفة باسم أسفار العهد الجديد القانونيَّة. واختيرت هذه الكتابات القانونيَّة بناءً على مجموعةٍ صارمةٍ من المعايير: أوَّلًا، وجبَ أن يكونَ الكُتَّاب شهود عِيان ليسوع، أو زملاءَ قريبين من الذين كانوا شهود عِيان. كما وجبَ أن تحوزَ الكتابات اعترافًا باكرًا جدًّا بأنَّه موثوقٌ بها في كلِّ مناطق العالم المسيحيِّ. وتحتَّمَ أيضًا أن تتَّفق مع التعليم الذي يعودُ مباشرةً إلى الرُّسل. وتُحقِّق الأناجيل هذه المعايير. وبحلول القرن الثاني كانت الأناجيل معترَفًا بها في الكنيسة الأولى حاسبين إيَّاها موثوقًا بها، وكان آباء الكنيسة يقتبسون منها على نطاقٍ واسعٍ، بل يمكن إعادة بناء الغالبيَّة العظمى من العهد الجديد من كتاباتهم.

كانت هناك أناجيل أخرى موجودة أيضًا، مثل "**إنجيل الحقِّ**" (Gospel of Truth)، و"**إنجيل مريم**" (Gospel of Mary)، و"**إنجيل بطرس**" (Gospel of Peter)، لكن لا يحقِّق

أيٌّ من هذه الأسفار غير القانونيَّة أيًّا من المعايير المذكورة سابقًا؛ فقد كُتبت بعد اكتمالِ العهد الجديد بأكثر من قرنٍ، ولم يكتبها أيُّ شخصٍ كان حتَّى في شركةٍ مع الرسل، ولم يُعرفوا على نطاقٍ واسع، كما كان تعليمُهم يختلف كثيرًا عن تعليم الرسل. وبذلك تَبهتُ موثوقيَّتُهم ودلالتُهم بالمقارنة بالأربعة الأصليِّين.

ومع كلِّ هذه الحقائق، فإنَّ إحدى الكتابات، المعروفة بِاسْم "**إنجيل توما**" (The Gospel of Thomas)، قد نالَتْ شُهرةً أعظم بفَضْلِ مجموعةِ علماء العهد الجديد المتشكِّكين إلى حدِّ التطرُّف، والذين ذُكروا سابقًا في الكتاب، المعروفين بِاسم "سَمينار يسوع"، إذ عملوا على ترقية توما إلى جانب الأناجيل القانونيَّة. ورُغم أنَّ رأيَهم لم يمثِّل الإجماع العلميَّ، فقدِ اجتَذَبوا اهتمامَ الإعلام، وكان أحد الأهداف الرئيسيَّة الكثيرة للأعضاء هو تقويض الثقة بالعهد الجديد، وقد نَجحوا في غَرسِ بِذارِ الشكوك في المسيحيِّين الذين لا يألَفونَ البرهانَ الفعليَّ.

في الحقيقة، "**إنجيل توما**" هو مجموعةٌ من الأقوال التي استُمدَّت جزئيًّا من الأناجيل القانونيَّة، ولا شيء من باقي محتواه يمكن التحقُّق منه تاريخيًّا أو أثريًّا. ومن المرجَّح أن يكونَ قد كُتب في منتصف القرن الثاني، والأكثر إدهاشًا هو أنَّ الكثيرَ من تعليمه على خلافٍ كاملٍ مع كلِّ ما نعرفه عن يسوعَ التاريخيِّ. وبالرغم من احتفاء السيمنار، فإنَّ مقارنةَ الأناجيل الأصليَّة بإنجيل توما يشبه كثيرًا مقارنةَ سِير إبراهام لينكولن التي كتبها علماءُ الجامعات الشهيرة البارزون بكتاب "**إبراهام لينكولن: صيَّاد مصَّاصي الدماء**" *(Abraham Lincoln: Vampire Hunter)*.

هل ما بين أيدينا الآن هو ما كُتِبَ حينها؟

إحدى العقبات التي يواجهها بعض المتشكِّكين هي أنَّ الأناجيل لم تُنسَخ من الوثائق الأصليَّة التي خَطَّها الكُتَّاب، بل من نُسخٍ لاحقة (مخطوطات). وليس لهذا القلق أيُّ أساس، إذ لا توجدُ تقريبًا بين الوثائق التاريخيَّة المكتشفة الأخرى

واحدةٌ أصليَّة، إلَّا لو كانت منحوتة على حجر؛ فالأناجيل مثل الكثير من المصادر القديمة كُتبتْ على ورق البرديِّ، والذي يتهالك في غضون مئاتِ السنوات. ومع ذلك فالعدد الاستثنائيُّ من المخطوطات، والكثير منها باكرٌ جدًّا، يضمن أنَّنا نعرف جوهر ما كُتب في الأصل للغالبيَّة العظمى من نصوص الإنجيل.

في الواقع، الأناجيل هي بعضٌ من أعلى السجلَّات التاريخيَّة جودةً من سجلَّات العالم القديم. ويصف العالم البارز الدكتور دان والاس (Dan Wallace) المقدارَ الهائلَ من بيانات العهد الجديد بأنَّه "ثراء فاحشٌ"[١٧]؛ فمعظمُ السِّيَر القديمة وقصص التاريخ كُتبتْ بعدَ الأحداث التي تسجِّلُها بوقتٍ طويل. مثلًا، كُتبَتْ أقدَمُ سيرةٍ للإسكندر الأكبر بعد الأحداث المُسجَّلة بأكثر من ثلاثة قرون. وجاءت المعلومات في الأغلب من قصص من الدرجة الثالثة[١٨]، وبذلك لدينا مصادرُ لتفاصيلِ حياة يسوع أفضل من مصادرَ لتفاصيلَ عن فتوحات الإسكندر للعالم. وفي مَثَلٍ ثانٍ، كلُّ السجلَّات المكتوبة ذات القيمة الأعلى عن الإمبراطور طيباريوس قيصر، والذي كان معاصرًا ليسوع، ما عدا سجلًّا واحدًا فقط، كُتبت بعد الأحداث الموصوفة بثمانين سنة أو أكثر.[١٩] في المقابل، كُتبت الأناجيل الأربعة في غضونِ ثلاثين إلى سبعين سنة من خدمةِ يسوع. وبذلك، لدينا مصادرُ عن يسوعَ أكثرُ وأفضلُ من معظم الشخصيَّات الشهيرة القديمة.

علاوةً على ذلك، فإنَّ عددَ نسخ الأسفار الأصليَّة لكتابات العهد القديم أكبر بكثيرٍ من العدد الخاصِّ بأيٍّ من الأدبيَّات القديمة، بمجموع كلِّيٍّ يصل تقريبًا إلى ٥٨٠٠ مخطوطة يونانيَّة، ويلي ذلك في الترتيب ملحمة "الإلياذة" (Iliad) للشاعر هوميروس (Homer)، والتي اكتُشِفَ لها نحو ١٨٠٠ مخطوطةٍ حتَّى الآن. علاوةً على ذلك، أقدم النسخ من كتابات العهد الجديد أقربُ من الأصلية كثيرًا جدًّا؛ فالفارق الزمنيُّ ما بين النسخة الأصليَّة من الإلياذة وأوَّل نسخة مُكتشفة هو ٣٥٠ إلى ٤٠٠ سنة، والنُّسخ الباكرة من النصوص القديمة الأخرى عادةً ما تكون بعدها

بأكثر من ألف عامٍ. في المقابل، وُجدَتْ نُسَخٌ عدَّة من كتابات العهد الجديد يرجع تاريخُها إلى ٣٠٠ سنة تقريبًا من كتابتها. وأقدمُ قصاصةٍ هي بعد الكتابة بأقلَّ من ٥٠ سنة.

لقد سمح ثراء البيانات وجودتها لعلماء العهد الجديد بإعادة بناء النسخ الأصليَّة على نحو دقيقٍ بدقَّةٍ تصل إلى ٩٩٪. علاوة على ذلك، معظم المتبقِّي من ١٪ من النصوص يمثِّل فقط فروقًا إملائيَّة أو فروقًا ضئيلةً أخرى. وبذلك يصل عدمُ اليقين المؤثِّر في المعنى الفعليِّ للفقرات إلى ٠,١٪ من الإجماليِّ، ولا يشكِّكُ أيٌّ من هذه في أيَّة ممارسةٍ أو عقيدةٍ مسيحيَّة. يسعُنا إذًا أن نشعرَ بالأمن التامِّ عالمين أنَّ المكتوبَ في الكتاب المقدَّس اليوم هو عمليًّا ما كتبَه الكُتَّاب الأصليُّون.[٢٠]

العقود الأولى

كما ناقشنا في الفصل الأخير، يتَّفق المؤرِّخون أنَّه نودِيَ بالإنجيل باكرًا، أي بعد أن وُجدَ القبرُ فارغًا بأيَّام، وتمركَزَتْ رسالةُ الرسل حول الإيمان بأنَّ يسوع هو تحقيقُ "التناخ" (Tanakh)، أي الأسفار المقدَّسة في العهد القديم. وكُتبَتْ أقدمُ أسفارِ العهد الجديد بعد القيامة بتسع عشرة سنة. وفي الوقت ما قبل كتابتها، كانت لدى المسيحيِّين الأوائل الأسفار المقدَّسة للعهد القديم، وشهادتهم على القيامة، وكلمات يسوع التي كان يتذكَّرها التلاميذ ويسلِّمونها شفهيًّا. وأرى نمطًا مشابهًا في أُسرتي، إذ يمكن أن يكرِّرَ أطفالي جملًا من أفلامِنا المفضَّلة، كما يمكنهم غناءُ كلمات العشرات من الأغاني التي سمعوها. ولحُسن الحظِّ كان التلاميذ يعيشون في ثقافة شفهيَّة، لذا كانوا مَهَرةً أكثر جدًّا في التذكُّر وفي إيصال المعلومات بصورةٍ دقيقةٍ بواسطةِ التحدُّث.[٢١] فمثلًا، كان المعلِّمون اليهودُ يجمَعون التوراة الشفهيَّة وينقلونها إلى تلاميذهم، الذين كانوا بِدَورِهم ينقلون الرسالةَ بدِقَّةٍ من جيلٍ إلى آخر. ودون شكٍّ، اتَّبع تلاميذُ يسوعَ الممارسةَ ذاتَها.

لقد نالَتْ موثوقيَّةُ نَقْلِ حياةِ يسوعَ وتعليمه دعمًا من قِبل دراساتٍ في التقليد الشفهيِّ مقارنةً بنصوص الإنجيل؛ إذ لم يستطع معظم الناس في القرن الأوَّل القراءة، لذا كانت المجتمعات قد طوَّرت أدواتٍ فعَّالةً لتسليم القصص شفاهًا، ويطابق تعليم يسوع هذه الأنماط. ويعلِّق عالمُ العهد الجديد مارك دي. روبرتس (Mark D. Roberts) على ذلك قائلًا:

"ضمنَتِ الأشكال الشفهيَّة لتقليد يسوع التسليم الصادق للقصص عنه. فمثلًا، تتضمَّنُ قصصُ المعجزات في الأناجيل على نحوٍ دائم تقريبًا العناصر التالية: عبارة تصف المشكلة، والوصف المُختصر للمعجزة، وعبارة تصف الاستجابة. وهذا منطقيٌّ دون شكّ، لكنَّه أيضًا يُكيِّف الذهنَ لتذكُّر قصصِ المعجزات والربط بينها بأمانة. ويُشبه الأمرُ الطريقة التي يمكن بها أن تتَّخذ النكات صيغةً مألوفة، ممَّا يساعدنا على تذكُّرها: مثل النكات التي تبدأ بعبارة: «مرَّة كان هناك كاهنٌ، وخادمٌ، وحاخام...» أو «طق.. طق.. مين هناك؟...»".[٢٢]

وقد صاغَ يسوعُ وتلاميذه تعليمَهم بطريقةٍ تضمنُ تذكُّرَه وإعادة تقديم التعليم بصورةٍ صحيحة. ما كان لهذا النوع من التقليد الشفهيِّ أن يفسدَ في المدَّة القصيرة الفاصلة ما بين الأحداث وكتابة الأناجيل، لذا ليس علينا حتَّى قبول وجهات النظر التقليديَّة الخاصَّة بهُويَّة الكُتَّاب كي نثقَ بدقَّة الأناجيل.

لعبةُ النصِّ

هناك برهانٌ أقوى يدعمُ ثقتَنا بالأناجيل، وأنا على يقينٍ أنَّك تُدرك أنَّه يمكنُ أن تُحفَظَ الرسائل النصِّيَّة على هاتفك النقَّال بواسطة الحوسَبة السحابيَّة. وفي محكمةٍ ما، يمكن أن تُستدعى وتُستردَّ هذه الرسائل للمقارنة بين ما تقول إنَّك قلتَه وما كتبتَه

بالفعل في تلك الرسالة النصِّيَّة، والتي كنتَ تظنُّ أنَّ ما من أحدٍ آخر سيقرأها. وهذا المَثَلُ طريقةٌ رائعةٌ لرؤية كيف أنَّه يمكن أن يُسترَدَّ "نَصُّ" الكتاب المقدَّس ويقارَن أيضًا.

تمامًا مثل الحال مع الرسائل النصِّيَّة، يمكننا اختبار دقَّة كُتَّاب الإنجيل بمقارنتهم بعضهم ببعض، وبكتابات بولس الرسول. فمن الواضح أنَّ الأناجيل تحكي القصَّة الأساسيَّة ذاتها، حيث تتشابه كلُّها في مواصفات عديدة، بما في ذلك طبيعة خدمة يسوع الفائقة للطبيعة، وتعاليمه الأساسيَّة، والمعارضة التي واجهها من القادة الدينيِّين وموته ودفنه وقيامته. وفي سفر أعمال الرسل أيضًا تفاصيل عديدة تشترك مع كتابات بولس، بما في ذلك زياراته إلى عدَّة مدن، وجلداته ومناقشاته مع القادة في أورشليم. فضلًا عن ذلك، استخدم لوقا ومتَّى كلاهما مصدرًا أوَّليًّا هو مرقس، واستخدما مصدرًا شائعًا ثانيًا يُسمَّى عادةً "مصدر كيو" (Q Source)، وهو يُشير إلى التشابهات الكبيرة في الفِقراتِ المتوازيَّة ما بين متَّى ولوقا (مثلًا متَّى ٣: ٧-١٠ ولوقا ٣: ٧-٩)، وتلك ما بين الأناجيل الثلاثة (متَّى ١٤: ٣-٤ ومرقس ٦: ١٧-١٨ ولوقا ٣: ١٩-٢٠). غير أنَّ لوقا ومتَّى استَخدَما مصادرهما بدقَّةٍ كبيرة، أمَّا الاختلافات ما بين قصص الأناجيل فلا تتعدَّى الحرِّيَّة الأدبيَّة التي كان كُتَّاب السيرة والمؤرِّخون في القرن الأوَّل يستخدمونَها عادةً.

وعلى الدرجة ذاتها من الأهمِّيَّة، يُصرِّح كاتبُ إنجيل لوقا وسِفر أعمال الرُّسل بوضوحٍ أنَّ معلوماتِه جاءت من شهود عِيان ومن سجلَّات موثوقة أخرى:

> "إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصَّة في الأمور المتيقَّنة عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدَّامًا للكلمة، رأيتُ أنا أيضًا إذ قد تتبَّعتُ كلَّ شيء من الأوَّل بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيُّها العزيز ثاوفيلس، لتعرفَ صحَّة الكلام الذي عُلِّمْتَ به" (لوقا ١: ١-٤).

وهذه المقدِّمة كانت مقدِّمةً نمطيَّةً لعملٍ تاريخيٍّ في القرن الأوَّل- عملٍ يسعى

إلى وَصْفِ الأحداث بدقَّة. ويذكرُ الكاتبُ أنَّ سجلَّاتٍ أخرى كثيرة كانت موجودة، وكان يمكنه الوصول إليها على الأرجح. علاوة على ذلك، استخدمَ مصادر من "الذين كانوا منذ البدء مُعاينين وخدَّامًا للكلمة"، وبكلمات أخرى، كان يستطيعُ الوصولُ إلى شهود العِيان الذين شهدوا الأحداث الفعليَّة، وهم مَن صاروا قادةً رسميِّين في الكنيسة. ودون شكٍّ، ضَمِنَ هؤلاء القادةُ أنَّ تُنقلَ تعاليم يسوع وخدمته بدقَّة إلى الجيل التالي. وكما ذُكر سابقًا، كان للوقا وُصولٌ حتَّى إلى بطرس ويعقوب.

شهادةٌ مُحرجة

فئةٌ أخرى من البرهان الداعم لموثوقيَّة الأناجيل هي تضمين شهادةٍ مُحرجة؛ فالكُتَّاب ما كانوا ليؤلِّفوا أحداثًا تجعلُهم عمدًا يظهرون بصورةٍ سيِّئة، والأناجيل حافلةٌ بهذا النوع من البرهان. فمثلًا، التلاميذ الذين كانوا مزمعين أن يصيروا قادةَ الكنيسة يوصَفون في كلِّ قصص الإنجيل بهَجْرهم أو إنكارِهم ليسوع بعد القبض عليه (مثلًا متَّى ٢٦: ٥٦؛ مرقس ١٤: ٥٠؛ لوقا ٢٢: ٥٧؛ يوحنَّا ١٨: ١٧). وقُلتُ في سياقاتٍ عديدة في جامعاتٍ حول العالم إنَّه لو كان البشرُ هم الكُتَّابَ الوحيدين للأناجيل، لأَظْهَروا أنفسَهم بصورةٍ أفضل كثيرًا. ويخلُص مارك روبرتس إلى النتيجة ذاتها في كتابه "**هل يمكننا الثقة بالأناجيل؟**" *(Can We Trust the Gospels)* قائلًا: "إذا قرأتَ في الأناجيل الأربعة، لوجدْتَ أنَّه يستحيلُ تقريبًا أن يُصوَّر التلاميذ بوصفهم نماذجَ مثاليَّة للإيمان أو الحكمة؛ إذ يُصوَّرون مِرارًا وتَكرارًا بصورةٍ سلبيَّة. وتفنِّد هذه الحقيقة وحدَها داحِضةً لفرضيَّة تملُّك السلطة. فلو كان الكُتَّاب والمحرِّرون وجامعو الأناجيل مدفوعين برغبةٍ في السُّلطة، لَعملوا بكلِّ تأكيدٍ على تنظيفِ سجلِّ الأناجيل".[٢٣]

هل أكَّد علمُ الآثار الرواية؟

يدعمُ أيضًا موثوقيَّةَ الأناجيل وسِفرَ أعمال الرسل برهانٌ أثريٌّ؛ فقد سبقَ أن نادى

علماء متشكِّكون لوقتٍ طويلٍ بأنَّ الكثير من الناس والأماكن وتفاصيل أخرى مذكورة في الأناجيل هي من تلفيق الكُتَّاب. غير أنَّ عددًا هائلًا من الاكتشافاتِ الأثريَّة قَلَبَ هذا المعتقد. فمثلًا، اكتُشفت الآثار الباقية لمدينتَي بيت لحم والناصرة، واكتُشفَتِ الآثار لبقايا المجمَع في مدينة كفرناحوم، كما تحقَّقت اكتشافاتٌ أيضًا للعُملةِ التي عليها صورة قيصر المذكورة في متَّى ٢٢: ١٩، وقارورة المرمَر المستخدمة لحفظِ الطيب الذي مُسِحَتْ به قدمَا يسوع (مرقس ١٤: ٣). وعلاوةً على ذلك، اكتُشفتْ أيضًا بِركَتا سِلوام وبيت صيدا بما يتوافق مع أوصاف الأناجيل.

وقد أكَّدَتِ اكتشافاتٌ عديدة أخرى أوصافَ الأناجيل لأماكنَ وطوبوغرافيا وأناسٍ. ويعلِّق رورربرتس على هذا قائلًا:

> "إنَّ جَغرافيا الأناجيل هي بوضوحٍ جغرافيا فلسطين القرن الأوَّل، وليست «نارنيا» القرن الأوَّل. ومرَّة أخرى، يضع المبشِّرون المعالم الرئيسيَّة في الأماكن الصحيحة، فحين يضعون كفرناحوم بجانب بحر الجليل مثلًا، فهذا صحيح. وحين يشيرون إلى أنَّ يسوع «صَعِد» إلى أورشليم رغم أنَّه مسافرٌ جنوبًا، فهم مُحقُّون بشأن الارتفاع؛ إذ كانت الرحلة إلى أورشليم تتضمَّن الصعودَ حرفيًّا. والغالبيَّة العظمى من الإشارات الجغرافيَّة في الأناجيل تتوافق مع ما نعرفه من مصادرَ أخرى بشأن المنطقة التي كان يسوع يخدم فيها".[٢٤]

ويحتوي سِفر أعمال الرسل أيضًا على تفاصيل غزيرة جرى التحقُّق منها، بما في ذلك أسماءُ قادةٍ وألقابُهم وعاداتٌ محلِّيَّة وأحداثٌ تاريخيَّة، وقد أقنعَ مثل هذا البرهان الكثيرَ من الخبراء التاريخيِّين أنَّ لوقا كان أحَدَ أعظم مؤرِّخي زمانه، وارتأى إدوارد ماير (Edward Meyer)، أشهر مؤرِّخ في القرن العشرين للعصور القديمة اليونانيَّة الرومانيَّة، أنَّ لوقا مؤرِّخ من طرازٍ رفيع، وأنَّ سفر أعمال الرسل

"رغم محتواه المقيَّد، فإنَّه يحملُ الشخصيَّةَ ذاتَها لأولئك المؤرِّخين المرموقين مثل پوليبيوس (Polybius) وليڤي (Livy) وآخرين كثيرين".[٢٥]

وسيخلُص أيُّ مؤرِّخٍ موضوعيٍّ إلى أنَّ الأناجيل تقدِّم قصصًا موثوقًا بها عن حياة يسوع وتعليمه، أمَّا أولئك الذين يتحدَّون هذا الرأي فلا يفعلون ذلك بسبب البرهان بل رغمًا منه؛ إذ يسمَحون لتحيُّزاتهم ضدَّ المسيحيَّة أن تُعمِيَهم عن النتيجة الأكثر معقوليَّة.

ومع كلِّ هذا البرهان الدامغ، فلا يزال المتشكِّكون يهاجِمون الأناجيل بدَعوى وُجود فروقٍ ما بينها. وتتناول الأجزاء التالية تحدِّياتهم الأكثر شيوعًا، وسيظهرُ أنَّ حُججهم، والتي تبدو في البداية هائلة، ليست سوى دُخَان هدفه إعاقة الرؤية.

تناقضاتٌ أم قصَّةٌ لها شكلٌ مختلف؟

حين تستمع إلى المتشكِّكين، تجد أنَّ لديهم جميعًا لغتهم أو أقوالهم المفضَّلة، مثلما تسمع في الحملات السياسيَّة. وهذه الأقوال هي أساليبُ بلاغيَّةٌ أكثرُ من كَونها حُججًا لضرباتٍ قاضيةٍ ضدَّ الإيمان. وإحدى الجمل المفضَّلة لدى بارت إيرمان يقولها حين يقرأ قائمة ممَّا يسمِّيه تناقُضات في الأناجيل ثمَّ يضيف دائمًا جملة: **يعتمد الأمر على الإنجيل الذي تقرأه**. وبعد أن يقرأ مجموعةً من المقارنات ما بين أحداثٍ متشابهة مُسجَّلة في أناجيل مختلفة، مسلِّطًا الضوء على التضارب المزعوم ما بين القصَّتين، يستمرُّ في تكبير الأمر في ذهنه ليُقنعَ مستَمِعيه أنَّ البرهان غامرٌ وأنَّ القصصَ متناقضة ولا يمكن توافقها. من ثَمَّ يخلُصُ إلى أنَّه يجب رفضِ الشهادة بكاملها.[٢٦] لكنَّه من غير المعقول ببساطة رفض كونِ حدثٍ ما تاريخيًّا لأنَّ قصصَ شهود العِيان تبدو مختلفة. وأحَدُ الأمثلةِ التقليديَّة هو غرقُ السفينة تايتانيك (Titanic)؛ إذ قال بعضُ شهود العِيان إنَّ السفينةَ انقسمت قطعتَين قبل أن تغوص، بينما قال شهود عِيان آخرون إنَّها غاصَتْ قطعةً

واحدة. ورغم أنَّ الروايتَين مختلفتان، فإنَّه ما من أحَدٍ يخلُص إلى أنَّ تايتانيك لم تغرق.[٢٧]

عندَ إلقاءِ نظرةٍ أقربَ على الأناجيل، يمكنُ أن يُحلَّ كثيرٌ ممَّا يُسمَّى تَناقُضاتٍ حين نميِّز ما بين تناقُضٍ حقيقيّ، وقصَّة لها شكلٌ آخر. فمثلًا، حين يورِدُ صحفيُّون أحداثًا معيَّنة، فهناك تنوُّع في الطرق التي يمكن بها سردُ اللحظة دون التصريح أنَّ هذه القصصَ المتنوِّعة متناقضةٌ. فإنْ ذكرَ تقريرٌ شخصًا محدَّدًا فقط، وأشار الآخر إلى العديد من الأشخاص، فالأمر يعني ببساطة أنَّه كانتْ للكاتبَين أسبابٌ مختلفةٌ لما ذكَراه. وينطبقُ الأمرُ ذاتُه على الأناجيل (مثلًا متَّى ٢٠: ٣٠ ولوقا ١٨: ٣٥).

والغريب حقًّا أنَّ الاختلافات ما بين قصص الأناجيل هي أمرٌ يدعم موثوقيَّتها التاريخيَّة؛ إذ تسلِّط هذه الاختلافات الضوءَ على حقيقة أنَّ القصَّة نفسَها تُتلى من شهود منفصلين. لذا فالتفاصيل المشتركة أصيلة بيقينٍ شبه أكيد. وقد اختبر محقِّقٌ اسمُه جاي. وارنر والاس (J. Warner Wallace) قصصَ الإنجيل بحرصٍ كما لو كان يختبر شهاداتِ شهودٍ في استقصاء لجريمة حدثت منذ عدَّة عقودٍ. وحدَّد أنَّ عدد التشابهات والاختلافات يتوافق تمامًا مع ما يمكن توقُّعه لو أنَّ القصَّةَ الأساسيَّةَ حقيقيَّة. فضلًا عن ذلك، لو كانَتِ القصصُ ملفَّقةً، لما كانَتِ الحقائقُ منطقيَّةً. وحين بدأ استقصاءه كان لاأدريًّا، لكنَّ البرهان أقنعَه ليصيرَ مسيحيًّا.[٢٨]

ومن الأمثلةِ على نوعٍ واحدٍ من البرهان، نجد أنَّ أحداثًا في إنجيل واحد "تتشابك" مع أوصاف موازية في أناجيلَ أخرى. مثلًا، سأل يسوع فيلبُّس عن المكانِ الذي يمكنهم أن يبتاعوا طعامًا منه في قصَّة إنجيل يوحنَّا لإشباعٍ معجزيٍّ (٦: ٥)، لكن لا يُقدَّم تفسيرٌ عن سبب طرحِ السؤال على فيلبُّس. أمَّا في إنجيل لوقا، فنعرف أنَّ هذه المعجزة حدثت بالقرب من بيت صيدا (٩: ١٠) حيث كان يعيشُ فيلبُّس (يوحنَّا ١٢: ٢١). فسؤال يسوعَ لفيلبُّس إذًا، كما هو موصوفٌ في يوحنَّا، هو أمرٌ

منطقيٌّ مع المعلومات الإضافيَّة من لوقا. وهذه الترابطات ومثلها أمثلة أخرى تُظهِرُ أنَّ قصصَ الإنجيل مبنيَّة على أحداثٍ تاريخيَّةٍ فعليَّة.[٢٩]

بعض التفاصيل في الأناجيل لم تتصالح تصالُحًا تامًّا بعضُها مع بعض، أو مع مصادرَ تاريخيَّة أخرى. وأحدُ الأمثلةِ التقليديَّة هو تفاصيل محدَّدة تتعلَّق بالتعداد الذي ذكره لوقا (٢: ٣-١). لكنْ ما من مؤرِّخٍ مقتدرٍ سيرفض الموثوقيَّةَ العامَّة لكاتبٍ قديمٍ بناءً على بضعة تباينُاتٍ مع وثائقَ قديمةٍ أخرى، لا سيَّما حين تكون قد أُثبتَتْ دقَّةُ الكاتبِ في تفاصيلَ كثيرةٍ أخرى، مثلما هي الحال مع لوقا. علاوة على ذلك، ثبتَتْ صحَّةُ ما يبدو أخطاء.أو عدم اتِّساق في الكتاب المقدَّس بالمزيد من الاكتشافات الأثريَّة على نحوٍ متَّسق، وحتَّى مع تعداد لوقا، فقد اقترحَ علماءُ العهد الجديد تفسيراتٍ معقولةً تقول إنَّ كلَّ تفصيلٍ في رواية الميلاد صحيحٌ تاريخيًّا.[٣٠] وباختصارٍ، لا يوجد أيُّ فروقٍ في الأناجيل تقوِّض من موثوقيَّتها بأيِّ شكل.

ضاع المعنى بالترجمة؟

تحدٍّ آخر هو أنَّ الكثير من المتشكِّكين، بل حتَّى المسيحيِّين، يتوقَّعون أنَّ كُتَّاب الإنجيل كتبوا لجمهورهم كما لو كانوا يكتبون إلى غربيِّين معاصرين. غير أنَّ من الخطأ افتراض أنَّ أساليبَ كتابةِ كُتَّاب الإنجيل هي أساليبُ الكتابة ذاتها اليوم. وبكلماتٍ أخرى، مثلما هي الحال مع اختلاف موضة اليوم بكلِّ تأكيد عن الموضة منذ ألفَي عام، تختلف أيضًا أساليب الكتابة، فهل يمكنك تخيُّل مقارنة طراز الملابس اليوم مع طرازها منذ مئة عام؟ ماذا عن ألفَي عام؟ إنَّ الحُكمَ على الأناجيل بالمقاييس نفسها التي للكُتَّاب المعاصرين يشبهُ الحُكم على طراز ملابسِ شخصٍ ما بين اليوم وألفَي عام مضت. لقد سبَّب هذا الجمودُ غير الواقعيِّ في الكيفيَّة التي يطالعُ بها الطلَّابُ الكتاب المقدَّس أنَّ الكثيرين يشكُّون في إيمانهم.

مثلًا، لم يكُن المؤرِّخون القدماء مهتمِّين بالضَّرورة بالتَّسلسُل الزمنيِّ، وكانوا عادةً ما يعيدون صياغةَ جُمَلٍ ويلخِّصون الحدث. ويفسِّر هذا النمطُ الكثيرَ من الاختلافات ما بين قصص الإنجيل المتوازية في الصياغة المُحدَّدة وترتيب الأحداث أو تفاصيل أخرى، فمثلًا، يذكرُ مرقس أنَّ يعقوب ويوحنَّا سألا يسوع أن يضعَهما في مكانةٍ من السُّلطة في ملكوته الآتي (مرقس ١٠: ٣٥-٣٧)، بينما يسجِّل متَّى أنَّ أمَّهما هي من قدَّمَتِ الطلب (متَّى ٢٠: ٢٠-٢١)، ويصيرُ من السهل فهمُ هذا الاختلاف في ما يتعلَّق بالقرَّاء الأصليِّين المختلفين؛ فقد كان متَّى يكتب إلى مجتمع يهوديٍّ، لذا كان قرَّاؤه سيفهمون أنَّ يعقوب ويوحنَّا كانا يستخدمان أمَّهما لتكونَ وسيطًا لتقديم طلبهما، أمَّا الكاتبان الآخران فكتبا الحدثَ باختلافٍ إلى قرَّائهما المختلفين ليوصِلا بأفضل الطرق النقطة الرئيسيَّة التي كان يسوع يودُّ إيصالها.

لقد رأى بعض الأشخاص في اختلافات مثل هذه تحدِّياتٍ خَطِرةً لوَحيِ الكتاب المقدَّس، لكنَّ هذا الرأي هو دون أساس؛ لأنَّ الله أوحى إلى كُتَّاب الكتاب المقدَّس لإيصال حقِّه على نحو كاملٍ، لكنَّه فعل ذلك مستَخدِمًا أنماطَ كتابتهم وسياقاتهم الثقافيَّة. ومثلما يمثِّل يسوعُ تجسُّد الله في صورةٍ بشريَّة، تمثِّل الأسفارُ المختلفة للكتاب المقدَّس حقَّ الله المقدَّس المتجسِّد في أُطر ثقافيَّة وأدبيَّة محدَّدة.

يتعلَّق تحدٍّ آخر بأمر الترجمة، فقد كان يسوع يتحدَّث الآراميَّة، لكنَّ معظمَ القرَّاء الذين قصدَهم كُتَّابُ الإنجيل كانوا يتحدَّثون اليونانيَّة، والتي كانت مثل الإنكليزيَّة اليوم في ما يتعلَّق بكَونها لغةً عالميَّة. لذا كانت من الضروريِّ ترجمةُ كلماتِ يسوع، وحين تُترجِم تصريحات من لغةٍ إلى أخرى، فمن المهمِّ إيصال معنى الجملة وليس فقط الكلمات نفسها. فمثلاً، لو قلتُ بالإنكليزيَّة: "لقد مزَّقتْني حقًّا خسارةُ المباراة" وكان شخصٌ ما يترجم ذلك التعبير إلى الكوريَّة أو الصينيَّة، فقد تُنقَل بحيث تعبِّر عن صوتي لا عن كلماتي فقط، ويا له من أمر غريب لي، أن أقولَ شيئًا بالإنكليزيَّة ويستغرق نحو خمس عشرة ثانية، ثم يتحدَّث المترجِم مدَّة دقيقةٍ

تقريبًا في محاولةٍ لإيصال فكرتي. وقد سمعتُ الكثيرَ من القصص عن أمورٍ تضيعُ في الترجمة أو يُعيدُ المترجمُ صياغتَها لإيصال النقطة.

بالطريقة ذاتها، كان على كُتَّاب العهد الجديد ترجمةُ تعليمِ يسوعَ الآراميِّ إلى "الكوينة" اليونانيَّة (Koine)، وهي اللغة الشائعة في ذلك الزمن. لذلك تسجِّل الأناجيل التعبيرات اليونانيَّة التي أوحى بها الروحُ القدس إلى الكُتَّاب ليختاروا ما يطابقُ الكلماتِ الآراميَّة التي تحدَّث بها يسوع. "كلُّ الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرِّ" (٢تيموثاوس ٣: ١٦).

الخلاصة

يُظهرُ ثِقَلُ البرهان التاريخيِّ أنَّ الأناجيل موثوقٌ بها جدًّا، وقد وصل الكثيرُ من المؤرِّخين إلى إدراك هذه الحقيقة، حتَّى وإنْ لم يقبلوا في الأصل أنَّها معصومةٌ وموحى بها. وفي الحقيقة تقفُ الأناجيل على مستوًى أعلى من الغالبيَّة العُظمى من الأدبيَّات القديمة في ما يتعلَّق ببرهان المخطوطات، والدقَّة التاريخيَّة.

حين تتسلَّح بهذه المعرفة، يمكنك دراسة حياة يسوع وتعاليمه بثقة متميِّزةٍ بالحقِّ الموجود فيها، وليس مثل المتشكِّكين الذين يظنُّون أنَّ في وُسعهم ترقيعَ صورةٍ ليسوع من أحداثٍ تاريخيَّةٍ غير مترابطة، حيثُ يمكنك أنت أن تنظرَ مليًّا إلى يسوعَ التاريخيِّ، وما فعلَه لتخليص العالم. في الفصول التالية، سنرى كيف أنَّ الأناجيل ليس مجرَّد وثائقَ موثوقٍ بها، بل هي كلمةُ الله نفسُها.

٤

الصَّلْب

لماذا كان على يسوع أن يموت

"فإنَّ كلمةَ الصليب عند الهالكين جهالة،
وأمَّا عندنا نحن المُخَلَّصين فهي قوَّة الله".
(١كورنثوس ١: ١٨)

ألَّفَ فيودور دوستويفسكي (Fyodor Dostoevsky) الروائيُّ الروسيُّ كُتبَه في القرن التاسع عشر المتَّسم بالاضطراب، وذلك حين كان الأساسُ الأخلاقيُّ يتزحزح بشدَّةٍ تحت أقدام أمَّته. وفي واحدة من كلاسيكيَّاته "**الجريمة والعقاب**" *(Crime and Punishment)*، يستكشف العذابَ النفسيَّ لشابٍّ يرتكبُ أكثرَ من جريمةِ قتلٍ، ويحاول التهرُّب من اكتشاف الجريمة، ومن الألم الذهنيِّ والروحانيِّ الناتج. وفي النهاية لا يستطيع الهربَ من اتِّهامات ضميره ويُسلِّم نفسَه إلى السلطات. ورسالةُ هذا الكتاب، وأعمالٍ أخرى مثل "**الإخوة كارامازوف**" *(The Brothers Karamazov)*، هي أنَّ هناك في العالم قانونًا أخلاقيًّا ينبعُ من الله، ولا يمكننا الهروبُ من هذا القانون، لذا فهناك مبدأ أخلاقيٌّ جليٌّ يبدو أنَّنا كلَّنا نقبله: الجريمة تتطلَّب عقابًا.

ولآلاف السنين من التاريخ البشريِّ، لقي مبدأ أنَّ مَن يرتكب جريمةً هو شخصٌ يستحقُّ عقابًا عادلًا قبولًا على نطاق واسع؛ فالبشر كِياناتٌ أخلاقيَّةٌ فطريًّا، لهم قواعدُ سلوكيَّةٌ تتطلَّب جزاءً حين تُنتهك تلك القواعد. وتلك الرغبة هي ما

نقصده بكلمة **عدالة**. فإذا ظُلم أحَدُهم، تصرخ العدالةُ طالبةً أنْ يُفعَلَ أمرٌ ما. وعلى الجانب الآخر، يسمح الظلمُ للأفعال الشرِّيرة بأن تستمرَّ دون تبعاتٍ على الجُناة؛ فمن دون عقاب ينمو الظلمُ ويزدهر.

يستتبع ذلك منطقيًّا أنَّه كلَّما **عَظمتِ الجريمةُ اشتدَّ العقاب**. وبعض أعمال العنف خَطِرةٌ حتَّى إنَّه فَرَضَتْ على مرِّ تاريخ الحضارةِ البشريَّةِ العقوبةَ القُصوى، أي الموت. وحتَّى المجتمعات المناهِضة لعقوبةِ الإعدام، تخصِّص لجُناةٍ كهؤلاء حكمًا مؤبَّدًا؛ إذ يُرى انتزاعُ باقي حياة المجرم بوصفه العقابَ الوحيدَ الذي يناسبُ الجريمة.

ولهذه الأمثلة علاقةٌ بالجَرائم ضدَّ الإنسانيَّة. لكنْ ماذا عن الأعمال التي تتخطَّى ما يُفعَل بحقِّ بشرٍ آخرين؟ ماذا عن الجرائم التي تُرتكَب بحقِّ الله؟ ألا تجلبُ هذه الأعمال أعظَمَ حُكمٍ على الإطلاق؟ فهي جرائمُ القلبِ ضدَّ خالقنا. تبدأ الوصايا العشرُ بالوصايا المختصَّة بعلاقتنا بالله: لا يكن لك آلهة أخرى أمامه، لا تصنع أوثانًا وتعبدها، ولا تنطقْ بِاسْمِ الربِّ باطلًا، اذكُرْ يومَ الربِّ (خروج ٢٠: ١-١١). وبعد هذه تأتي الوصايا التي تتناوَلُ علاقتَنا أحَدُنا بالآخر، نحن البَشَرَ. لكنَّ السؤال المحيِّر هو: كيف يجبُ التعامُلُ مع خَطايانا المرتكَبةِ بحقِّ الله؟

الله إلهُ المحبَّةِ وهو أيضًا إلهُ القضاء، والسبب؟ إذا لم يحكُم على الخطيَّة، فلا يمكن أن يكونَ محبًّا في جوهره. فتخيَّلْ والدَيك لو لم يوقِفا أخاك عن الاعتداء عليك لأنَّهما أخبراك بأنَّهما أبوان محبَّان! فإذا كانا محبَّين بحقٍّ لأوقَفا الطرفَ المعتديَ وعاقَباه على أفعاله؛ إذ يعمل العقابُ بوصفه رادعًا ضدَّ ارتكاب الإساءةِ ثانيةً. ويريدُ الناسُ من اللهِ أن يوقِفَ الشَّرَّ، والله يفعلُ ذلك بواسطةِ السُّلطةِ القَضائيَّة.

أجل! لدى الناس "إرادة حرَّة"، ولدى الله أيضًا إرادةٌ حرَّةٌ. فيمكن أن يتصرَّفَ الناسُ كيفما يختارون، لكنَّ الله سيردُّ في النهاية. ومن الغريب أن يتَّهمَ النقَّادُ الله بأنَّه قاسٍ وغيرُ مُحبٍّ حينما يُقال إنَّه يحكمُ على الأشرارِ. ورغم الانتقاداتِ وكلِّ ما يُقال، فإنَّ الله فقط هو مَن يُعاقِبُ الناسَ والشعوبَ من مُنطلَقِ حبِّه للعالم كلِّه،

وأحكامُه عادلةٌ حتَّى الشديدُ منها. وبكلِّ أسف، انتَهَكَ الجميعُ قانونَ الله، وتصرَّفوا بطرقٍ جرحَتْ آخرين وقوَّضت خليقةَ الله. لذلك، نستحقُّ جميعُنا الدينونةَ، بل حتَّى الموت. وهكذا فالمعضِلةُ هي: كيف يمكن أن يكونَ الله محبًّا وعادلًا في الوقت ذاته دون تنازلاتٍ عن أيٍّ منهما؟

ترتبطُ الإجابةُ عن هذا السؤال بموتِ يسوعَ على الصليب، والذي هو حقيقةٌ تاريخيَّةٌ مقبولةٌ كما ناقشنا في الفصل الثاني، بمعنى أنَّ يسوع ماتَ على الصليب كي يحتملَ العواقبَ المترتِّبةَ على خطايا البشر (محقِّقًا متطلَّبات العدالة)، في حين وفَّرَ لنا الرحمةَ، نحن الذين نستحقُّ العقاب؛ فقد جاءَ المسيحُ تحقيقًا للأنبياء ليتألَّمَ ويموت، وأعطانا مجَّانًا حياتَه لننالَ نحن الحياةَ (يوحنَّا ١٠: ١٥) ولنتحرَّر من سُلطانِ الخطيَّة ودينونتِها. ومع أنَّ الصليبَ صارَ الرمزَ المعروفَ عالميًّا للإيمان المسيحيِّ، فإنَّ هناك تشويشًا على قوَّته، ومن جهةٍ أخرى، قد ننسى أحيانًا وسَطَ هذا النقاش الرُّعبَ الذي يتضمَّنه الموتُ صلبًا.

يهتمُّ الله ليس فقط بالشرِّ الذي يقعُ **علينا**، بل هو يريدُ إيقافَ الشرِّ الآتي **بواسطتنا**.

لماذا الصَّلْب؟

اختار الله اللحظة المحدَّدة في التاريخ لهذا الموت ليحدُثَ على أيدي أشخاصٍ سيِّئي السُّمعة، يُشتَهرون بأنَّهم "الأفضل والأكفأ" والأعنف في قدرتِهم على تعذيب البشر وقتلِهم بطريقةٍ يشهدُ التاريخُ بقسوتِها.

لقد كان موتُ يسوعَ علنيًّا. فلو أنَّه مات بطريقةٍ إنسانيَّةٍ لفتحَ هذا مجالًا للشكِّ أمامَ العالَم في أنَّه ماتَ حقًّا بتلك الطريقة، أو لاتُّهِمَ أتباعُه أنَّهم لفَّقوا ما يبدو أنَّه إعدامٌ، مثل فريقٍ يعمل مع ساحر ألعابٍ خِفَّة. كانت طريقةُ الإعدامِ حدثًا واضحًا جدًّا، وكأنَّه فوَّهةُ بركانٍ في قلب التاريخ البشريِّ.

وقد دُرسَتِ التفاصيلُ الطبِّيَّة للصَّلْبِ على نحو موسَّع بناءً على قصص الإنجيل والبرهان التاريخيّ وكفنِ يسوعَ، وكما هو مُصوَّر في الأناجيل. فكان المحكوم عليهم بالصَّلْب يُجلَدون أوَّلًا باستخدام سوط يتكوَّن من شرائط جلديَّة مع قطعٍ معدنيَّة وعظيماتٍ حادَّة. وكان هذا الجَلْد يمزِّق لحمَ المحكوم عليه بعمقٍ، مسبِّبًا نزيفًا. وضُغِط أيضًا على رأس يسوع بتاجٍ من شوكٍ، ما تسبَّب في فقدان المزيد من الدم. ثمَّ كان المحكومُ عليه يحملُ عارضةَ الصليب إلى موقع الصلْب، وكانت تزن نحو ٤٥ كيلوغرامًا. وعند الصَّلب، كان الرُّسغان[1] والقدمان يُسمَّران إلى الصليب، وكانت المسامير ضخمةً وغليظةً، وكانت تمزِّق عصبًا أساسيًّا، ممَّا يسبِّب ألمًا مُبرِّحًا. وبعد أن كان الجنود يضعون المحكوم عليه على الصليب، كانوا عادةً يتهكَّمون عليه ويقتسِمون الثياب، وهذه التفاصيل مذكورةٌ في الأناجيل، وتتوافق توافُقًا دقيقًا مع التفاصيل المحدَّدة لعمليَّاتِ الصَّلْبِ الرومانيِّ. وهو ما يؤكِّد أكثر أنَّ الكُتَّاب كانوا يسجِّلون أحداثًا فعليَّة مُستمدَّة من شهودِ عِيان.

كانت وَضْعِيَّةُ الصَّلب تمنعُ المصلوبَ من التنفُّس، لذا كان المصلوبون يُضطرُّون إلى جَذْبِ أنفسهم نحو الأعلى بالضغط بواسطة أذرعهم وأقدامهم ليتمكَّنوا من التنفُّس. وكان المصلوبون عادةً ما يتوقَّفون عن التنفُّس بسبب الإنهاك أو الألم ثمَّ يموتون جرَّاء نقصِ الأُكسجين، بينما كان يموتُ آخرون جرَّاءَ الجَفافِ أو نزفِ الدَّم. وإذا أرادَ الجنود تسريعَ الموتِ، كانوا يكسرون عظامَ الساق (ما بين الركبتَين والقدمين)، كما هو مذكور في إنجيل يوحنَّا. ويبدو أنَّ يسوعَ كان قد مات فعلًا، فضربوه بحربةٍ في جنبه ليتحقَّقوا من الموت. وكان الجنود الرومان دائمًا ما يتحقَّقون من موتِ ضحاياهم قبل السماح لهم بالنُّزولِ عن الصليب، وإلَّا كانوا هم أنفسُهم يُعدمون.[2]

ليس كافيًا فقط معرفة أنَّ يسوع مات؛ إذ يجب فهمُ مغزى موته. فبينما يموتُ الآلافُ كلَّ يوم، لا نظُنُّ أنَّ لموتهم أيَّ تأثير فينا ما عدا حزنَ فقدانِ شخصٍ نعرفه أو نحبُّه. غير أنَّ لموت يسوعَ أهميَّةً كبرى لنا؛ فمعرفة صَلْبه لا تتعلَّق بمجرَّدِ الحزنُ

من جانبنا، بل بالإيمان الراسخ بما تحقَّق بالنيابة عنَّا، إذ كانت رسالته لخلاصِنا هي ما دفعَه إلى ما وراء الألم والعذاب. "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتملَ الصليبَ مستهينًا بالخزي، فجلسَ في يمينِ عرشِ الله" (عبرانيِّين ١٢: ٢).

هذا السرور الذي يصعبُ تفسيره هو السرُّ وراء احتمال يسوع تلك المعاناة؛ إذ كان هذا سرورَ معرفةِ ما كانت ذبيحتُه بصدد أن تُحقِّقَ للبشريَّة. ونتحوَّل الآن باهتمامنا إلى فهمِ عَظَمةِ ما تحقَّق بموته على الصليب، مبتدئين بتتميمه مطالبَ شَكاوى الذَّنْبِ الموجَّهةِ ضدَّنا بسبب تعدِّياتنا.

خُطَّةُ الله لإنهاء الظُّلم

بينما نتأمَّلُ بعمقٍ في هذا العملِ السامي من العدالة الإلهيَّة، ينبغي أن تنتابَنا القُشَعْريرةُ نتيجةَ ما يتضمَّنُه هذا العملُ لنا ولخلاصنا. فعندما خلقَ الله العالمَ في البدء، كان خاليًا من الشرِّ والمعاناة، وكان أوَّل إنسانَين في علاقة كاملة بالله، وأحدهما بالآخر، وبالخليقة أيضًا. وكلُّ ما كانا يحتاجان إليه هو الثقة بالله بوصفِه مصدرَ هُوِيَّتِهما وأمنِهما وهدفِهما. غير أنَّ آدمَ وحوَّاءَ اختارا أن يتمرَّدا على الله، ويصيرا هُما أصحابَ السُّلْطة النهائيَّة. ونتج عن هذا التمرُّدِ انفصالُهما عن الله، مصدرِ الحياة الحقيقيَّة. ثمَّ اختبرا الألم والمعاناة، اللذين استشريا في العالم كلِّه. ورُغمَ ما جرى، فإنَّ الله لم يهجُرِ البشريَّةَ، بل رتَّب خُطَّته للخلاص ليُعتِقَنا من تَبِعاتِ الخطيَّة ومن قوَّتها المدمِّرة.

بدأَتْ خُطَّةُ الفداءِ مع أوَّل ذبيحة- موتِ حيوانٍ في الجنَّة لتغطيةِ خطيَّةِ آدمَ وحوَّاءَ، وامتدَّت إلى تكوين الشعبِ العبريِّ مع نظام الذبائح الخاصِّ بهم، والذي غطَّى خطايا العبرانيِّين. وبلغَ المشهَدُ أوجَه في ذبيحةِ يسوعَ على الصليب من أجل خطايا العالم كلِّه. وستصل إلى شكلها الكامل مع المجيء الثاني ليسوع، حين يُنزَع

كلُّ الشرِّ ويختبرُ الناسُ حضورَ الله إلى الأبد في الخليقةِ المُستردَّة.

وفي سِياقٍ متَّصل، يتردَّد النقَّاد بشأن قبول فكرة أنَّ آدم وحوَّاء كانا إنسانَين حقيقيَّين، لكنَّ عواملَ عديدةً تشيرُ إلى أصالتهما؛ فإنَّ سجلَّ الحفريَّاتِ العلميَّة يقترحُ أنَّ الخصائصَ المميِّزة للبشر ظهرَتْ فجأةً ولم تتطوَّر بالتدريج على مرِّ الزمن.[٣] وعلاوةً إلى ذلك، يتَّسقُ البرهانُ الوراثيُّ مع كوْن كلِّ الناس نشأوا من زوجٍ واحد[٤]، وتحدَّث يسوع بأنَّ الله خلق ذكرًا وأنثى في البداية (متَّى ١٩: ٤)، وكما ذكرنا، وسنناقش بتفصيل أكبر في الفصل التالي، تؤيِّد قيامةُ يسوعَ هُويَّته وتعطي معقوليَّة لكلماته على كلِّ الآخرين. فإذا قال يسوع إنَّ آدمَ وحوَّاءَ كانا حقيقيَّين، فيمكنك قبولُ ذلك التصريح بثقة على أنَّه حقيقة. وفي النهاية، ليست هناك مقدِّمة لاهوتيَّة مدعومة تجريبيًّا أكثر من الحالة الساقطة للبشريَّة، فلدى الناس إحساسٌ فطريٌّ بأنَّ هناك مبادئَ أخلاقيَّةً مجرَّدة، ومع ذلك فلدينا نزعة يصعب التحكُّم فيها لانتهاك تلك الحقائق، وكثيرةً ما تكون انتهاكاتٍ بشعةً.[٥] وتؤكِّد هذه الوقائعَ بوضوحٍ حتَّى أكثر الدراسات سطحيَّةً في التاريخ وعلم النفس أو حتَّى الأخبار الإعلاميَّة المتداوَلة، وتشير إلى حقيقة أنَّ الله خلقنا على صورته، لكنَّ البشريَّة صارتْ فاسدةً ومُبتعدةً عن الخالق.

جزاءُ الخطيَّة

أوَّل أمر وجبَ على السيِّد المسيح التعامل معه كان جزاءَ الخطيَّة. ولأنَّ الخطيَّة في جوهرها هي تعدٍّ على ناموسِ الله بالتمرُّد ضدَّه، فيجب أن تنالَ عقابَها. تخيَّلْ قاتلًا يرتكبُ جريمةً بشعةً، ويطلبُ ببساطةٍ أن ينالَ الغفران، فيخرجونه من السجن؛ إذ يمكنأن ينالَ المغفرةَ، لكنَّ الأمر المفقودَ هو عقابٌ عادل.

من الصعب استيعاب الصدمة الجسديَّة والوجدانيَّة لما عاناه المسيحُ وما تحمَّله حتَّى حين يُصوَّر ذلك في أفلام مثل "آلام المسيح" (The Passion of the Christ).

وغالبًا ما يكون الردُّ هو أنَّ هذا العذاب والألم كان لغرض أن يُظهِرَ لنا يسوعُ محبَّتَه، وهذا التصريح حقيقيٌّ لسببٍ مختلف عمَّا يفترضه أغلب الناس. أجل جرى هذا من منطلق محبَّة لا يُسبر غورُها، لكن في الأهميَّة ذاتها، كانت فكرة أنَّه أخذَ عقابَنا؛ لأنَّ العقابَ كانَ جزاءَ خطايا العالم. وسواء أدركنا ذلك أم لم ندركه، كان هذا العقابُ هو عقابَنا نحن وكان علينا تحمُّله. ومن المذهل أنَّ شخصًا ما يحمل هذه التَّبِعات نيابةً عنَّا.

وقد تنبَّأ النبيُّ إشعياء بهذا العملِ النيابيِّ ليسوع على الصليب، وكيف أنَّه أخذَ عقابَنا ودفعَ جزاءَ خطايا العالم:

"كلُّنا كغنم ضللنا، مِلنا كلُّ واحد إلى طريقه، والربُّ وضع عليه إثمَ جميعِنا" (إشعياء ٥٣: ٦).

قُدِّمتْ هذه الصورة النبويَّة الحيَّة قبل ٦٠٠ سنة من تحقُّقِها، وهي تُصوِّر مطالبَ عدالةٍ إلهيَّةٍ كما هي مُصوَّرة في الكتاب المقدَّس.

منذ بداية تعامُلات الله مع البشر، كانت الخطيَّة (تعدِّي ناموس الله) مكلِّفة. ورغم ذلك، فقد قدَّم الله دائمًا الغطاء والبدائل، ونتج عن أوَّل عملِ عصيانٍ دخولُ الموت إلى الحالة البشريَّة، وفي الحال قُتلَ حيوانٌ بريءٌ للتعامُل مع تعدِّي أوَّل زوجَين بشريَّين، وسَتْرِ خزيهما الناتج عن العصيان. وتخلَّل الخلاص من العبوديَّة في مصر إعطاء العبرانيِّين مأوى من الدينونة الآتية إلى الأرض بدم حمَلٍ، وكان وعْد الله أنَّ الدم سيجعل دينونة الضربة الأخيرة تعبر عن مساكن أولئك الذين وضعوا الدم على قائمتَي الباب وعتبته العُليا. ومن هنا جاءت كلمة العبور (Passover)؛ فبذبيحة الحمل جُنِّب العبرانيُّون موت أبكارهم.

وفكرةُ أن يكونَ ثمنُ الخطيَّة هو سفكَ دمٍ، هي فكرة متكرِّرة في الكتاب المقدَّس. وقد أشار يسوع إلى هذا رمزيًّا في عشائه الأخير مع تلاميذه قبل موته،

حيث رفعَ الكأس المُستخدمةَ في عيد الفصح وأعلن قائلًا: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسفك عنكم" (لوقا ٢٢: ٢٠).

يجب أن يجعلَنا فَهْمُ خطورةِ الخطيَّةِ والجزاءِ البالغ الناتج عنها نرتجفُ من هَولِ هذه الذبيحة العظيمة، وعطيَّة الله الجزيلة، حتَّى إنَّه تألَّم وتعذَّبَ وقاسى الآلامَ مكانَنا.

رحمةٌ عظيمة تتجاوزُ العقابَ

ما يُغفل في أحيانٍ كثيرة عند ذِكْر العقابِ الشديدِ للخطيَّة في العهد القديم هو الرحمة الهائلةُ المتاحة للكُلِّ. فببساطة، حين تدرك خطورةَ تَبِعاتِ تعدٍّ ما، ستُدهَش من النعمة المقدَّمة. وعلى الجانب الآخر، لو كان جزاء الخطيَّة تافهًا، لتضاءلَتْ قيمةُ المغفرة أيضًا.

يُرى المثال الجوهريُّ لتدبير الله بشأن الخطيَّة في سِفر اللاويِّين. وغالبًا ما يُهاجِم النقَّادُ هذا الجزءَ من الكتاب المقدَّس حاسبين إيَّاه عرضًا يُظهِرُ غضبَ اللهِ بإفراط. غير أنَّ نظرةً أقربَ تكشفُ العكسَ؛ فقبل أن يذكُرَ سفرُ اللاويِّين الناموسَ والعقابَ، تقدِّم الأصحاحاتُ الستَّة عشر الأولى من سبعةٍ وعشرين أصحاحًا تعليماتٍ عن الكفَّارة (تغطيَّة الخطايا)، وتعليمات لتلقِّي المغفرة والتطهير. وفي الأصحاح السادس عشر، تُظهر التعليماتُ الخاصَّة بيَوم الكفَّارة صورةً ضخمةً للكيفيَّةِ التي كانت بها رحمةُ اللهِ فيَّاضةً ومتاحةً دائمًا.

ما يزال يومُ الغفران هذا يُحتفل به بعدَ مرور ٣٥٠٠ سنة، وهو في العبريَّة "يوم كيبور" (Yom Kippur). ويجري الاحتفالُ مرَّةً في السنة على مستوى العالم، وتقرأ غالبيَّةُ المجامع اليهوديَّة سِفر يونان في أثناء الاحتفال. وقد يبدو اختيار سِفرِ يونانَ غريبًا للوهلةِ الأولى، فلماذا يَرقَى سِفرٌ قصَّته الأساسيَّة عن رجل يبتلعه كائنٌ بحريٌّ إلى هذا المستوى من الاهتمام؟ ليس الاختيار غريبًا في الإيمان اليهوديِّ؛ فلو نظرنا من قُرب، لوجدْنا أنَّ المفاجأةَ الكبرى في القصَّة ليسَ الكائنَ البحريَّ، بل عطيَّةُ الرحمة التي تبتلعُ الدينونةَ التي كانت تستحقُّها مدينة نينوى.

في القصَّة، يهرب يونان بعد أن يرسلَه الله ليسلِّم رسالةَ دمارٍ إلى المدينة. ويفترض كثيرون أنَّ يونان هربَ لأنَّه خاف أن يُسلِّم هذا التحذيرَ الصارمَ إلى مدينةٍ عدائيَّةٍ كما كانت نينوى. غير أنَّ السببَ الحقيقيَّ لهروب يونان هو أنَّه كان يعرف أنَّ الله رحيمٌ، وفي النهاية أخبرَ الله أنَّه لم يكُن يريد إعطاء رسالة الدينونة إلى الناس، إذ كان يعلم أنَّ الله سيغفر ولن يهلكَهم.

"فغمَّ ذلك يونان غمًّا شديدًا، فاغتاظ. وصلَّى إلى الربِّ وقال: "آه يا ربُّ، أليس هذا كلامي إذ كنتُ بعدُ في أرضي؟ لذلك بادرتُ إلى الهرب إلى ترشيش، لأنِّي علمتُ أنَّك إله رؤوف ورحيم بطيء الغضب وكثير الرحمة ونادم على الشرِّ. فالآن يا ربُّ، خذ نفسي منِّي، لأنَّ موتي خير من حياتي" (يونان ٤: ١-٣).

في أحيان كثيرة نريد، نحن البشرَ، أن ينالَ الناسُ ما يستحقُّون. وحين أُخبِر يونانُ أن يعلنَ الهلاكَ الوشيك على المدينة، كان مدركًا تمامًا رحمةَ الله العظيمةَ، حتَّى إنَّه هربَ إلى أبعد ما يمكن عنها. لكنْ لا يمكنُ الهرب أسرع من محبَّة الله. "ولكنَّ الله بيَّن محبَّتَه لنا، لأنَّه ونحن بعْد خطاة مات المسيحُ لأجلنا" (رومية ٥: ٨).

حمَلُ الله

أظهرَ الله محبَّته ورحمته الجزيلتَين بشخصيَّاتٍ أُخرى كثيرة في العهد القديم غير يونان. لكنَّ هذه الشخصيَّات لم تكن سوى مُنبئةٍ مقدَّمًا بتحقيق وعود الله بدخول يسوعَ الناصريِّ إلى التاريخ البشريِّ، إذ نادى بمجيئه لاحقًا يوحنَّا المعمدان، وهو أحد الأشخاص الرئيسيِّين الذين يعترفُ حتَّى النقَّاد أنَّه شخصٌ تاريخيٌّ. وقد وعظ يوحنَّا بالتوبة لمغفرة الخطايا في برِّيَّة يهوذا، وعمَّد جماهير ممَّن استجابوا. وحين رأى يوحنَّا يسوعَ على مسافة منه، أعلن قائلًا: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطيَّة العالم" (يوحنَّا ١: ٢٩).

وتسميةُ حملِ اللهِ أعادت صورَ حملِ الذبيحة الذي منعَ الدينونة عن كلٍّ من استغلَّ فرصةَ هذا العرض من النعمة. كما أنبأتْ هذه التسمية مقدَّمًا أنَّ يسوعَ سيبذل حياتَه الطاهرة ليرفع خطايا العالم. وكان يسوع يدرك أنَّ تضحيته هي أوج خدمته الأرضيَّة. "أنا هو الخبز الحيُّ الذي نزل من السماء. إنْ أَكَل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنَّا ٦: ٥١)، ومرَّة أخرى يشير الثمن النهائيُّ للخطيَّة إلى سفكِ دمٍ بوصفه الجزاء المطلوب.

مرفوع

وصف الرسولُ يوحنَّا في إنجيله وصفًا تفصيليًّا لِلَحظةٍ أخرى من الدينونة الإلهيَّة بهتَتْ أضواؤها أمام رحمة الله. وكان المشهدُ هو ضربةً أصابت العبرانيِّين بينما كانوا في البرِّيَّة بعد خلاصهم المعجزيِّ من مصر. وفي إحدى أغربِ اللحظات في التاريخ، أعطى الله إرشاداته إلى موسى بشأن ما ينبغي فعله لإيقاف الضربة:

> "وتكلَّم الشعبُ على الله وعلى موسى قائلين: «لماذا أصعدْتُمانا من مصر لنموت في البرِّيَّة؟ لأنَّه لا خبز ولا ماء، وقد كرِهَتْ أنفسنا الطعام السخيف» فأرسل الربُّ على الشعب الحيَّات المحرِقة، فلدغَتِ الشعب، فمات قوم كثيرون من إسرائيل. فأتى الشعب إلى موسى وقالوا: «قد أخطأنا إذ تكلَّمنا على الربِّ وعليك، فصلِّ إلى الربِّ ليرفع عنَّا الحيَّات». فصلَّى موسى لأجل الشعب. فقال الربُّ لموسى: «اصنع لك حيَّة محرِقة وضَعْها على راية، فكلُّ من لُدغ ونظر إليها يحيا» فصنع موسى حيَّة من نحاس ووضعها على الراية، فكان متى لَدَغتْ حيَّة إنسانًا ونظر إلى حيَّة النحاس يحيا" (عدد ٢١: ٥-٩).

هذه إحدى اللحظات الغريبة في التاريخ، حيث لا ينبغي أن نصرفَ النظرَ عن الرسالة بسبب الطبيعة المتفرّدة وغير المعتادة للرواية. إذ يمكن تلخيصُ القصَّة بالنمط المعتاد الذي نراه في العهد القديم: جلبَتِ الخطيَّةُ دينونةً، لكنَّ الله دبَّر رحمةً.

كان العلاج الذي وصفه الله هو في صُنْع رمزٍ لدينونةِ الناس، ورَفْعه في مكانٍ حيث تكون هناك فرصةٌ لكلِّ واحد أن ينظرَ إليه فينالَ المغفرة، وأُمروا أن ينظروا ويحيَوا. ويمكن تخيُّل الصعوبة التي واجهَها مَن ينظرون إلى حلِّ الله مع كلِّ الاضطراب من حولهم؛ فحين أكون في حالةٍ من الهَلَع والخوف، يتطلَّب تحويل عينيَّ عن مشكلتي والنظر إلى حلِّ الله قفزةَ إيمانٍ عظيمةً.

وقد استخدم يسوع هذه الصورة لوَصْف خدمته: "وكما رَفَع موسى الحيَّةَ في البرِّيَّة، هكذا ينبغي أنْ يُرفعَ ابنُ الإنسان، لكي لا يهلِك كلُّ من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديَّة. لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلِك كلُّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنَّا ٣: ١٤-١٦).

وعد يسوع أنَّ على الناس أن ينظروا إليه حين يُرفَع على الصليب لينالوا حياة أبديَّة، وكما هي الحال مع الحيَّات، كانت ذبيحتُه تمثِّل الدينونةَ المُستحقَّةَ من أجل خطايانا، وستكون نتيجةُ وَضْع إيماننا فيه هي تحريرَنا من لعنةِ الموت. وقد قدَّم الرسولُ بولس فكرًا ثاقبًا أكثر بشأن ذلك حين كتب: "لأنَّه جعلَ الذي لم يعرفْ خطيَّة، خطيَّةً لأجلنا، لنصيرَ نحن برَّ الله فيه" (٢كورنثوس ٥: ٢١).

ربَّما يرتبط سببُ استخدامِ الحيَّة باللحظة التي أخذَ فيها يسوعُ خطايانا عند الصليب؛ إذ يقول العدد الذي قرأناه توًّا إنَّ يسوعَ المسيحَ صارَ "خطيَّةً لأجلنا"، وهو "الذي لم يعرف خطيَّة". وكما قال الرسولُ بطرس: "الذي حَمَل هو نفسُه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبرِّ. الذي بجلدته شُفيتُم" (١بطرس ٢: ٢٤).

مرَّة أخرى تحدَّث النبيُّ إشعياء بشأن حَمْلِ خطايانا هذا قبل حدوثه بمئات الأعوام:

"لكنَّ أحزانَنا حملها، وأوجاعَنا تحمَّلها، ونحن حسِبناه مُصابًا مضروبًا من الله ومذلولًا، وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره شُفينا" (إشعياء ٥٣: ٤-٥).

لم يكُن هذا البعدُ من الخلاص هو ما كان الشعب اليهوديُّ يتوقَّعه حين كانوا يبحثون عن المسيَّا؛ إذ كان أملُهم في إنقاذٍ وطنيٍّ عسكريٍّ، لا في خلاصٍ روحيّ، هم في أمسِّ الحاجة إليه في الواقع. وكانت فكرةُ أن يُعذَّبَ المسيَّا ويُهان هي فكرةٌ مُخزية عندهم، لكنَّ هذه الذبيحةَ جعلَتِ السلامَ الحقيقيَّ مع الله أمرًا مُمكنًا.

صِرنا مُفتَدين من العبوديَّة

جاء يسوع أيضًا ليتعاملَ مع سلطان الخطيَّة علينا، فقد صاحبت إعلانَ ميلاد المسيح بواسطة ملاك نبوَّةٌ مهمَّة: "لأنَّه يُخلِّص شعبَه من خطاياهم" (متَّى ١: ٢١). والعطيَّة الرائعة المقدَّمة إلينا ليست فقط غفرانًا، بل هي القوَّة للتغلُّب على مَيلِنا الفطريِّ إلى الشرِّ. وقد وعد أنبياءُ العهد القديم بأنَّ الله سيُعطي شعبَه قلبًا جديدًا (حزقيال ٣٦: ٢٦؛ إرميا ٣١: ٣١-٣٣)، وقد تحقَّق هذا الوعدُ بإعطاء الروح القدس المؤمنين طبيعةً جديدة- ميلادًا روحيًّا جديدًا. وترتبط عمليَّة تحرير الله لنا من سلطان الخطيَّة، بحسب كُتَّاب العهد الجديد، بتحرير الله للعبرانيِّين من عبوديَّة مصر.

تشيرُ أمورٌ كثيرةٌ، من التي يتبنَّاها النقَّاد للتَّشكيك في الكتاب المقدَّس، إلى رحمة الله ومحبَّته حين تُختبر بصورةٍ منفتحةٍ وعادلة. والعبوديَّة هي بالتأكيد إحدى أعظم التعدِّيات البشريَّة. ومنذ بدء التاريخ المسجَّل، كانت العبوديَّة بشكلٍ أو بآخر حقيقةً من حقائقِ الحياة، وقد ادَّعى الناسُ أنَّ الكتاب المقدَّس قبِلَ العبوديَّة، بطريقة ما؛ لأنَّ هناك إرشاداتٍ مقدَّمةً عن كيفيَّة معامَلةِ العبيد. ورُغمَ أنَّ هذه

المساحة ليست بالمكان المناسب لتقديم عرض كامل عن كيفيَّة تفسير هذا الأمرِ تفسيرًا صحيحًا؛ وكيفيَّة فهمِ عدلِ الله وإنصافه للَّذين كانوا في هذا الوضع، فمن المهمّ رؤيةُ أنَّ العبوديَّة هي الصورة التي قدَّمها الله، والتي وصفَتْ بأفضل شكلٍ الحالة البشريَّة؛ فنحن عبيدٌ للخطيَّة.

تبدأ الوصايا العشرُ، التي أعطاها الله شخصيًّا لموسى، بعبارة: "أنا الربُّ إلهك الذي أخرجَك من أرض مصر من بيت العبوديَّة" (خروج ٢٠: ٢)؛ فليس الله هو مُبتدِعَ العبوديَّة بل المُخلِّصُ منها.

من المستحيل فَهْمُ ما أنجزَه المسيحُ بصَلْبِه دون استيعابِ حقيقةِ أنَّه جاء ليشترِيَنا من حالة العبوديَّة الروحيَّة هذه، وذلك ما تعنيه كلمة مُفتدين- شراء شخصٍ ما أو تخليصه من حالة عبوديَّة، وإطلاقه حرًّا. "لأنَّ ابنَ الإنسان أيضًا لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذِلَ نفسَه فديةً عن كثيرين" (مرقس ١٠: ٤٥). وتقترحُ فكرةُ أن نُفتدى أنَّنا كُنَّا رهائنَ في حالتنا الساقطة، وقد أنبأ الأنبياءُ مسبَّقًا بهذا الفداء، وحقَّق المسيحُ هذا الفداءَ بموته وقيامته.

الصَّلْبُ هو في قلب الإنجيل

نحن مدعوُّون للمناداة بالإنجيل (الخبر السارّ) إلى كلِّ الشعوب، وللحصول على فهْم أفضل لمحتوى هذه الرسالة، إليكم تعريفًا موجزًا:

> الإنجيل هو الخبرُ السارُّ أنَّ الله صارَ إنسانًا في يسوع المسيح، وعاش الحياة التي كان ينبغي أن نعيشَها، ومات بدلًا منَّا الميتةَ التي كان ينبغي أن نموتها. وبعد ثلاثة أيَّام، قام من الأموات، مبرهنًا أنَّه ابن الله، ومقدِّمًا عطيَّةَ الخلاصِ للَّذين يتوبون ويؤمنون به.

في قلب الرسالة جملةُ "وعاش الحياة التي كان ينبغي أن نعيشها ومات بدلًا

منَّا الميتة التي كان ينبغي أن نموتَها". فلننظُرْ على نحوٍ أقربَ إلى كلِّ فكرةٍ مقدَّمة في هذه الجملة. (سنختبرُ في الفصول التالية التصريحاتِ الأخرى لرسالة الإنجيل).

عاش الحياة التي كان ينبغي أن نعيشَها

كان ينبغي للمسيح أن يكونَ بلا عيبٍ، فكان ليس فقط رجلًا بارًّا على نحو استثنائيٍّ، بل كان أيضًا كاملًا. وفي كلِّ التاريخ البشريِّ لم يكُن هناك تصريحٌ جادٌّ بكَوْن شخصٍ ما كاملًا، لا سيَّما بالمعنى الأخلاقيِّ. أطلق الكوميديان البريطانيُّ ستيفن فراي (Stephen Fry) العنانَ لخَرَفٍ ظالمٍ جدًّا نحو الله بسبب الشرِّ والألم في العالم، موجِّهًا توبيخه واتِّهامه بأنَّه لا يمكنُ أن يكونَ الله حقيقيًّا ويسمحَ بألم مثل هذا. واستمرَّ يقول إنَّه يُفضِّل لو كانت آلهة الإغريق حقيقيَّة إذ كانوا مثل البشر مع النزعات الغريزيَّة والنواقص الأخلاقيَّة ذاتها. هل هذا فعلًا ما نريده؟ أنريدُ إلهًا غير كامل؟

كان اختبارُ يسوعَ النهائيُّ، بعد أن برهنَ مِرارًا وتَكرارًا على تجنُّبه الخطيَّة، هو أن يُسلِّم نفسَه إلى الله، ويكونَ على استعدادٍ لفعل مشيئته، حتَّى وإنْ كان معنى ذلك الموت. وبواسطةِ خدمةِ يسوعَ، قدَّم عددًا من الرسائل التي كانت تشير إلى خدمته الأساسيَّة: أن يضعَ حياتَه من أجل الآخرين، وهي النقيضُ تمامًا لعقليَّة البقاء للأصلح. وكان ذلك مشهدًا ثوريًّا عتيدًا أن يكونَ الدعوةَ الراديكاليَّةَ لأتباعه. فإذا لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم آخرين، فسيكون هذا هو مسارَ أتباعه أيضًا، محبَّة عمليَّة راديكاليَّة، وليستْ مجرَّدَ كلام، الأمر الذي سيستبدلُ بتحقيق الذات التضحيةَ بالذات بوصفها الطريقَ إلى السلام والحياة.

وبسبب حياته التي كانت دون خطيَّة، استطاعَ أن يقدِّم نفسَه نيابةً عنَّا. وكانت الذبيحة المناسبة الوحيدة لتغطية خطايا العالم كلِّه هي ذبيحةً كاملة، وكان يمكن أن يحقِّقَ يسوعُ وحدَه هذا المطلب، إذ كانَ ليس فقط رجلًا بارًّا على نحوٍ استثنائيّ،

بل كان أيضًا خاليًا بالكامل من الخطيَّة، وطائعًا بالكامل لله في كلِّ كلامه وأفعاله. تشوبُ جميعُ أبطالنا عيوبٌ، حتَّى أفضلهم، لكنَّ يسوعَ كان يتبعُ ناموسَ الله وإرادته بصورةٍ مثاليَّة. وقد أظهَرَ عطفًا ورحمةً لا مثيل لهما، كما أظهر أيضًا سلطانًا كاملًا على قُوى الشرِّ والمرض، بل على الموت نفسه، وتحدَّى الرياء الدينيَّ، ودعا الناسَ لأن يبتعدوا عن الشرِّ تمامًا. وفي النهاية أخضعَ نفسَه بالكامل إلى إرادة الله بتقديم نفسه ذبيحةً على الصليب. وإذ حقَّقتْ حياةُ يسوع ناموسَ الله، كان يمكنُ أن يستُرَ موتُه كلَّ خطايانا.

علاوةً على ذلك، تُوحِّد قوَّةُ الروح القدس، بالإيمان بيسوع، حياتَنا بحياته، فنتغيَّر يوميًّا إلى صورته. وبمرور الوقت نختبر قوَّة أعظم على خطايانا، وتتَّفق أفكارُنا أكثر وأكثر مع إرادة الله. كما يمكننا أيضًا اختبار السلام والفرح، عالمين أنَّ الله لا يرانا في ضَوء نقائصنا نحن، بل في ضَوء حياة يسوع.

مات بدلًا عنَّا الميتة التي كان ينبغي أن نموتها

تبدو فكرةُ الموت من أجل خطايا شخصٍ آخر فكرة بلا معنى لدى الكثيرين. وترفضُ بعض الأديانِ في العالم هذه الفكرة، وتعلنُ أنَّ كلَّ شخصٍ سيُدان على ما اقترفَه من أفعال، كما ترى معظَمُ المنظوماتِ الدينيَّةِ أنَّ ما يحدِّدُ مصيرَنا الأبديَّ هو الكيفيَّة التي تتَّفق بها تصرُّفاتنا مع قانونٍ أخلاقيٍّ ما أو مجموعةٍ من التعاليم. لكنْ للأسف مثلُ هذه التصريحات هي تصريحات قد جانبها الصواب حين ندركُ أنَّه ما من أحد يمكنه تحقيق معايير الله الكاملة؛ فكما أعلن الرسول بولس: "الجميعُ... أعوزَهم مجدُ الله" (رومية ٣: ٢٣).

كلُّ مَن يرتكب جريمةً ضدَّ الإنسانيَّة، ينبغي أن يدفع ثمنَ تلك الجريمة. لكن كيف يمكن أن يدفعَ الشخصُ الخطايا التي اقترفَها بحقِّ الله؟ ما العقاب الذي يناسب التمرُّد على خالقِ الكون؟ إذا كانت بعض الأعمال تستحقُّ الموت أو السجن مدى

الحياة هنا على الأرض، أليس منطقيًّا أن يكونَ عقابُ الخطايا ضدَّ الله أعظم؟ ألا تكون النتائج المترتِّبة على الخطايا ضدَّ إلهٍ أبديٍّ هي أيضًا أبديَّة؟ إنَّ الحقيقةَ الرشيدةَ هي أنَّ جميعَنا نستحقُّ حُكمَ الموت الأبديِّ؛ إذ لا يستحقُّ أيُّ شخصٍ أن يقفَ في حضرة الله. لذا فقط في ضَوءِ هذا يمكن أن تُفهَمَ ذبيحةُ يسوعَ فهمًا صحيحًا؛ فجميعنا نستحقُّ العقاب، لكنَّ حياةَ يسوعَ المثاليَّةَ سدَّدتِ الدَّينَ الهائل الذي نُدينُ به أمامَ الله. وبالإيمان بيسوعَ المسيح، نقبلُ غفرانَ خطايانا والقوَّةَ اللازمةَ لنعيشَ حياةً جديدة، وكما كتبَ الرسولُ بولس إلى أهل رومية:

"برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كلٍّ وعلى كلِّ الذين يؤمنون. لأنَّه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجدُ الله، متبرِّرين مجَّانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدَّمه الله كفَّارة بالإيمان بدمه، لإظهار برِّه، من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله. لإظهار برِّه في الزمان الحاضر، ليكون بارًّا ويبرِّر مَن هو مِن الإيمان بيسوع" (رومية ٣: ٢٢-٢٦).

كانت حقًّا عمليَّة إنقاذ إلهيَّة، إذ جاء المسيحُ ليفتدينَا من قبضة الخطيَّة والموت. لكنْ ينبغي أن نفهَمَ الآتي: لم تكُن هناك أيَّة وسيلةٍ أخرى تساعدنا سوى بموته البدليِّ نيابةً عنَّا. فلو كانت هناك وسيلةٌ أخرى بخِلافِ الموت مكانَنا، لاستخدمَها يسوعُ بكلِّ تأكيد. بل إنَّ يسوعَ قبل موته صلَّى في بستان جَثسَيماني قائلًا: "إنْ أمكَن فلتعبُرْ عنِّي هذه الكأس"، وفي النهاية لم تكُن هناك أيَّة طريقةٍ أخرى، فقدَّم ابنُ الله، الذي بلا خطيَّة، نفسَه إلى الآب نيابةً عنَّا ليدفعَ ثمنَ خطايانا ويردَّنا إلى الله.

تأثير صليب المسيح

لا يُمكن أن ينكرَ نقاشٌ موضوعيٌّ صَلْب المسيح. لكن بعيدًا عن حقيقة موته، نجد مغزى ما حدث حين ننظر نظرةً أعمق في الكتاب المقدَّس. وقد يبدو الأمرُ لبعض

الأشخاص أشبهَ بنهايةٍ مأساويَّة قاسية لحياةٍ عظيمة، لكن في الحقيقة، كانت لهذا العمل المُضحِّي نتائجُ بعيدةُ المدى، يصل مداها إلى السماء من فوق وإلى الجحيم من أسفل.

جرَّد قوى الظلام

كانت قُوى الشرِّ في هذا العالم قد تآمَرَتْ لتدمير يسوع، وتضمَّنت هذه القُوى المنظومة الدينيَّة الفاسدة التي يرأسها قيافا، والمنظومة السياسيَّة المستبدَّة التي يرأسُها بيلاطس وهيرودس أنتيباس، والقوى الشيطانيَّة التي يحكمها الشيطان، وكان انتصارُهم الأسمى يبدو في صَلْب يسوع. لكنَّ يسوعَ أظهرَ انتصارَه سريعًا على قوَّتهم في القيامة. وبدفْعه ثمنَ خطايانا، انتزع منهم قوَّتهم على العالم:

> "وإذْ كُنتُم أمواتًا في الخطايا وغَلَف جسدكم، أحياكم معه، مسامحًا لكم بجميع الخطايا، إذ محا الصكَّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدًّا لنا، وقد رَفَعَه من الوسط مُسمِّرًا إيَّاه بالصليب، إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جِهارًا، ظافرًا بهم فيه" (كولوسِّي ٢: ١٣-١٥).

ونتيجةً لذلك، صارَ لنا الآن سلطانٌ على قُوى الشرِّ الروحيَّة في هذا العالم، وصار في وُسعِنا أن نهدمَ حصونًا روحيَّةً تقمعُ حياتَنا وحياة مؤمنين آخرين، كما يمكننا أيضًا أن نصلِّي من أجل سلطان الله وقوَّته لاختراق القَمع الذي يسيطرُ على الشعوب والمدن والمجتمعات المحلِّيَّة. ولا نبالغ إذا قلنا إنَّ هذا التغيُّر الضخمَ صارَ ممكنًا بموته.

خلَّصنا من خَوفِ الموت

> "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يبيدَ بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أيْ إبليس، ويعتقَ

أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كلَّ حياتهم تحت العبوديَّة" (عبرانيِّين ٢: ١٤-١٥).

إنَّ أكثر حقائق الحياة حكمةً هي أنَّ الكلَّ يموتون. وقد تُسبِّب معرفة هذا أن يصير بعضُنا مشغولين تمامًا في العمل، وفي شؤون الحياة حتَّى إنَّهم يصرفون انتباههم عن التفكير في هذا المصير المشؤوم، بينما يعيش آخرون في يأسٍ صامتٍ بسبب إمكانيَّة هذه النهاية التي لا مفرَّ منها. وقد صارع فلاسفة عظماء مع هذا الأمر، وكتبوا عن التعامل مع اليأس الوجوديِّ لحياةٍ تبدأ دون سبب، وتنتهي دون معنًى حقيقيٍّ. غير أنَّ موتَ يسوعَ المسيح أعتَقَنا من حفرةِ اليأس تلك، فلسنا بعدُ مسجونين لخوفِ الموت؛ إذ نعلمُ أنَّ هناك أمرًا ما وراء هذه الحياة.

كَسَرَ حائطِ الانقسام

"ولكنِ الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلًا بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح. لأنَّه هو سلامنا، الذي جعلَ الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسِّط، أي العداوة. مُبطِلًا بجسده ناموسَ الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانعًا سلامًا، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلًا العداوة به" (أفسس ٢: ١٣- ١٦).

لم يكُن هناك انقسامٌ عرقيٌّ أعظمُ من ذاك الذي كان بين اليهوديِّ والأمميِّ. ويقول الكتاب المقدَّس إنَّه بسبب موت يسوعَ، هُدِمَ ذلك الحائطُ باتِّحاد اليهود والأمم في السيِّد المسيح. ولا يزال عالمُنا اليوم منقسمًا ومنشقًّا بسبب شرِّ العنصريَّة، وينبع هذا من الظلمة التي تقبع في كلِّ قلبٍ بشريٍّ؛ إذ ننظر نظرةً سلبيَّةً إلى مجموعاتٍ أخرى من الناس بسبب خوفنا، وعدم شعورنا بالأمان، وجرَّاءَ أحكامنا القاسية. ولا يستطيع كثيرون غفرانَ الخطايا التي ارتكبها أفرادٌ من جماعةٍ ما، لذا ينظرون

إلى كلِّ مَن ينتمونَ إلى تلك الجماعة بصورةٍ نمطيَّة (التفكير في الجميع بطريقة واحدة)، أو ببساطة لا يُظهرون أيَّ اهتمام بشأن الصعاب التي يتعرَّض لها مَن هم خارج جماعاتهم. وحدَها قوَّة الصليب تستطيع اختراق الكثير من هذه الموانع؛ فعندما يغفر الله ما ارتكبناه من خطايا، فهذا يدفعنا لأن نغفرَ لآخرين، وتدفعنا رحمة الله ولطفُه نحونا لنُظهِر الأمر نفسه حتَّى نحو أعدائنا.

نتيجةً لتحوُّلنا نحو يسوع، نصيرُ أولادَ الله، أي أنَّنا مؤمنون باسْمه. فلا تستندُ هُوِيَّاتُنا في ما بعد إلى أعراقنا أو مكانتنا الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، ولا إلى أيِّ معيار طبيعيٍّ آخر، إذ ندركُ أنَّنا ننتمي الآن إلى عائلة جديدة تتخطَّى كلَّ انقساماتٍ طبيعيَّة. وقد وصف بولس الرسول بوضوح حقيقةَ الانقسام الذي كان موجودًا ما بين الشعب اليهوديِّ والأمم (غير اليهود). ففي زمنِ موسى النبيِّ، وضعَ الله قوانينَ تخلقُ موانعَ ثقافيَّة بين شعبه والأمم المحيطة، مثل عدم الأكل معًا. وكان الهدف هو منْع عبادة الأوثان وفساد الشعوب المحيطة من تلويث الأمَّة العبريَّة. وبعد يسوع، كان الروحُ القدسُ يمكِّن المؤمنين من العَيش بالبرِّ حتَّى وسط الثقافة الوثنيَّة. ولم يعُد هناك احتياج إلى موانع، لذا كان ممكنًا أن يأتي اليهود والأمم معًا ليكونوا شعبًا واحدًا. ولا تزال القوَّة الموحِّدة نفسها حاضرةً اليوم، ويمكنها أن تجمعَ الناسَ معًا.

كانت إحدى أقوى صورِ هذه الوَحدة في يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢). ففي أثناء الاحتفال، اجتمعَ اليهودُ من كلِّ أنحاء العالم في أورشليم. وفي أحَد الأيَّام، كان التلاميذ يُصلُّون، فحلَّ عليهم الروح القدس وبدأوا يتكلَّمون باللغات المختلفة للزائرين، وكان الجميع يسمعون عجائبَ الله كلٌّ بلُغَته. وهذا الحدث الموحِّد حلَّ لعنةَ برج بابل (تكوين ١١: ١-٩)، حين فرَّق الله أناسَ العالم إلى لغاتٍ مختلفة ليمنعَ القوَّة المدمِّرة للوَحدة التي وُلدت في تمرُّدهم.

الخلاصة

في الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠١١م، قاد إرهابيُّون طائراتٍ مُختطَفة نحو برجَي مركز التجارة العالميِّ في نيويورك. ودمَّر الخرابُ أميركا، وأُطلِقَ على موقع الهجوم "غراوند زيرو" (Ground Zero)*، وهو الاسم ذاته المُستخدم اليوم. وفي غضون الأيَّام والأسابيع التالية للهجمات، نَصَب عُمَّال الإنقاذ صليبًا من الحديدِ الصُّلْب الملفوف المأخوذ من أنقاض البرجَين المنهارَين. وكان ألم الصليب ومعاناته أشبهَ بتذكيرٍ فوريٍّ أنَّ الله مطَّلعٌ تمامًا على نَوحنا وأحزاننا، كما كان تذكيرًا أنَّه حتَّى في وسط المأساة، يمكن أن يكون هناك رجاءٌ للغَد.

يأتي الملايين اليومَ إلى نيويورك لزيارة النصب التذكاريِّ في موقع "غراوند زيرو"، وربَّما يأتون لتذكُّر أحبَّاء أو أصدقاء فُقدوا في ذلك اليوم التاريخيِّ، ويأتي آخرون بحثًا عن إجاباتٍ عن أسباب حدوث مثل هذه الأحداث الغريبة القاسية. وفي النهاية يبقى الأملُ أنْ يجد الزائرون شفاءً وسلامًا بطريقةٍ ما من تلك الزيارة لهذه البقعة التاريخيَّة.

بطريقة ما، يمثِّل صليب المسيح "غراوند زيرو" الأساسيَّة في التاريخ البشريِّ؛ فعند الصليب حدث أعظمُ ظلمٍ في التاريخ، إذ تألَّمَ يسوعُ المسيحُ، وهو الشخص الكامل الوحيد الذي عاش على أرضِنا، ومات من أجل خطايا آخرين. وبغضِّ النظر عن عمرنا أو عرقنا أو خلفيَّتنا الدينيَّة، فحين نزور "غراوند زيرو" تلك، نتذكَّر التضحية المطلَقة التي بُذلت نيابةً عنَّا. وتمنحُنا هذه الزيارة الرجاءَ الذي نحتاج إليه وسط الأزمنة المظلمة والمربكة التي نعيشها، كما تعطينا أيضًا القوَّة التي ترفعنا إلى نعمةٍ حقيقيَّةٍ وسلامٍ دائم يفوق كلَّ عقل.

---

* هذا مصطلح عسكريٌّ في الأصل، وهو مرتبطٌ بمركَز تدمير الأسلحةِ النوويَّة، لذا ارتأينا ألَّا نترجمَه ترجمةً حرفيَّة، بل ترجمة لفظيَّة (الناشر).

٥

القيامة

الحدثُ الذي غيَّر كلَّ شيء

"إنَّ البرهانَ الداعم للقيامة أفضل من البرهان الداعم لمعجزاتٍ في أيِّ دينٍ آخر؛ وهو يختلف جدًّا كمًّا ونوعًا".[١]
أنتوني فلو (Antony Flew)، مُلحدٌ مشهور تحوَّل إلى الإيمان بوجود الله

اقترح فيلسوف العِلم كارل بوپر (Karl Popper) طريقةً حاسمةً لتحديد ما إذا كان يمكن أن نحسبَ أمرًا ما معقولًا علميًّا أم لا. وبدلَ محاوَلة برهنةِ ما هو حقيقيٌّ برهانًا قاطعًا، اقترح أنْ يكون الاختبار الأساسيُّ هو ما إذا كان من الممكن إثبات زَيْف الأمر.[٢] وقد صارَ معيارُ الاختبار هذا جزءًا من مفردات اللغة العلميَّة والفلسفيَّة، ويعدُّ نتيجةً مباشرةً للمنهج العلميِّ (Scientific method) المُعترَف به عالميًّا.

وفي ضَوء الكمِّ الهائل من المعلومات المحيط بنا، حيث يكون من الضروريِّ التحقُّقُ من معقوليَّة ادِّعاءات ما أو التيقُّن من الهُوِيَّة، ينبغي أن تكونَ لدينا مجموعةٌ من القواعدِ تساعدُنا على استبعاد الزائف والمخادع. وتساعد مثل هذه المعايير على كَشْفِ المتصنِّعين والدجَّالين، وعلينا أيضًا تذكُّر أنَّ وجودَ أمورٍ مزيَّفة لا يعني أنَّه لا يوجد أمرٌ حقيقيٌّ.

يفترض بعض الناس أنَّ الادِّعاءات الدينيَّة، أو ادِّعاءات ما وراء الطبيعة، مُستبعَدَة تلقائيًّا بناءً على معيار پوپر، والردُّ الحاسم عادةً ما يكون أنَّه من غير الممكن

التحقُّق من الادِّعاءات الدينيَّة، فينبغي إذًا أن تبقى هذه الادِّعاءات خارجَ أيَّة مناقشة تحاول اكتشاف الإجابة عن أسئلة أساسيَّة. ويُصدم الكثيرون حين يُدركون أنْ ليسَتْ كلُّ الادِّعاءات الدينيَّة مُستبعَدَةً حين يُطبَّق هذا المعيار المحدَّد.

يَبرزُ في هذا الصدد التمييز الجليُّ للإيمان المسيحيِّ، فهو الدين الوحيد الذي يُمكن أن يُختبَرَ معتقد الإيمان المركزيِّ فيه بهذا الأسلوب. والتصريح المقصودُ هو أنَّ يسوع المسيح قامَ جسديًّا بعد صَلْبه بثلاثة أيَّام، وكانت هذه هي الرسالة الأوَّليَّة لتلاميذه الذين قلبوا العالم رأسًا على عقب. وكتب الرسول بولس إلى أهل كورنثوس قائلًا لهم: "إنْ لم يكُن المسيح قد قام... باطلٌ أيضًا إيمانُكم" (١كورنثوس ١٥: ١٤).

فلأقُلْها مرَّةً أخرى بوضوح وإيجاز: تقوم المسيحيَّةُ أو تسقطُ على أساس حدثٍ واحد، وهو قيامة يسوع المسيح من الأموات، وليس هذا الحدث هو فقط أساسَ إيمانٍ معقولٍ، بل هو رجاءٌ واقعيٌّ من عدم اليقين الخانق لما يقع وراء القبر، أي بعد الموت.

لا تحاول الهندوسيَّة إثباتَ نفسها، إذ تُروَى القصصُ عن الآلهة ببساطة، ويدفعُ الزخم الكبير على مدى قرونٍ هذه القصص إلى الأمام. فبكلمات أخرى إذا رُويتِ القصصُ مدَّةً كافيةً تصيرُ جزءًا من الخطاب الثقافيِّ، ولا توجد وصيَّة تبشيريَّة لإرسال مبشِّرين هندوس بأيِّ شكلٍ من الرسائل لكي يؤمن آخرون، فإن كان هناك ملايين من الآلهة، كما يؤمنون، فلن يكون هناك احتياج إلى إقناع الناس بأن يضيفوا إلهًا آخر.

ولا تعتمدُ البوذيَّة على كَونِ بوذا شخصًا حقيقيًّا أم لا، كما أنَّها لا تعتمد على ادِّعاء من ناحيته أو من ناحية أتباعه أنَّه الله أو ممثِّلٌ لله؛ فالبوذيَّة في جوهرِها تتطلَّب التزامَ المرءِ مجموعةً من التعهُّدات الفلسفيَّة من التفكير الصحيح والعَيْش الصحيح. ويعلِّق وليَم لين كريغ (William Lane Craig) وشون ماكدويل (Sean McDowell) على هذا قائلَين:

"يُروى عن بوذا أنَّه قال: «تعرفون أنَّ إنسانًا ليس تلميذي عندما يحاولُ أن يصنعَ معجزة» (هاستون سميث [Huston Smith]، «أديان العالم»

[The World's Religions]، ١٩٩١، ص. ٩٧). أمَّا يسوعُ فقالَ وفعلَ العكسَ تمامًا! إذ صنع معجزات لكي يعرف الناس أنَّه ابن الله (مثلًا مرقس ٢: ١-١٠)، كما قدَّم، بخلافِ بوذا، برهانًا ليكونَ للناس إيمانٌ واثقٌ به".[٣]

أمَّا عند الكلام عن رسالة يسوع المسيح، فنقول إنَّها لكلِّ الشعوب ولكلِّ الأمم. وأحدُ التمييزات الكثيرة هو أنَّه لا توجد وصيَّة لتصدير ثقافةٍ محدَّدة (مثل الثقافة اليهوديَّة)، بل أُعطيت الإرساليَّة لنشْر رسالةِ أنَّ يسوع قام من الأموات إلى كلِّ الشعوب، مع السماح لروحه بأن يرشدهم. فاهتمامُ اللهِ ليس منصبًّا على القضاء على ثقافةِ أيَّة أمَّة، بل هو مهتمٌّ بتغيير القلوب والأذهان. وحين يحدث هذا ستختبر الثقافةُ ولادةً جديدة لأفضل أجزائها وأهدافها. ويشير ما يميِّز كلَّ شعب وعرق إلى التنوُّع والإبداع في خلْق الله لمثل هذا التنوُّع الواسع من البشر. وكما قال الرسولُ بولس: "وصنع مِن دم واحد كلَّ أمَّة من الناس يسكنون على كلِّ وجه الأرض... لكي يطلبوا الله لعلَّهم يتلمَّسونه" (أعمال ١٧: ٢٦-٢٧).

أفضل تفسير للحدِّ الأدنى من الحقائق

في الفصل الثاني اختبرنا الحدَّ الأدنى من الحقائق المحيطة بموت يسوع، والتي يقبلها معظم العلماء حتَّى المتشكِّكين منهم. فلنراجِعْ سريعًا الحقائقَ الأساسيَّة:

- صُلب يسوع على عهدِ بيلاطسَ البُنطيِّ، الحاكم الرومانيِّ.
- بعد ذلك بثلاثة أيَّام وجدَتْ تابعاتٌ ليسوعَ القبر فارغًا.
- آمن تلاميذه أنَّ يسوع ظهرَ لهم بعد موته.
- نُودي برسالة قيامته مباشرةً بعد ظهوره لتلاميذه.
- صار شاول الطرسوسيُّ، المُضطهِدُ الرئيسيُّ لأتباعه، مؤمنًا به.

لأنَّ هذه الحقائق مقبولة بوصفها جزءًا من حجر الأساس التاريخيِّ، فيمكننا استخدامها لإظهار أنَّ التفسير المعقول الوحيد للأحداث في نهاية خدمة يسوع هو أنَّه قام من الأموات. ويتَّفقُ أن. تي. رايت، وهو أحدُ الخبراء الرئيسيِّين في موضوع القيامة، أنَّ قيامةً حقيقيَّة هي أفضل تفسير للحقائق. "السبب الممكن الوحيد الذي جعل المسيحيَّة الأولى تبدأ وتأخذ الشكل الذي أخذته، هو أنَّ القبر كان فارغًا، وأنَّ الناسَ قابلوا يسوعَ حيًّا ثانيةً...ورغم أنَّ الاعترافَ بمثل هذا الأمر يتضمَّن قبولَ تحدٍّ على مستوى الرأي نفسه، فإنَّ التفسيرَ التاريخيَّ الأفضل لكلِّ هذه الظواهر هو أنَّ يسوع قام بالجَسَد من الأموات".[٤]

لكنْ لا ينبغي أن نبالغَ في تضمينات قبول حتَّى المتشكِّكين للحدِّ الأدنى من الحقائق؛ فلعقود عدَّة حاول المتشكِّكون الراديكاليُّون اقتراح أنَّه ليس هناك القدر الكافي الذي يمكننا معرفته من خارج العهد الجديد عن يسوع، وفهْم مدى خطأ هذا الادِّعاء يعطي لمحةً عن المجهودات اليائسة لرفض البرهان التاريخيِّ الحقيقيِّ المؤيِّد ليسوع المسيح. ورأينا فوق ذلك مدى رفضهم بالطريقة نفسها الأناجيل وباقي العهد الجديد. وهذه أيضًا وثائق تاريخيَّة موثوقٌ بها، وينبغي ضمُّها في البحث عن يسوع التاريخيِّ، والحقيقة هي أنَّ المتشكِّكين يستخدمون العهد الجديد حقًّا، منتقين ما يحلو لهم، ومُلقين خارجًا ما لا يحلو لهم بناءً على افتراضات وانحيازات كما ناقشنا في الفصل الثالث. غير أنَّ أيَّ شخصٍ يختبر البرهان بإنصافٍ سيأتي لا محالة إلى خُلاصة أنَّ القيامةَ حدثت.

كما قال اللاهوتيُّ وولفهارت پانينبيرغ (Wolfhart Pannenberg): "ما دام لا يبدأ علمُ التأريخ بفكرة عقائديَّة دوغماتيَّة (متعصِّبة) ضيِّقة عن الحقيقة بناءً عليها «لا يقوم الأمواتُ»، فمن غير الواضح لماذا لا يمكن أن يتحدَّث علم التاريخ بشأن قيامة يسوع بوصفها التفسير الأفضل إثباتًا لأحداث مثل الظهورات التي اختبرها التلاميذ، وكذلك اكتشاف القبر الفارغ".[٥]

فشل النظريّات الطبيعانيّة

بناءً على الحدِّ الأدنى من الحقائق، قد يكون من الطبيعيِّ أن يسأل أحدُهم ما إذا كان المسيحيُّون قد أثبتوا القيامة. وتعتمد الإجابة على ما يفترضه الشخصُ لمعنى **أثبتوا**، وعلى ما يؤمن به الشخصُ أنَّه ممكنٌ. إذ يعني البرهانُ للمسيحيِّ بصورةٍ لا لبس فيها أنَّ يسوع قامَ من الأموات. لكنْ يفترضُ المتشكِّكون من البداية أنَّ كلَّ الادِّعاءات الفائقة للطبيعة زائفة، إذ لا يوجد أيُّ شيء خارج الطبيعة، وبذلك لا يقوم الناسُ من الأموات، وهكذا فأيُّ تفسيرٍ في أذهانهم، حتَّى لو كان غير محتملٍ إلى أبعدِ حدّ، يكون مُفضَّلًا عن الإيمان بأنَّ القيامة حدثَتْ فعلًا.

والبديل التشكيكيُّ الأشهر اليوم هو نظريَّة الهَلوَسة القائلة إنَّ التلاميذ آمنوا بأنَّهم التقوا يسوع المقام، لكنَّ خبرتهم كانت مجرَّدَ هَلوَسةٍ مدفوعةٍ بالنَّوحِ وخيبةِ الأمل. ويروِّج لهذه النظريَّة كُتَّابٌ غير طبِّيِّين، دون أيَّة معرفةٍ حقيقيَّةٍ بالموضوع، وقد أشار محترفون طبِّيُّون مختصُّون إلى أنَّ مثل هذه الهلوَسات القويَّة لا يمكن أن تحدث في مجموعاتٍ أو مع عددٍ كبيرٍ جدًّا من الأفراد، وفي أوقات ومواقع مختلفة (مثلًا بولس ويعقوب). فضلًا عن ذلك، كانت مثل هذه الهلوساتِ القويَّة تتطلَّبُ أن يكونَ التلاميذ قد توقَّعوا الظهورات، لكنَّ من الواضح أنَّ التلاميذ لم يكُن لديهم مثل هذا التوقُّع، إذ فرُّوا من المشهد، وشهودٌ آخرون، مثل يعقوب أخي يسوع، كانوا في حالةٍ ذهنيَّة عاديَّة بالكامل، لذا لم يكُن هناك ما يُنتج أيَّ نوع من الرؤيا، أو ما يُفهم أنَّه لقاءٌ. كما أنَّ هذه النظريَّة لا تفسِّر القبر الفارغ. وكما كتب الطبيبُ جوزيف دبليو. بيرجيرون (Joseph W. Bergeron) وهابيرماس قائلَين: "باختصار، لا تقدِّم النظريَّات النفسيَّة تفسيراتٍ مقبولةً للِّقاءاتِ الفرديَّة أو الجماعيَّة المتزامنة للتلاميذ مع يسوع المُقام".[٦]

نظريَّةٌ شائعةٌ أخرى هي أنَّ ادِّعاءات القيامة ليستْ سوى أساطيرَ لُفِّقت بعد مرور عقود على الأحداث. وتتطلَّب هذه النظريَّة تجاهلَ كلِّ البرهان التاريخيِّ

الأساسيِّ تقريبًا. وكما ذُكر، حدثَتِ المناداة بالقيامة بعد مرور وقت قصير جدًّا على الأحداث بواسطة قادة الكنيسة الأساسيِّين، وكتب بولس نفسه عن لقاء يسوعَ المقام، كما يستندُ القبرُ الفارغُ أيضًا إلى أساسٍ تاريخيٍّ راسخ، وينكر حقيقةَ تغيُّر التلاميذ فقط هامشٌ متطرِّف من علماءِ الكتاب المقدَّس. وباختصارٍ، ادِّعاء أنَّ القيامة أسطورة يشبه كثيرًا محاولة ادِّعاء أنَّ اغتيال قيصر، أو أنَّ معظم المآثر العسكريَّة للإسكندر الأكبر، هي تلفيقاتٌ أسطوريَّة.

تفسيرٌ تقليديٌّ آخرُ هو أنَّ يسوعَ تعافى من إصاباته، ثمَّ سار إلى الموقع الذي كان تلاميذه مختبئين فيه. ومَن يقبلُ بهذا السيناريو اليوم هو عددٌ قليلٌ جدًّا؛ حيث إنَّه لا توجد تقريبًا أخبارٌ عن أيِّ شخصٍ نجا من صَلْبٍ رومانيٍّ. فإذا فشل الجنودُ المفوَّضون في قتلِ المُدان، كانوا يُعدَمون هم مكانَ السجين. بل الأكثر إشكالًا من ذلك هو أنَّه لو كان يسوع قد ترنَّح داخلًا مكانَ حضور التلاميذ، لكانوا استنتجوا فورًا أنَّه نجا من محنته بطريقةٍ معجزيَّةٍ، لا أنَّه فادي العالم المُقام في جسدٍ ممجَّد، ولَما خطرَتْ على بالهم إمكانيَّةُ قيامتِه.

هناك عدَّة أجزاء أخرى من البرهان تجعل أيضًا من "نظريَّة الإغماء" (Swoon theory) نظريَّة غير قابلة للدِّفاع عنها تمامًا.[٧] وإليكم الأسباب الطبِّيَّة التي لخَّصها د. ألكسندر ميثيريل (Alexander Metherell) في مقابلة شخصيَّة أجراها معه لي ستروبل (Lee Strobel):

> وإذِ احتَكَمَ ميثيريل إلى التاريخ والطبِّ، وإلى الآثار، بل حتَّى إلى القواعد العسكريَّة الرومانيَّة، فقد سدَّ كلَّ الثغرات:
>
> "«لم يكُن ممكنًا أن ينزل يسوعُ من على الصليب حيًّا»، وهنا ضغطتُ عليه أكثر قائلًا: «هل هناك أيَّة وسيلةٍ ممكنة- **أيَّة وسيلة**- أن ينجوَ يسوع من هذا؟»

هزَّ ميثيريل رأسَه وأشار بإصبعه نحوي مؤكِّدًا، قال: «لا، ليستْ هناك وسيلة». وأضاف قائلًا: «تذكَّر أنَّه كان مصدومًا حقًّا بفعلِ النزف الشديد الذي تعرَّضَ له، حتَّى قبل بدايةِ الصَّلْب. ولم يكُن ممكنًا التظاهُر بالموت، حيث لا يمكنك التظاهُرُ بعدم القدرة على التنفُّس مدَّة طويلة. علاوةً على ذلك، ضربة الحربة في قلبه كانت القولَ الفَصْلَ في الأمر كلِّه. ولم يكُن الرومان ليخاطروا بموتهم هم بسماحهم له بأن يمضيَ حيًّا»".[٨]

تُقدِّمُ نظريَّات أخرى بمعدَّل أقلّ، وأقدمها هو أنَّ التلاميذَ سرقوا الجسد، وظهرت هذه النظريَّة بين رؤساء الكهنة اليهود فورًا بعدَ القيامة (متَّى ٢٨: ١٣). لكنْ لم يدافع عنها عمليًّا أيُّ عالمٍ مختصٍّ في القرنَين الماضيَين؛ إذ تفسِّر هذه النظريَّة القبر الفارغ فقط. وأحَدُ الادِّعاءات الواهمةِ هو أنَّ يسوع كان له توأمٌ طبقُ الأصل. غير أنَّ العلماء، بمَن فيهم المتشكِّكون، لا يُقيمونَ وزنًا كبيرًا لهذا الرأي. وقد أدرك حتَّى بعض أكثر المتشكِّكين حماسًا مشكلاتِ كلِّ التفسيرات البديلة. فمثلًا، يعلِّق المشكِّكُ بارت إيرمان قائلًا:

"عادةً ما يستمتعُ متخصِّصو الدفاعيَّات بتفسيراتٍ كهذه. فمَن يقول إنَّ التلاميذَ سرقوا الجسد، يُهاجَم لظنِّه أنَّ رجالًا أخلاقيِّين مثل هؤلاء ممَّن يحوزون إيمانًا راسخًا كهذا، ما كان ممكنًا أن يفعلوا مثل هذا الأمر. ومَن يقول إنَّ الرومانَ نقلوا الجسدَ، يُردُّ عليه بحزم بتصريحاتِ أنَّهم كانوا سيُظهرون الجسد لو كان لديهم أصلًا. ومَن يقول إنَّ القبرَ كان فارغًا لأنَّ النساء ذهبنَ إلى القبر الخطأ، يُستهزَأ به؛ لأنَّه لا يدركُ أنَّ الذهابَ إلى القبر الصحيح قد يحدثُ مع شخصٍ آخر- شخصٍ غير مؤمن مثلًا- ويكشف ببساطةٍ مكانَ الجسد. ومَن يدَّعي أنَّ يسوع لم يُمت أصلًا، بل تعرَّض لغَيبوبة ثمَّ استيقظَ في النهاية وغادر القبر، سينالُ نصيبَه من السُّخرية؛ حيث يظنُّ أنَّ إنسانًا

عُذِّب عذابًا اقتربَ به إلى الموت، يمكنه أن يزحزحَ الحجر ويظهر لتلاميذه بوصفهِ ربَّ الحياة، بينما كان ليظهرَ في حالٍ من الإعياء".[٩]

التنبُّؤ بقيامته

"وابتدأ يُعلِّمُهم أنَّ ابن الإنسان ينبغي أن يتألَّم كثيرًا، ويُرفَض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتل، وبعد ثلاثة أيَّام يقوم" (مرقس ٨: ٣١).

تنبَّأ بالقيامة الأنبياءُ ويسوعُ نفسُه أيضًا، فلم يكُن موته مصادفةً أو مجرَّد جريمة قتل. بل كما تنبَّأ الكتابُ المقدَّس كان ينبغي أنَّ يتألَّمَ ويقومَ ثانية. وقد تحدَّثَ يسوعُ نفسُه بهذا الشأن في سياقات متنوِّعة وبواسطةِ الكثير من الوسائل الإبداعيَّة بل حتَّى الصادمة. فمثلًا، تنبَّأ بدمارِ الهيكل اليهوديِّ (وقد تحقَّقَ هذا في عام ٧٠م)، ثمَّ قال إنَّه سيقيمه في ثلاثة أيَّام، مشيرًا إلى هيكل جسده. "أجاب يسوع وقال لهم: «انقضوا هذا الهيكل، وفي ثلاثة أيَّام أقيمه». فقال اليهود: «في ستٍّ وأربعين سنة بُني هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيَّام تقيمه؟» وأمَّا هو فكان يقول عن هيكل جسده. فلمَّا قام من الأموات، تذكَّر تلاميذُه أنَّه قال هذا، فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع" (يوحنَّا ٢: ١٩-٢٢).

إنَّ إحدى أغرب القصص وأكثرها جدلًا في كلِّ الكتاب المقدَّس هي تلك المذكورة في الفصل السابق عن يونان النبيِّ، الذي ابتلعه كائنٌ بحريٌّ ثمَّ أمضى ثلاثةَ أيَّام داخله. وأشار يسوعُ إلى هذه القصَّة على أنَّها علامة على موته وقيامته:

> "فأجاب وقال لهم: «جيل شرِّير وفاسق يطلب آية، ولا تُعطى له آيةٌ إلَّا آية يونان النبيِّ. لأنَّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيَّام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيَّام وثلاث ليال»" (متَّى ١٢: ٣٩-٤٠).

تكلَّم الأنبياءُ عن هذه القيامة في الكتاب المقدَّس في العهد القديم، وأشار الرُّسُلُ إلى هذه النبوَّات في عظاتِهم:

"الذي أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت، إذ لم يكُن ممكنًا أن يُمسَك منه. لأنَّ داود يقول فيه: «كنتُ أرى الربَّ أمامي في كلِّ حين، أنَّه عن يميني، لكي لا أتزعزع. لذلك سُرَّ قلبي وتهلَّل لساني. حتَّى جسدي أيضًا سيسكن على رجاء. لأنَّك لن تترك نفسي في الهاوية ولا تدَع قدُّوسَك يرى فسادًا. عرَّفتني سُبلَ الحياة وستملأني سرورًا مع وجهك». أيُّها الرجال الإخوة، يسوغ أن يُقال لكم جهارًا عن رئيس الآباء داود إنَّه مات ودُفن، وقبره عندنا حتَّى هذا اليوم. فإذْ كان نبيًّا، وعَلِم أنَّ الله حلفَ له بقسم إنَّه من ثمرة صُلبِه يقيمُ المسيحَ حسب الجسد ليجلس على كرسيِّه، سبق فرأى وتكلَّم عن قيامة المسيح، أنَّه لم تُتركْ نفسُه في الهاوية ولا رأى جسدُه فسادًا" (أعمال ٢: ٢٤-٣١).

تُقدِّم القيامةُ الأساسَ النبويَّ والتاريخيَّ لإيمانٍ راسخ لا يتزعزَع. وحين يضيع ذلك، يمكن أن تقعَ نتائجُ كارثيَّة.

القيامة هي أساسُ إيماننا

يحكي متشكِّكون، مثل بارت إيرمان ومايكل شيرمر، قصصًا متشابهة عن أنَّهم كانوا قبلًا مسيحيِّين يجولون من مكانٍ إلى آخرَ مبشِّرين، ويحكون كيف بدأت رحلتُهم إلى عدم الإيمان حين شكُّوا في العصمةِ المُطلقة للكتاب المقدَّس، فقد تعلَّموا أنَّ هذه النظرة العالية إلى الكتاب المقدَّس هي الأساس الحقيقيُّ للإيمان. وعلى قدر إيماني بعصمة الكتاب المقدَّس وصحَّته، غير أنَّ الأساسَ الجوهريَّ للإيمان لا يعتمد على ذلك التصريح. في محادثة مع عالِم العهد الجديد دان والاس (Dan Wallace)، اتَّفق

أنَّ ما يفعله متشكِّكون كانوا قبلًا مسيحيِّين في مرَّاتٍ كثيرة هو أنَّهم يبدِلون بنوعٍ من الدوغماتيَّة (التعصُّب) نوعًا آخر.

إنَّ قيامة يسوع هي الاختبار الجوهريُّ لحقيقة الإيمان المسيحيِّ، لذلك فإنَّ القيامةَ تدعمُ وحيَ كلمة الله المقدَّسة وموثوقيَّتها، وليس العكس. وقد رأيتُ أشخاصًا يقعون في أزمةٍ إيمانيَّة إذا اكتشفوا صعوبةً لا يستطيعون تفسيرها في الكتاب المقدَّس. ويمكن أن يأتي النقَّاد بقائمةٍ طويلةٍ جدًّا من الصعوبات، وبينما يمكن أن يُفهم معظمها حينما نطبِّقُ بصبرٍ وموضوعيَّة قانونِ عدم التناقض (Law of noncontradiction)، أو ببساطة بتطبيق الفطرة السليمة. ولا يوضع إيمانُنا في موضع الانتظار إلى أن تُحلَّ هذه النوعيَّة من المشكلات.

لقد نَمَتِ المسيحيَّةُ لأنَّ الرسلَ وَعَظوا بأنَّ المسيح قام حقًّا من الأموات محقِّقًا نبوَّاتِ الأنبياء العبرانيِّين، وبأنَّ موتَه وفَّى مطالبَ العدل بسبب تعدِّي ناموس الله، وقد أهَّلته حياتَه المثاليَّة ليكونَ حملَ الله، الذبيحة التي بلا عيب. ورغمَ أنَّ الأناجيل ورسائل بولس لم تكُن قد دُوِّنت مدَّة عقدَين تقريبًا، فإنَّ الكنيسةَ نَمَتْ نموًا هائلًا وسريعًا في ذلك الوقت. وكان اللبُّ المركَزيُّ لرسالتهم هو حقيقة القيامة. ومع أنَّه يعدُّ أمرًا ضروريًّا ونبيلًا الدفاع عن سُلطة الكتاب المقدَّس، فإنَّ علينا ألَّا نذهبَ إلى أبعدَ ممَّا يقولُه الكتاب المقدَّس بشأن المحتوى المركزيِّ للبشارة.

لقد سمعتُ قصصًا عن الكيفيَّة التي خلَّصتْ بها القيامةُ إيمانَ الناس من التشكيك. ففي سنِّ التاسعة عشرة، كان د. جورج وود (George Wood) يصارع هذا المأزق ذاته، إذ كان يريدُ أن يصدِّقَ أنَّ إيمانَه موثوقٌ به، لكنَّه كان يواجه صعوبةً في العثور على الأساس الراسخ الذي يحتاج إليه. وحين سمع محاضرةً عن تاريخيَّة القيامة، وجد ذلك الأساس الذي لا يتزعزع، ويعلِّق على هذا بالقَول: "أدركتُ الآن أنَّ في وُسعي الوثوق بكلمات يسوع لأنَّه قام من الأموات تاريخيًّا".[١٠] وحتَّى

كتابةِ هذه السطور، يقودُ طائفةَ "جماعات الله" (Assemblies of God)، وتضمُّ نحو ثلاث مئة ألف كنيسة في أكثر من مئتَي بلد.

كيف تؤثِّر القيامةُ في فهمنا للأناجيل

لن يُشكِّك المؤرِّخون في موثوقيَّة الأناجيل بتاتًا لو طبَّقوا عليها المعايير نفسَها كما على نصوصٍ قديمةٍ أخرى. والسبب الرئيسيُّ لإنكارهم موثوقيَّتها هو رفضهم أيَّ تصريح عمَّا هو فائقٌ للطبيعة، لا سيَّما قيامة يسوع من الأموات. وحينها ينبغي لهم تصديق أنَّ التلاميذ كانوا مشوَّشين بشأن الأحداث الفعليَّة حتَّى إنَّ خرافاتٍ وهميَّةً سرعان ما انتشرت في الكنيسة الأولى. لكنْ، إذا كان يسوع قد قام حقًّا من الأموات، فهو ممثِّلُ حضورِ الله على الأرض، وتكونُ بذلك تقارير التلاميذ دقيقة.

يستتبعُ ذلك الإدراكَ الكثيرُ من الأمور: أوَّلًا، أنَّ يسوع توقَّع موتَه وقيامتَه، لذا كان سيحضِّر تلاميذه ليسلِّموا تعليمه بدقَّةٍ إلى الأجيال المقبلة. علاوة على ذلك، سيكون كُتَّاب الكتاب المقدَّس وجامعوه المستقبليُّون منقادين بالروح القدس لضمان حِفْظ المعلومات حِفْظًا أمينًا، فمن الصعب أنَّ يتخيَّل أحدٌ أن يشاهدَ الله في السماء على نحوٍ سلبيٍّ، أنَّ رسالةَ يسوع تُحرَّف بالتدريج، لا سيَّما حين وعدَ يسوعُ نفسُه الرسلَ أنَّ الروح القدس سيذكِّرهم بكلِّ شيء علَّمه، وأنَّه سيعلِّمهم أيَّ شيء آخر يحتاجون إلى فهمه (يوحنَّا ١٤: ٢٦).

فوَّض يسوعُ تلاميذه لينشروا رسالتَه إلى كلِّ الأمم، ووعد أنَّه سيبقى معهم إلى انقضاء الدهر (متَّى ٢٨: ١٨-٢٠). يمكننا إذًا أن نعرف بثقة أنَّهم علَّموا رسالتَه بأمانةٍ ورووا خدمته على مدى عقود، كما أنَّهم درَّبوا قادةً مستقبليِّين لتسليم تلك المعلومات إلى الجيل التالي، وأولئك القادة سلَّموا التقليد إلى الجيل التالي، واستمرَّت هذه العمليَّة وقتًا طويلًا بعد أن كُتبت الأناجيل ونُسخت في العالم المعروف. وكتب القدِّيس كليمندس خليفة بطرسَ الرسول في روما:

"استقبل الرسلُ الإنجيل من أجلنا من الربِّ يسوع المسيح، وكان يسوع المسيح مرسَلًا من عند الله. فالمسيحُ إذًا من الله، والرسلُ من المسيح، ويسعُنا أن نستنتجَ أنَّ هذين التدبيرَين المنظَّمين هما بمشيئة الله. وحين استقبلوا التعليماتِ وامتلأوا ثقةً بناءً على قيامة ربِّنا يسوع المسيح، واستنادًا إلى إيمانهم بكلمة الله، خرجوا بتوكيد الروح القدس الكامل، منادين بالخبر السارِّ أنَّ ملكوتَ الله آتٍ. ووعظوا في الأرياف والمدن، وتلمذوا مَن قبلوا الإيمان بواسطتهم، مختبرين إيَّاهم بالروح القدس، ليكونوا أساقفة وشمامسة لمؤمنين مستقبليِّين".[١١]

ليست حُجَّة دائريَّة

يوجِّه المتشكِّكون اتِّهامًا شائعًا وهو أنَّ المسيحيِّين يؤمنون بالقيامة؛ لأنَّ الكتاب المقدَّس يقول إنَّها حدثت. ولو كان هذا الادِّعاء حقيقيًّا، لكان المنطق كالتالي:

- الكتاب المقدَّس هو كلمة الله.
- يقولُ الكتابُ المقدَّس إنَّ يسوع قام من الأموات.
- إذًا قامَ يسوع من الأموات لأنَّ الكتاب المقدَّس يقولُ ذلك.

مثل هذه الحُجَّة هي استنتاجٌ دائريٌّ (Circular reasoning)، وهي باطلةٌ منطقيًّا.

في الواقع، لا تبدأ الحُجَّة وتنتهي هنا بادِّعاء أنَّ الكتاب المقدَّس حقيقيٌّ، بل تقول:

- صُلب يسوع وقام من الأموات تاريخيًّا.
- أثبتت قيامتُه هُوِيَّتَه أنَّه ابن الله.
- كتابات العهد الجديد موثوقٌ بها تاريخيًّا، وتشهد أيضًا على هذه الحقائق.

- إذًا يؤكِّد التاريخ والكتاب المقدَّس أنَّ يسوعَ المسيحَ الناصريَّ قام من الأموات، بعد صَلْبه بثلاثة أيَّام.

هذه الحُجَّة حجَّة خَطِّيَّة (Linear argument)، وليست دائريَّة. فمقدِّمة البداية هي أنَّ يسوع كان موجودًا وأنَّ صَلْبه على عهد القائد الرومانيِّ بيلاطس البنطيِّ هو جزءٌ من السجلِّ التاريخيِّ. إذًا فقيامتُه هي أفضلُ تفسيرٍ للحقائق التاريخيَّة التي يدركها حتَّى المتشكِّكون. وكتابات العهد الجديد هي وثائق تاريخيَّة موثوقٌ بها، وتؤكِّد أيضًا الصَّلْب والقيامة بوصفهما حدثَين حقيقيَّين، كما تفسِّر أيضًا أنَّ هذا الحدث الفائق للطبيعة يشير إلى هُوِيَّة يسوع بوصفه ابنًا الله. إذًا تنبعُ الخلاصةُ من حدثٍ تاريخيٍّ، وليس من مجرَّد تأكيد عشوائيٍّ في كتاب دينيٍّ كما يحلو للمتشكِّكين أن يصوِّروا الأمر.

يوضِّح د. غاري هابيرماس مغزى هذا التمييز في أحاديثه بشأن حقيقة القيامة، إذ يمسك كتابًا مقدَّسًا ويقول: "إذا كان هذا الكتاب المقدَّس هو كلمة الله المعصومة الصحيحة، فيسوع قام من الأموات. وإن لم يكُن هذا الكتاب المقدَّس معصومًا لكنَّه لا يزال موثوقًا به، فيسوع قام من الأموات. لكن ماذا لو لم يكُن الكتاب المقدَّس موثوقًا به ولا معصومًا؟ يظلُّ الأمرُ أنَّ يسوع قام من الأموات".[١٢] وهذه حقيقة حيويَّة تتمسَّك بها حين تواجه الوابل التشكيكيَّ الذي ينتظر مَن يؤمن بيسوع في مجتمع اليوم.

مغزى القيامة

قبل إنهاء هذا الفصل المهمِّ، لنلقِ نظرةً عامَّة على مغزى القيامة- بكلمات أخرى: ما تأثير هذا الحدث؟ يمكن أن يشيرَ التاريخُ إلى القيامة بوصفها أفضلَ تفسيرٍ للحقائق، لكنَّه لا يستطيعُ أن يخبرنا بالكامل بمعنى هذه الحقائق. وبالنظر إلى الكتاب المقدَّس، نتحصَّلُ على حكمةٍ قيِّمةٍ بشأن ما تعنيه القيامةُ فعلًا.

أثبتَتْ هُوِيَّةَ يسوع

"بولس، عبدٌ ليسوع المسيح، المدعوُّ رسولًا، المُفرزُ لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدَّسة، عن ابنه. الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعيَّن ابنَ الله بقوَّة من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات: يسوعَ المسيح ربِّنا" (رومية ١: ١-٤).

أثبتت القيامةُ أنَّ يسوع هو حقًّا ابن الله. فرغم وجودِ الكثير ممَّن يدَّعون أنَّه يتحدَّثون نيابةً عن الله، أو حتَّى مَن يدَّعي أنَّه المسيح المنتظر، فإنَّنا نحتاج حقًّا لأن يكونَ يقينُنا بهُوِيَّة المسيح بشهادةٍ من الله.

وتُذكِّرني هذه الحقيقة بأهمِّيَّة التحقُّق من الهُوِيَّة. إذ ينبغي إثبات مَن نحن بما يفوقُ شهادتنا فقط، فلا نذهب إلى المطار متوقِّعين أن يُسمحَ لنا بدخول منطقةٍ ذاتِ حراسةٍ مشدَّدةٍ دون إثباتِ مَن نكون. وقد أثبتَتِ القيامةُ هُوِيَّةَ يسوع. وفي عالَمٍ من الخداع وسرقة الهُوِيَّة، يمكن أن يكونَ لنا يقينٌ أن نضعَ ثقتَنا في يسوع المسيح. ولأنَّ يسوع قامَ من الأموات، فيمكننا أن نثقَ بأنَّ كلماتِه حقيقيَّةٌ وجديرة بالثقة، فهي كلمة الله نفسها.

دليلُ الحياة ما بعدَ الموت

عند مروري بطابور الدَّفْع في محالِّ البقالة، أُدهَش من عناوين المجلَّات التي تحمل عباراتٍ مثيرة مثل: "دليلٌ جديد على وجود حياةٍ بعد الموت"، وخبرات الموت الوشيك (Near-death experiences) هي مجالٌ جذَّابٌ للدراسة، وقد أثمر شهاداتٍ لا يمكن صرف النظر عنها باستنتاج أنَّها مجرَّد هَلوَسة أو أنَّها نتاجُ حالةٍ عقليَّة متبدِّلة. غير أنَّ قيامةَ يسوعَ المسيح ليستْ مثل أيٍّ من هذه التصريحات. فبعدَ أن جُلد وعُذِّب، صُلب المسيحُ ودُفن. وبعد ثلاثة أيَّام، عاد إلى الحياة مثلما تنبَّأ.

ويُقدِّم هذا الحدث برهانًا مذهلًا أنَّ هناك حياةً ما بعد الموت. وكما قال يسوع لتلاميذه: "أنا أمضي لأعدَّ لكم مكانًا" (يوحنَّا ١٤: ٢). وحقيقة وجود السماء مبنيَّةٌ على شهادة ابن الله، لذا يمكن أن يكون لنا عزاءٌ ورجاءٌ أصيلٌ؛ لأنَّ وجودَنا لا ينتهي بالموت الجسمانيِّ. فكما كتب بولسُ الرسول:

> "ومتى لبِس هذا الفاسدُ عدم فساد، ولبِس هذا المائتُ عدم موت، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة: «ابتُلِع الموتُ إلى غلبة». «أين شوكتكَ يا موت؟ أين غَلَبَتُكِ يا هاوية؟»" (١كورنثوس ١٥: ٥٤-٥٥).

نُقامُ روحيًّا، ونولَدُ ولادةً جديدة

> "الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبَّته الكثيرة التي أحبَّنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيحبالنعمة أنتم مُخلَّصون وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع" (أفسس ٢: ٤-٦).

أخبر يسوع قائدًا دينيًّا يُدعى نيقوديموس أنَّه ينبغي له أن يولَد ثانيةً (يوحنَّا ٣: ٣)، ووعد بولس أنَّه إنْ كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة (٢كورنثوس ٥: ١٧)، ويعني هذه التعبير أنَّنا نتغيَّر من الداخل. وتُقدِّم إلينا القيامةُ القوَّةَ لتقيمَنا إلى هذه الحياة الجديدة؛ فلسنا بعد مقيَّدين بأوامرِ الميول أو الرغبات الجسديَّة. ولأنَّ قوَّة القيامة متاحةٌ لنا، فيمكننا أن نعيشَ حياةً تُكرمُ الله وترضيه.

تُثبتُ القيامةُ الدينونةَ الآتية

> "لقد تَغاضَى الله فيما مَضَى عن أوقات الجهل. أمَّا الآن فإنَّه يأمر الناسَ في كلِّ مكان بِأنْ يتوبوا. فَقَدْ حدَّد يومًا سيَدين فيه العالَمَ بالعدل...

وقدَّم برهانًا على هذا للجميع إذ أقامه من الموت" (أعمال ١٧: ٣٠-٣١- الترجمة العربيَّة المبسَّطة).

إنَّ قيامة يسوع هي البرهان على أنَّه ابن الله والقاضي النهائيُّ، والذي سنواجهه عند نهاية العالم. وتُعدُّ فكرةُ الدينونةِ لكثيرين فكرةً مرعِبةً لدى التفكير فيها. لكنَّ تجاهُلَ هذا الموضوع لا يصرفه ولا يجعله يختفي.

فقد وَعَد الله أنَّه سيَدين العالم بالمسيح. وحقيقة أنَّ هناك يومًا آتيًا حين نقف جميعًا أمام كرسيِّ دينونة المسيح ونقدِّم حسابًا عن حياتنا- هذه الحقيقة تُقوِّي نظامَ المناعة الروحيَّ لدينا لنقاوم الشرَّ ونختار البرَّ.

حين ننظر إلى العهد الجديد، كانت رسالةُ الدينونة الآتية هذه جزءًا أصيلًا من تقديم الكنيسة الأولى. وصحيح أنَّنا مدعوُّون لنكون رحماء ولا نَدين الآخرين، لكنَّنا متوجِّهون إلى يوم الوقوف أمام الربِّ في الأبديَّة. وينبغي أن يُلهمنا هذا التوقُّع لنعطيَ الكلَّ لخدمة المسيح وعمل تقدُّم الإنجيل.

كانت القيامةُ هي الرسالةَ المركزيَّة للكنيسة الأولى

كانت القيامةُ هي لبَّ الرسالة التي وَلَدَتِ الكنيسةَ في وسط ثقافة عدائيَّة. وهناك على الأقلِّ عشر حوادث مهمَّة دفعت إلى أحاديثَ تتمركز حول القيامة في سِفر أعمال الرسل. وقُدِّمت هذه الرسائل في بلاد مختلفة، وفي أحيان كثيرة إلى قادة بارزين، دينيِّين وعَلمانيِّين. وإليك نظرةً عامَّة عن هذا:

١. في يوم الخمسين، بعد مرور خمسين يومًا على صَلْب المسيح.

"أيُّها الرجال الإسرائيليُّون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصريُّ رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوَّات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم، كما أنتم أيضًا تعلمون. هذا أخذتموه مُسَلَّمًا بمشورة الله المحتومة

وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت، إذ لم يكُن ممكنًا أن يُمسَك منه" (أعمال الرسل ٢: ٢٢-٢٤).

٢. إلى حشود من الناس دُهِشوا من شفاء الأعرج.

"إنَّ إلهَ إبراهيم وإسحاق ويعقوب، إلهَ آبائنا، مجَّد فتاه يسوعَ، الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس، وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدُّوس البارَّ، وطلبتم أن يُوهَب لكم رجلٌ قاتل. ورئيسُ الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات، ونحن شهودٌ لذلك" (أعمال الرسل ٣: ١٣-١٥).

٣. لدى الحديث مع السُّلطات بعد حادثة الشفاء ذاتها.

"فليكُن معلومًا عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنَّه بِاسْم يسوعَ المسيح الناصريِّ، الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحًا" (أعمال الرسل ٤: ١٠).

٤. بعد أن هدَّدهم قادةٌ دينيُّون بسبب استمرارهم في الكلام عن يسوع.

"إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلِّقين إيَّاه على خشبة. هذا رفَّعه الله بيمينه رئيسًا ومخلِّصًا، ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا. ونحن شهود له بهذه الأمور، والروح القدس أيضًا، الذي أعطاه الله للذين يطيعونه. فلمَّا سمعوا حنقوا، وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم" (أعمال الرسل ٥: ٣٠-٣٣).

٥. حين وصلَ الإنجيل إلى الأمم.

"يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوَّة، الذي جال يصنع خيرًا ويشفي جميع المتسلَّط عليهم إبليس، لأنَّ الله كان معه.

ونحن شهود بكلِّ ما فعل في كورة اليهوديَّة وفي أورشليم. الذي أيضًا قتلوه معلِّقين إيَّاه على خشبة. هذا أقامه الله في اليوم الثالث، وأعطى أن يصير ظاهرًا، ليس لجميع الشعب، بل لشهود سبق الله فانتخبهم. لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات. وأوصانا أن نكرز للشعب، ونشهد بأنَّ هذا هو المعيَّن من الله ديَّانًا للأحياء والأموات. له يشهد جميع الأنبياء أنَّ كلَّ مَن يؤمن به ينالُ باسْمه غفران الخطايا" (أعمال الرسل ١٠: ٣٨-٤٣).

٦. في مجمع يهوديٍّ.

"لأنَّ الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا. وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كلَّ سبت تمَّموها، إذ حكموا عليه. ومع أنَّهم لم يجدوا علَّة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس أن يُقتَل. ولمَّا تمَّموا كلَّ ما كُتب عنه، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر. ولكنَّ الله أقامه من الأموات. وظهر أيَّامًا كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب. ونحن نبشِّركم بالموعد الذي صار لآبائنا، إنَّ الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادَهم، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضًا في المزمور الثاني: «أنت ابني أنا اليوم ولدتُك». إنَّه أقامه من الأموات، غير عتيد أن يعودَ أيضًا إلى فساد، فهكذا قال: «إنِّي سأعطيكم مراحم داود الصادقة». ولذلك قال أيضًا في مزمور آخر: «لن تدع قدُّوسك يرى فسادًا». لأنَّ داودَ بعد ما خدم جيله بمشورة الله، رقد وانضمَّ إلى آبائه، ورأى فسادًا. وأمَّا الذي أقامَه الله فلم يرَ فسادًا" (أعمال الرسل ١٣: ٢٧-٣٧).

٧. تقديم الإنجيل إلى مدينة تسالونيكي.

"فدخل بولس إليهم حسب عادته، وكان يحاجُّهم ثلاثة سبوت من الكتب، موضِّحًا ومبيِّنًا أنَّه كان ينبغي أنَّ المسيح يتألَّم ويقوم من الأموات،

وأنَّ: هذا هو المسيح يسوع الذي أنا أنادي لكم به. فاقتنع قومٌ منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا، ومن اليونانيِّين المتعبِّدين جمهورٌ كثير، ومن النساء المتقدِّمات عددٌ ليس بقليل" (أعمال الرسل ١٧: ٢-٤).

٨. في أثينا وسط نخبة المفكِّرين.

"فالله الآن يأمر جميع الناس في كلِّ مكان أن يتوبوا، متغاضيًا عن أزمنة الجهل. لأنَّه أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عيَّنه، مقدِّمًا للجميع إيمانًا إذ أقامه من الأموات. ولمَّا سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون، والبعض يقولون: «سنسمع منك عن هذا أيضًا!»" (أعمال الرسل ١٧: ٣٠-٣٢)

٩. أمام والٍ.

"فلمَّا اجتمعوا إلى هنا جلستُ من دون إمهال في الغد على كرسيِّ الولاية، وأمرتُ أن يؤتى بالرجل. فلمَّا وقف المشتكون حوله، لم يأتوا بعلَّة واحدة مما كنتُ أظنُّ. لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم، وعن واحد اسمه يسوع قد مات، وكان بولس يقول إنَّه حيٌّ" (أعمال الرسل ٢٥: ١٧-١٩).

١٠. أمام ملكٍ.

"فإذ حصلتُ على معونة من الله، بقيتُ إلى هذا اليوم، شاهدًا للصغير والكبير. وأنا لا أقول شيئًا غير ما تكلَّم الأنبياء وموسى أنَّه عتيد أن يكون: إنْ يؤلَّم المسيحُ، يكُن هو أوَّل قيامة الأموات، مزمعًا أن ينادي بنور للشعب وللأمم" (أعمال الرسل ٢٦: ٢٢-٢٣).

وفي نهاية سِفر أعمال الرسل، نجد بولس في روما منتظرًا الوقوفَ أمام قيصر. وبالنظر إلى النمط الواضح لما قاله لأولئك الذين تكلَّم إليهم، ما من شكٍّ أنَّه كان مزمعًا أن يخبره بأنَّ المسيح قام من الأموات، جاعلًا إيَّاه أعلى سُلطةٍ في الأرض.

في الغرب، الرسالةُ الغالبةُ هي نعمةُ الله ومحبَّته. ودون شكّ، كانت محبَّة الله هي ما دفعَ إرسالَه يسوع لينقذَ البشريَّة. غير أنَّ موتَه وقيامتَه هما ما أنجز هذه المهمَّة. كانت إذًا القيامةُ هي الفكرةَ الغامرةَ في كرازة الرسل، وليست فقط محبَّة الله. ولا أحاول هنا بأيِّ شكلٍ من الأشكال أنْ أهمِّش هذه المحبَّة العظيمة أو النعمة، بل أحاول فقط إظهارَ الرسالة التي تسبَّبتْ في ظهورِ الكنيسة، رغم كلِّ الصعاب وسط إمبراطوريَّة رومانيَّة عدائيَّة، ومنظومة دينيَّة مقاوِمة. فإذا كنَّا نريد النتائجَ التي كانت للكنيسة الأولى، فينبغي أن نكرزَ بالرسالة التي كانوا يكرزون بها.

الخلاصة

هذا الفصل هو في قَلْبُ حُجَّة أنَّ يسوع التاريخيَّ هو مسيحُ الإيمان. وقيامةُ المسيح تُميِّزه عن كلِّ القادة الدينيِّين الآخرين، وتميِّز المسيحيَّة عن كلِّ الأديان الأخرى. ويقدِّم الكتابُ المقدَّسُ هذا الحدث بوصفه الحدثَ الذي يُثبتُ هُويَّة يسوع وحقيقة كلماته، والعكس بالعكس. فإنِ استطاعَ أحدٌ إظهارَ أنَّ المسيح لم يُقم، يثبتُ حينها زَيفُ الإيمان المسيحيِّ.

وأفضل تفسير لحقائق صَلْب المسيح، والقبر الفارغ، والظهورات لتلاميذه بعد موته، والظهور المفاجئ للإيمان المسيحيِّ هو أنَّ يسوع قام جسديًّا من الأموات. وهذا الحدثُ هو في لبِّ الرسالة التي كرز بها التلاميذ الأوائل ناشرين إيَّاها إلى أمم العالم. ودفعتهم حقيقتُها وقوَّتها ليخرجوا إلى إمبراطوريَّة رومانيَّة عدائيَّة ليعلنوا أنَّ يسوع ربٌّ، وهي رسالةٌ كانوا على استعداد ليقدِّموا حياتهم من أجلها، ورسالةٌ عتيدة أن تقدِّم حياةً إلى الذين سمعوا وآمنوا.

٦

تبديدُ الأساطير

تفرُّد قصَّة يسوع

"إنَّ استمرارَ بعض الكُتَّاب العصريِّين في اقتراح أنَّ الإنجيل مبنيٌّ على أسطورة، لهو أمرٌ غير مسؤول على أفضل تقدير، وخداعٌ مقصود على أسوأ تقدير".[١]

جاي. إد كوموشيفسكي (J. Ed Komoszewski)

أتردَّدُ قليلًا في اعترافي أنَّ إحدى وسائل التسلية عندي، من حين إلى آخر، هي مشاهدة الكوميديان بِل مار في برنامجه الليليِّ؛ فهو في عمري تقريبًا، ويُذكِّرني ببعضٍ من أصدقائي ممَّن كان لديهم دائمًا تعليقٌ سريعٌ مُبتذل عن كلِّ شيء تقريبًا. ويتقاضى مار راتبًا مقابل قَوْل أمورٍ لو كنَّا كرَّرناها في المدرسة لطُردنا منها، لكنَّ الزمان تغيَّر بالتأكيد. وسببٌ آخر لمشاهدتي له هو أنَّ برنامجه يقدِّم لمحةً سريعةً عن اعتراضات الذهن المتشكِّك وأسئلته المحيِّرة.

ولغياب ما يعوقُه من الرقابة التلفزيونيَّة التقليديَّة (أو القليل المتبقِّي منها)، يمكنه بثُّ أيديولوجيَّته المنمَّقة الصريحة في أغلب الأحيان بينما يصيحُ جمهورُه المُحبُّ في استحسانٍ. وهذا مهمٌّ جدًّا لأنَّ الكثيرين في أميركا يقرِّرون مَن المحقُّ ومَن المخطئ بناء على مَن ينالُ تصفيقًا أعلى. ويعترف مار أنَّ مهارته الواضحة ليست تلقائيَّة وبدهيَّة كما يبدو. وهو يعبِّرُ في أحد كُتبه عن تقديره للفريق الرائع من الكُتَّاب والمساعدين الذين يساعدوه على شَحْذِ حسِّ الفكاهةِ لديه، فضلًا

عن حديثه اللاذع، وضبْطِ هجماته على هدفه المُفضَّل: الدِّين.

ومع أنَّ لديه فريقًا ماهرًا من الكُتَّاب الكوميديِّين، فإنَّهم لم يبذلوا جَهدًا كافيًا في ما يتعلَّق بتاريخ الكتاب المقدَّس. والسبب الرئيسيُّ هو أنَّ الحقائق التاريخيَّة يمكنها تعطيل مسارِ قصَّة جيِّدة، لا سيَّما حين يكون هدفُك في الحياة، على حدِّ تعبير مار، هو المساهمة في إنهاء الدِّين.

يظهر هذا على نحو كامل في فيلم مار لعام ٢٠٠٧ بعنوان "ريليجيولَس" (Religulous)*، حيث يستعرض خُطَّته لإجراء مقابلاتٍ شخصيَّةٍ مع أشخاصٍ متديِّنين، معظمهم لا يمثِّل بالتأكيد التيَّار الرئيسيَّ للفكر المسيحيِّ، وأكثر ما ينقصُه هو الفلاسفة الأكاديميُّون والمؤرِّخون، إذ لن يتناسب وجودُهم مع روايته المقصودة بأنَّ الدين هو للذين لا يفكِّرون.

ورغم هذا الخطاب المستمرِّ الفارغ المعادي لله، فإنِّي أحبُّه حقًّا؛ فالأمر الغريب هو أنَّ هناك أحيانًا بعضَ الحقِّ في احتجاجاته على الرِّياء، حتَّى لو كانت صرخاته تكاد تُشبه التعصُّبَ الذي يتَّهم هو به الدِّينَ. وأحد الادِّعاءات المركَزيَّة في فيلمه هو أنَّ قصَّة يسوعَ استُعيرت من ميثولوجيا وثنيَّة قديمة، وفيه يُجري مار مقابلات شخصيَّة مع أشخاصٍ مختلفين، ويسألهم ما إذا كانوا يعرفون قائمةً طويلةً من شخصيَّات وآلهة وثنيَّة كانت لها قصصٌ تشبه قصَّة يسوع، ووُجدت قبلها.

بعد ذلك يأتي مونتاج من صور مرتَّبة مأخوذة من أفلام مختلفة عن يسوع، والتعليقات على الصور كالتالي:

- يصفُ الكِتاب المصريُّ كتابُ الموتى، والمكتوب في عام ١٢٨٠ق.م، إلهًا اسمه حورس (Horus).

* مزجٌ ما بين كلمتَي دين "Religion" وسخيف "Ridiculous" (الناشر).

- حورس هو ابن الإله أوزوريس (Osiris).
- وُلِد من أمٍّ عذراء.
- اعتمد في نهرٍ على يد أنوپ (Anup) المُعمِّد.
- قُطِعَ رأسُ أنوپ لاحقًا.
- مِثل يسوع، أُغوي حورس وهو بمفرده في الصحراء.
- شفى المرضى.
- شفى العميان.
- أخرج شياطين.
- ومشى على الماء.
- أقام عزير (Asar) من الموت.
- تُترجم عزير إلى لِعازر.
- وأيضًا، كان له اثنا عشر تلميذًا.
- نعم، صُلِب حورس أوَّلًا.
- بعد ثلاثة أيَّام أعلَنَتِ امرأتان،
- أنَّ حورس مخلِّصَ البشريَّة قام من الأموات.

للوهلة الأولى، تبدو هذه القائمة من التشابهات ما بين حورس، الإله المصريِّ القديم، ويسوع المسيح قائمةً لا تُصدَّق. ويقدِّم مار كلَّ هذه المعلومات بوصفها حقائقَ مع ذلك الانطباع العامِّ أنَّها معرفةٌ شائعةٌ لدى كلِّ الأذكياء. لكنِّي ذهبتُ إلى مصر وعملتُ مع قادة مسيحيِّين، ولم يصدِّقوا مثل هذه التصريحات بتاتًا. مثلًا قالَ القسُّ المصريُّ شادي سليمان: "لو أطلقتَ هذه النوعيَّة من الادِّعاءات في مصر، سيعتقد الناس أنَّك مجنون".

أوَّلًا، لا تحمل هذه الادِّعاءات أيَّة صلاحيَّة، وليس لأيٍّ منها أساسٌ تاريخيٌّ حقيقيّ، وهي تعادلُ أكاديميًّا إطلاقَ النار من داخل سيَّارة- فهي أشبَه بأمرٍ يُقال لقتْل إيمان شخصٍ قتلًا سريعًا، وقد تباحثتُ في جامعاتٍ مع طُلَّابٍ مقتنعين بهذه الفكرةَ أنَّ قصَّةَ يسوع لُفِّقت أو أُخذتْ ببساطة عن أديان أخرى سابقة. وللأسف نادرًا ما يكون هناك وقتٌ كافٍ للجلوس معهم والنظر إلى البرهان بموضوعيَّة؛ إذ يفترضون أنَّ الأمرَ حقيقيٌّ دون شكٍّ، ما دامَ قال شخصٌ ما إنَّه حقيقيٌّ.

قبل أن نتعمَّق ونتحدَّث بشأن جذور فكرة "أسطورة يسوع" هذه والتوازيات المزعومة، فلنلقِ نظرةً على تصريحات مار بشأن التشابهات ما بين يسوع وحورس. وإليكم بعضَ النقاط الأساسيَّة من بين هذه الادِّعاءات المنافية للعقل.[٢]

وصْفُ حورس

أوَّلًا، كان حورس إلهًا أسطوريًّا له رأس صقر وجسد إنسان. وكانت أمُّه إيزيس (Isis) وأبوه أوزوريس.

كِتاب الموتى

كان هذا كتابًا إرشاديًّا إلى العالم السفليّ، ويضمُّ مجموعةً من التعاويذ لتساعدك بعد الموت.

وكان هناك الكثير من كُتب الموتى، وهذه التي تُدعى توازيات ضُمَّت معًا من مدى واسعٍ من الكتب، ولم يكُن من الممكن للمسيحيِّين الأوائل الوصول إلى أيٍّ من هذه الكتابات، لذا فمن المستحيل لهم أن ينسخوا القصَّةَ أو أيَّ جزء منها بطريقةٍ ما.

وُلِد من عذراء

قُتِل أوزوريس وقُطِّع، وأُلقيتْ بأجزاء جسمه في نهرٍ، واستعادت إيزيس أعضاءه التناسليَّة ولقَّحت نفسها لكي تحبل وتلدَ الابنَ حورس.

لم يكُن هذا ميلادًا عذراويًّا، ولا يقترب من مطابقة قصَّة الكتاب المقدَّس لحَبَلِ المطوَّبةِ مريَمَ العذراءَ بيسوع بقوَّة الروح القدس.

تعمَّد على يد أنوبِ المُعمِّد

اصطنعَ هذه الفكرة اصطناعًا كاملًا جيرالد ماسي (Gerald Massey) عالم المصريَّات الهاوي من القرن التاسع عشر. واختُرعت القصَّة من صورٍ لفراعنةِ مصرَ وهم يتلقَّون تطهيرًا بالماء لدى تتويجهم، وليست هناك رواية عن تعميد حورس.

شفى المرضى وشفى العميان وأخرج شياطين

مرَّة أخرى، كانت هناك في كتاب الموتى تعاويذ من المفترَض أنَّها قادرةٌ على علاج الناس، ولا توجد أيَّة قصَّةٍ عن تنقُّلِ حورس شافيًا المرضى شخصيًّا.

كان له اثنا عشر تلميذًا

يأتي هذا الادِّعاء أيضًا من جيرالد ماسي، وليس له أيُّ أساس في التاريخ أيضًا. وتذكرُ كتاباتٌ مختلفة عن حورس أعدادًا مختلفة لتابعيه، لكنَّ العدد لا يصل بتاتًا إلى اثني عشر. ويشيرُ ماسي إلى جداريَّة، لكنَّ حورس ليس جزءًا من الرسم في تلك الجداريَّة.

صُلِب

في بعض الرسوم القديمة نجد حورس بذراعَين متباعدتَين، لكنَّ الرسومَ التي تصوِّر أناسًا بذراعَين متباعدتَين ليست غريبة، وهي بالتأكيد لا تشيرُ إلى صَلْبٍ رومانيٍّ، لا سيَّما أنَّ المصريِّين لم يستخدموا ذلك النوع من العقاب.

أُقيم

هناك قصَّةٌ واحدةٌ تصف موت حورس وإعادته ثانيةً إلى الحياة. لكنْ يختلفُ الإحياءُ عن النظرة اليهوديَّة إلى القيامة اختلافًا كاملًا؛ ففي القيامة من وجهة

النظر اليهوديَّة، يختبر أفرادٌ تغيُّرًا كاملًا لأجسادهم، فلا يهرمون في ما بعد.

بجانب مار هناك كُتَّابٌ وأفلامٌ ومواقع إلكترونيَّة مشهورة أخرى تحاول تمرير هذه الرواية بوصفها حقيقيَّة. فمثلًا، يكيلُ فيلم "تزايتغايست" (Zeitgeist)، وهو اسم من الألمانيَّة يعني "روح العصر"، اتِّهاماتٍ مشابهةً أنَّ المسيحيَّة استعارَتْ من مصادرَ وثنيَّةٍ مثل العبادة القديمة للشمس، وأوزوريس وحورس، والأبراج. وقد جاءت هذه المقارنات من كتابات دوروثي ميردوك (Dorothy Murdock) والتي كانت مستشارةً لكُتَّاب السيناريو، وميردوك كاتبةٌ مشهورة دون أيِّ تدريبٍ أكاديميٍّ، وقد رُفضتِ ادِّعاءاتُها بالكامل من المجتمع العِلميِّ.

تراوحَ ما اخترعتْه من ربطٍ ما بين يسوع والمصادر الوثنيَّة من السطحيِّ جدًّا إلى العبثيِّ تمامًا. فمثلًا، حاوَلَتْ ربْطَ عدد الرُّسل الاثني عشر بالأبراج الاثني عشر. ويبدو أنَّه فاتتها حقيقة أنَّ عددَ الرُّسل كان يمثِّل التجسيدَ الجديد لأسباط إسرائيل الاثني عشر. ونبعت حُججُها الأخرى عادةً من سوء تفسير لموادِّ المصادر الأصليَّة، أو من استخدام وثائق كُتبت بعد حياةِ يسوع بقرونٍ، أو من تخمينات جامحة أيضًا.[٣]

تكمن المشكلةُ في أنَّه حين يرى الشخصُ العاديُّ أو يسمع شيئًا يدَّعي رسميًّا أنَّ المسيحيَّة "استعارت" من أديان أخرى قبلها، فإنَّه لا يحظى سوى بقليلٍ من الإرشاد غير الكافي بشأن فَحْصِ مصداقيَّة المصادر. إذ يكشف بحثٌ سريع على غوغل (Google) مثلًا عن عشراتِ المواقع المروِّجة لهذه الفكرة- فكرةِ أسطورة يسوع. وهنا تكمن المشكلة؛ إذ لا يعادلُ البحثُ عن أمرٍ ما بواسطة غوغل دراسةَ الموضوعِ ببحثٍ وافٍ. فالعلماء المؤهَّلون الذين تناولوا باستفاضةٍ هذه الادِّعاءات ووجدوها زائفة، لا تظهر دائمًا كتاباتُهم على محرِّكات البحث.

بينما العددُ الغامر من العلماء والأكاديميِّين، سواء المحافظ منهم أم المتحرِّر؛ المُلحد أم المؤمن، يقبل بتاريخيَّة يسوع، فإنَّ أقلِّيَّةً لا تزال تنادي أنَّ الأرجحَ هو أنَّ يسوعَ لم يكن موجودًا، وأنَّ القصَّة المسيحيَّة ليست أصليَّة. ومن الصعب إيقاف

هذه النوعيَّة من الشائعات ونظريَّات المؤامرة بعد أن فُصِّلتْ ونُشرتْ على الإنترنت، ثمَّ إنَّه يصعب التحكُّم فيها. ومتى انخدع الناس بهذا الهراء، كان ردُّ فعلهم على أيِّ شخص يحاول إقناعهم بأنَّهم مخطئون مثل ردِّ فعل الأصوليِّين الدينيِّين الرافضين الاستماع إلى أيِّ شيء يتحدَّى معتقداتهم.

من بين الكلِّ، نجد أنَّ اللاأدريَّ بارت إيرمان هو مَن يقدِّم أقوى التحذيرات بشأن هذه النزعة إلى تصديق أيِّ شيء تقريبًا يضعه شخصٌ ما على الإنترنت، إذ يقول في هذا الشأن: "كما هو واضح من فَيْض نشْرِ ما هو غاضبٌ أحيانًا على كلِّ مواقع الإنترنت ذات العلاقة بالموضوع، ليست هناك أيَّة وسيلةٍ لإقناع مُنظِّري المؤامرة أنَّ برهانَ رأيهم أضعَفُ من أن يكونَ مقنعًا، وأنَّ برهان وجهة النظر التقليديَّة مُقنعٌ تمامًا".[٤]

لذلك فهدف هذا الفصل هو اختبار اتِّهام أنَّ قصَّة يسوع استُعيرت من الميثولوجيا الوثنيَّة، وإظهار أنَّ العكس هو الصحيح. وإذا لم تكُن لتعرف أيَّ شيء آخر، تحتاج إلى معرفة أنَّه إنْ كان أيُّ شخص استعارَ القصَّةَ، فهؤلاء هم الكُتَّاب الوثنيُّون الذين حاولوا إعادة رواية أساطيرهم ليجعلوها تبدو مثل الإنجيل. ويؤكِّد هذا جاي. إد كوموشيڤسكي في كتاب "**إعادة ابتكار يسوع**" *(Reinventing Jesus)*:

> "لم تبدأ الأديانُ الباطنيَّة (السرِّيَّة) في أخذِ شكلٍ شبيهٍ بالإيمان المسيحيِّ على نحو مريب سوى بعد نهوض المسيحيَّة. فحالما صارَتِ المسيحيَّة معروفةً، تبنَّت الكثير من العبادات الباطنيَّة أفكارًا مسيحيَّة لكي تُرَى آلهتُها على المستوى ذاته مع يسوع. وشكلُ الأديان الباطنيَّة قبل نهوض المسيحيَّة مبهَمٌ وغامضٌ ومُحدَّد مكانيًّا، ولا يمكن رؤية توازياتٍ فكريَّة أصيلة مع الإيمان المسيحيِّ للقرن الأوَّل سوى بخيالٍ متَّسع جدًّا، وبالتعامل مع البيانات التاريخيَّة تعاملًا غير مسؤول ولا أخلاقيٍّ".[٥]

لذلك نتطلَّع إلى تبديد **أسطورة الأسطورة**، وأنوي هنا استحضارَ نور التاريخ إلى هذا الموضوع ومنحك الثقة لتساعدَ آخرين ممَّن يصارعون في أمرٍ ما سمعوه أو قرأوه على الإنترنت بشأن أسطورة يسوع المزعومة، إن كانَ أمرًا حقيقيًّا أم لا. ففي فَصْلِ الحقيقة عن الخيال، يمكننا مساعدة الناس أن يجدوا إيمانًا ذا مصداقيَّة وسط بحرٍ من التشويش والخداع.

جذورُ نظريَّة أسطورة يسوع

أوَّلًا، لننظر إلى هذه الفكرة الغريبة أنَّ المسيحيِّين الأوائل "رقَّعوا" معًا قصَّةَ يسوع من ميثولوجيا قديمة وعلم التنجيم ليصنعوا ديانةً جديدة. فكما عرفنا في الفصل الأوَّل، لم تظهَرِ الشكوكُ في يسوع التاريخيِّ قبل القرن الثامن عشر. وقبل استكمال الحديث هنا، ينبغي إعلانُ ما هو واضحٌ بالفعل: كانت حقيقةُ وجودِ يسوع حقيقةً لا نزاع بشأنها تقريبًا على مدى نحو ألف وسبع مئة سنة. وحين بَدَأَتْ إعادةُ التقييم للنواحي الفائقة للطبيعة في الأناجيل بسبب تأثيرات التنوير، كان البديل المنطقيُّ الوحيد للمعجزاتِ التي صنعها يسوع هي أنَّ تلك القصص كانت ببساطة أساطير أو خرافات. ومن ذلك الرأي، كان من السهل تخمين أنَّ قصصَ ما يُسمَّى بالمعجزات كانت متداوَلَة قبل زمن يسوع، وتعرَّضت إلى تغيير أسماء وشكل خارجيٍّ لتلائمَ الروايةَ المسيحيَّة.

ثمَّ اقترح ديڤيد شترواس، وهو لاهوتيٌّ ألمانيٌّ، في بدايات القرن التاسع عشر، أنَّ معجزاتِ يسوع كانت مجرَّد تعبير أسطوريٍّ من المسيحيِّين الأوائل ليحاولوا رَبْط يسوع بالنبوَّات عن المسيح المنتظر. وتبع شتراوس ألمانيٌّ آخر، هو برونو باور (Bruno Bauer)، والذي ذهب إلى أبعد من ذلك مقترِحًا أنَّ القصَّة المسيحيَّة تشبهُ قصصًا قديمة عن آلهة تموت وتقوم في العالم الوثنيِّ. "في وقت سابق يعود إلى أربعينيَّات القرن التاسع عشر، بدأ برونو باور ينشرُ آراءَه أنَّ لقصَّةِ يسوعَ

جذورًا ممتدَّةً في الخرافة. وكان التأثير الأعظم لباور في أحدِ طُلَّابه، وهو كارل ماركس (Karl Marx)، والذي روَّج لرأي أنَّ يسوع لم يكُن موجودًا أصلًا، وصارَ هذا الرأي في النهاية جزءًا من العقيدة الشيوعيَّة".[٦]

تجسَّد هذا المعتقد العامُّ على نحوٍ أكثر تفصيلًا في القرن التاسع عشر على يدَي الكاتبَين كيرسي غريفز (Kersey Graves) وجيرالد ماسي، إذ نادى غريفز في كتابه "**المُخلِّصون الستَّة عشر المصلوبون لتخليص العالم**" *(The World's Sixteen Crucified Saviors)* أنَّه كانت هناك قصصٌ عديدة على مرِّ عصور العالم لأكثر من إلهٍ مخلِّصٍ مصلوب قام من الأموات. وصرَّح ماسي في كتابه "**التكوين الطبيعيّ**" *(The Natural Genesis)* أنَّ قصَّة الإله المصريِّ حورس تشبه في تفاصيلَ كثيرةٍ يسوع الذي في الأناجيل. وفي القرن العشرين، انتشرت ادِّعاءاتٌ شبيهةٌ جدًّا على يد عالم الأنثروبولوجيا السير جيمس جورج فريزر *(James George Frazer)* في كتابه "**الغصن الذهبيُّ: دراسة في السِّحر والدِّين**" *(The Golden Bough: A Study of Magic and Religion)*، وكانت هذه الكتابات بصدد التأثير في كُتَّاب لاحقين، مثل ميردوك، لنشْر الخطِّ نفسه من الاستنتاج. غير أنَّ دراساتِ علماء بارزين ضحدَتْ ادِّعاءاتِ أنصارِ الأسطورةِ تمامًا، لا سيَّما المقارنات بالقيامة. ويلخِّص هذا المؤرِّخُ جوناثان سميث (Jonathan Smith):

> "يجب فهْم أنَّ فئةَ الآلهة التي تموت وتقوم، والتي كانت في وقتٍ ما موضوعًا مهمًّا للاستقصاء العلميِّ، كانت خطأً تسميةٍ بناءً على خيالٍ واسع ونصوصٍ متأخِّرة أو مُبهمة كثيرًا...فكلُّ الآلهة التي حُدِّد انتماؤها إلى تصنيف الآلهة التي تموت وتقوم يمكن أن تندرج تحت التصنيفَين الأكبر: الآلهة التي تختفي أو الآلهة التي تموت. ففي الحالة الأولى تعود الآلهةُ لكنَّها لم تكن قد ماتت، وفي الحالة الثانية تموت الآلهة لكنَّها لا تعود، وما من مثلٍ واضحٍ في تاريخ الأديان لإله يموت ويقوم".[٧]

ومع كلِّ هذه التفنيدات، فقد وَجَدَتْ حملةُ المعلومات الخاطئة تابعين لها بين المتشكِّكين المستعدِّين لقبول أيِّ تفسير لتصريحات يسوع ومعجزاته بخلاف النسخةِ المسجَّلة في الأناجيل. وتذكِّرُني قراءةُ أنصار الأسطورة هؤلاء بأولئك الذين يخطون خطواتٍ واسعةً جريئةً في رَبْط أمور معًا على نحوٍ يفرض بالقوَّة على قطعِ لعبةِ تركيب الأحاجي (Jigsaw Puzzle) أن تتوافق معًا رغم أنَّها غير متوافقة حقًّا. وباستخدام منطقهم، يمكن أن يدَّعيَ أيُّ شخصٍ ترابطًا يمكن تخيُّله ويكون قادرًا على "إثباته". ومثل هذه الممارسات ليست تاريخًا حقيقيًّا.

الدوافع

كما ذكرنا في إيجاز، يأتي جزء من الدافع وراء رَبْطِ المسيحيَّة بأساطير وثنيَّة من منطلق إنكارِ ما هو فائق للطبيعة، والذي برزَ بعد صعود التشكُّكيَّة في غضونِ عصرِ التنوير في القرنَين التاسع عشر والعشرين؛ حيث كان العلماءُ في ذلك الوقت يُنكرونَ إمكانيَّة أيِّ تدخُّل فائق للطبيعة في العالم، وطبَّقوا أيضًا نظريَّة تطوُّريَّة على دراسة الأديان، حيث نادوا أنَّه بتطوُّر المجتمع، تَطوَّر فهْمُ الله بمرورِ الزمن.[٨] وأقول في ملاحظة جانبيَّة هنا إنَّ هذه العمليَّة هي غالبًا التفسير الذي يقدِّمه الملحدون حين يواجَهون ببرهان التأثير الإيجابيِّ للمسيحيَّة في العلم والتعليم؛ إذ يكون ردُّهم أنَّه رغم أنَّ الدِّينَ "جعلَنا نَنْطَلِق"، فإنَّ التطوُّرَ أخذنا إلى ما وراء احتياجنا إلى أيَّة نظرةٍ دينيَّة أو روحيَّة إلى العالم. وافترض علماءُ التنوير أنَّ المسيحيَّة أيضًا تطوَّرت من معتقدات سابقة، لذا كان من الطبيعيِّ أن يتحوَّلوا بنظرهم إلى أديان وثنيَّة لتكونَ مصدرَ تلك التطوُّرات.

ودون محاولةِ تحليلِ الدافع النفسيِّ للذين يعتَنِقون هذه الأفكار، يمكننا أن نقول بثقة إنَّ استنتاجاتهم لم تكُن نتاجَ بحثٍ تاريخيٍّ موضوعيٍّ؛ فظهور هذه الكتابات في ألمانيا القرن التاسع عشر بادِّعاء أنَّ قصَّة يسوع ليست أصليَّة، ينبغي أن يعطينا

وقفةً للتفكير في دافعِ تخيُّلٍ مثل هذا. فقد أنتجتْ حقيقةُ أنَّ يسوعَ كان يهوديًّا وأنَّ التلاميذ كلَّهم كانوا يهودًا رغبةً في تغييرِ الرواية. وكانت محاولات رفضِ يهوديَّةِ يسوع عاملًا أساسيًّا بكلِّ وضوح. ولا تزال حقيقةُ أنَّ يسوع كان أحدَ يهودِ القرن الأوَّل تمثِّل إشكاليَّةً للجموع ممَّن يخفون انحيازًا وتعصُّبًا معاديًا للساميَّة. ويعلِّق جيمس دَن (James Dunn) في كتاب "**منظور جديد عن يسوع**" *(A New Perspective on Jesus)* قائلًا: "كان أحد أكثر المظاهر إدهاشًا في البحث عن يسوعَ التاريخيِّ هو العزم الواضح لدى الباحثين جيلًا وراء جيل على إهمال أيِّ شيء من التقليد الخاصِّ بيسوع ممَّا يتَّسم على نحو مميَّز باليهوديَّة. ويمكننا شرحُ المنطق الكامن هنا، حتَّى لو لم نستطع التعاطفَ معه بتاتًا- وهو منطق معاداةِ ساميَّةِ† المسيحيَّة التقليديَّة".[٩]

غير أنَّ السببَ الأوَّليَّ الذي يجعل الكثيرين يصرِّحون بمثل هذا التصريح الخياليِّ بشأن كوْن يسوع شخصيَّةً أسطوريَّةً هو رفْض تصريحاته بوصفه ربَّ الكونِ والسُّلطةِ الأخلاقيَّة الأعلى، والذي نقفُ جميعًا مسؤولون أمامه. فكِّر في مباراةٍ رياضيَّةٍ تحبُّ أن تشاهدَها. تجد تقريبًا في كلِّ حدث أشخاصًا يزدرون بالحُكَّام، ولا يمكنني تخيُّل وظيفة أسوأ من هذه في التعرُّض لنكران الجميل. فالمشجِّعون من الجانبَين عند نقطة ما في المسابقة سينهالون بالسِّباب الحقيرة على الشخص المسؤول عن تطبيق القواعد، لتَجاسُره على فَرْضِ عقوبةٍ على فريقهم.

ويمكن قوْل الأمر ذاته عن الشُّرطة؛ إذ يمكن أن تصيبَكَ رؤيةُ سيَّارة الشرطة فقط بالهلع، لكنَّ الشرطةَ مرحَّبٌ بها حين تحتاجُ إليها، وهي في النهايةِ تمثِّل حقيقةَ قانونِ البلاد. لا مانع لدى الناس من الاعتراف بالخالق، ما دام يظلُّ على مسافة بعيدة منَّا، إلى أن نحتاج إليه حقًّا. وفكرة إله شخصيٍّ يعرف أفكارَنا وتصرُّفاتنا وسيُحاسبُنا هي فكرة مُقلقة. وحتَّى رغم أنَّ يسوع جاء وضحَّى بنفسه نيابةً عنَّا

† جدير بالذكر هنا أنَّ المسيح وُلد تحت اليهوديَّة، (أي أنَّه ساميٌّ)، مثلما أنَّ العرب ساميُّون أيضًا. وقد أهملَ الكثير من الأكاديميِّين هذه الحقيقة، فجرَّدوا المسيح من ساميَّته (الناشر).

لإظهار محبَّته، فإنَّ حقيقةَ وجود دينونة آتيةٍ ليست فكرةً لطيفة. وقد يُعدُّ إنكارُ هذه الحقائق مُريحًا للمتشكِّكين، لكنْ يحلو لريتشادر دوكينز أن يقول: "مجرَّد عدم لُطف الفكرة لا يعني أنَّها ليست حقيقيَّة".

المسيحيَّة الراسخة في اليهوديَّة

لو كان هناك أيُّ شيء ينبغي أن يكون واضحًا وُضوحَ الشمس في هذا الكتاب فهو أنَّ يسوع كان يهوديًّا. وقبل أن ننظرَ إلى الآلهة الوثنيَّة المتنوِّعة التي زُعِمَ أنَّها مُنذرةٌ بيسوع، فمن الضروريِّ فهْم أنَّ المسيحيَّة في الأمَّةِ العبرانيَّة نهضَتْ من تربة اليهوديَّة نفسِها، وليست بسبب ميثولوجيا وثنيَّة. ويتَّفق جيمس دَن مع هذه الفكرة قائلًا:

> "يظلُّ النظرُ إلى يسوع في إطار سياقِ اليهوديَّة في زمنه خطًّا بحثيًّا أكثر معقوليَّة من البدء بنيَّة نزعِه من ذلك السياق. وبملاحظة خصائص المعتَقَد والممارسة اليهوديَّة، يمكننا استنتاج أنَّ يسوعَ كان يشترك في هذه الخصائص، ما لم تكُن لدينا مؤشِّرات إلى غير ذلك. وبذلك تضمُّ قائمةٌ أساسيَّةٌ حقيقةَ أنَّه كان مختَتَنًا، وأنَّه تربَّى على تلاوة «الشيما» (Shema)، واحترام التوراة، وحضور المَجمع، وحفْظ السبت. وفضلًا عن ذلك، قدَّم ساندرز (Sanders) قائمةً يصفها بأنَّها «حقائق لا تقبل الجدل تقريبًا» بشأن يسوع: أنَّ خدمته كانت في معظمِها حول مدن الجليل وقُراه".[١٠]

ويؤكِّد وليَم لين كريغ الأمرَ ذاته في كتابه "**الإيمان المنطقيّ**" *(Reasonable Faith)* كما نرى في العبارة التالية:

> "نرى هنا أحَدَ التحوُّلات الكبرى في دراسات العهد الجديد في القرن الأخير، الذي أشرتُ إليه سابقًا بوصفه الاسترداد اليهوديَّ ليسوع. فقد وصل العلماءُ إلى إدراك أنَّ الميثولوجيا الوثنيَّة هي ببساطة السياقُ

التفسيريُّ الخاطئ لفَهْم يسوع الناصريِّ. ولقد سمَّى إيڤانز (Evans) هذا التحوُّل «خسوف الميثولوجيا» في البحث في حياة يسوع. فيسوع وتلاميذه كانوا يهودًا يعيشون في القرن الأوَّل، فينبغي فهمُهم وَفقًا لهذه الخلفيَّة، وليس زيْفُ التوازيات المزعومة إلَّا أحد المؤشِّرات على أنَّ الميثولوجيا الوثنيَّة هي السياق التفسيريُّ الخاطئ لفهْم إيمانِ التلاميذ بقيامة يسوع".[١١]

إذا كان التاريخ يعني أيَّ شيء، فمن الواضح أنَّ المسيحيِّين ليسوا مَن سرقوا القصص الوثنيَّة، بل على العكس من ذلك. ويعلِّق على هذا د. كريغ كينر قائلًا:

"حتَّى بعيدًا عن هذه الملاحظة، كانت القيامة الجسديَّة فكرةً يهوديَّةً، فمن الصعب استيعاب أن تحفِّز كنيسةٌ أمميَّة هيلينيَّة [أي يونانيَّة]، تعظُ بإله باطنيٍّ يموت ويقوم، يهودًا تابعين ليسوع ليتبنَّوا فكرةً وثنيَّة، ثمَّ يعدِّلوها في اتِّجاهٍ يهوديٍّ (بما في ذلك اللغة اليهوديَّة المحدَّدة للقيامة). إذ يبدو على الأرجح أنَّ أمميِّين لاحقين، بانجذابهم إلى عبادةٍ يهوديَّةٍ متنامية، تبنَّوا فهمًا يهوديًّا للقيامة وغيَّروه".[١٢]

المصادر والعُلماء والمضمون

في المواسم السياسيَّة، يعلنُ الكثير من الناس نيَّتهم الترشُّح، ويخوضون السباق الانتخابيّ. وبمرور الوقت، يضيقُ المجالَ وتجد أنَّ القليلين هم مَن يعلو نجمُهم بوصفهم المنافسين الحقيقيِّين. وبالمثل، يحاول المتشكِّكون عادةً أن يلوِّحوا بقائمةٍ طويلةٍ ممَّا يُدعى توازيات يسوع، لكنَّ القليل من هذه التوازيات يُشار إليه عادةً بوصفه شخصيَّاتٍ منافِسةً بارزة. ويصف القِسمُ التالي بعضًا من أشهر مصادر الأسطورة التي يُشار إليها، والتي يَظهَرُ فيها وَهَن الحُجج المؤيِّدة. وهناك ثلاثة مبادئ تُوضَع في الحسبان لدى اختبار هذه التوازيات: المصادر والعُلماء والمضمون.

المصادر

ما يُفتقر إليه على نحوٍ فاضح مِرارًا وتَكرارًا هو المصادر الأصليَّة لهذه الادِّعاءات الخياليَّة. فعادةً ما يأتي المتشكِّكون بتصريحات من العدم، أو يقتبسون من كُتَّابٍ سابقين قدَّموا الادِّعاء نفسه، لكنَّهم فشلوا في الإشارة إلى أيِّ مصدرٍ أصليّ. ويتَّفق بارت إيرمان مع هذا قائلًا:

> "لا يُقدِّم الكُتَّاب أيَّ برهان على ادِّعاءاتهم بشأن الميثولوجيا النموذجيَّة للإله الإنسان، إذ لا يشيرون إلى أيِّ مصدرٍ من العالم القديم يمكن التحقُّق منه. ليس أنَّهم قدَّموا تفسيرًا بديلًا للبرهان المتاح، بل لم يشيروا حتَّى إلى البرهان المتاح، وذلك لسببٍ منطقيٍّ: أنَّه لا يوجد مثل هذا البرهان".[١٣]

من العجيب عدم تطبيق المتشكِّكين مبادئَ التحقُّقِ والفحص الدقيق على نظريَّات الأسطورة، بينما يطالبون بأن تتعرَّض الأناجيل لها. والنتيجة هي تمييزٌ هائلٌ ما بين المادَّة الأصيلة والمادَّة الأخرى الخياليَّة على ما يبدو.

العُلماء

ثانيًا، يأتي بحُججٍ كُتَّابٌ مشاهير دون أيِّ مؤهِّلٍ أكاديميٍّ ذي صلة بموضوع البحث، أو يمثِّلون آراءً رُفضت من كلِّ العُلماء الأجلَّاء تقريبًا. فعادةً ما ينادي أنصارُ الأسطورة بأنَّ كلَّ كتابات العهد الجديد تقريبًا غير تاريخيَّة، ويؤمنون بأنَّ هذه الكتابات لُفِّقت لخدمة أجندات الكُتَّاب اللاحقين. فمثلًا، قال ريتشارد كارِيَر (Richard Carrier)، أحد القلائل مِن أنصار الأسطورة الذين يحملون مؤهِّلاتٍ ذات صلة: "من الواضح أنَّه لم يكُن لكُتَّاب الأناجيل اهتمامٌ بالبيانات التاريخيَّة الفعليَّة".[١٤]

هذه عبارةٌ فاضحةٌ في ضَوء التاريخ؛ فليس هناك مؤرِّخ مُختصٌّ يؤمن، كما هو مفصَّل في الفصل الثاني، بأنَّ العهدَ الجديدَ خالٍ تمامًا من أيِّ محتوى تاريخيٍّ. في

المقابل هذه الكتابات (كما هو موصوفٌ في الفصل الثالث) هي مِن بين الأفضل في تلك الحِقبةِ الزمنيَّة؛ وهي مدعومة ببراهين تاريخيَّة وأثريَّة، علاوة على أنَّ الكثيرَ من تفاصيل العهد الجديد، والتي كان المتشكِّكون يظنُّون أنَّها غير تاريخيَّة، ثبتت دقَّتُها في النهاية، مثل وجود مدينة الناصرة وبِركة سلوام. ولكي يقدِّم أنصارُ الأسطورة آراءهم، عليهم تجاهل أحدث الاكتشافات الأثريَّة، ورفْض كلِّ معايير الدراسة التاريخيَّة السليمة تقريبًا.

المضمون

أخيرًا، يعاني أنصارُ الأسطورة ما يسمِّيه دان والاس "هَوَس التوازيات" (Parallelomania)، ولا سيَّما مَيلهم إلى المناداة بأنَّ تشابهاتٍ معيَّنةً ما بين مصادرَ وثنيَّةٍ والمسيحيَّة تُثبت أنَّ المسيحيِّين نسخوا القصص الوثنيَّة. غير أنَّ تلك التوازياتِ تفتقرُ إلى أيِّ مضمونٍ حقيقيٍّ؛ فهي إمَّا سطحيَّة جدًّا وإمَّا تأتي من وثائقَ جاءت بعد المسيحيَّة بقرون.

حتَّى وإذا كانت التوازيات أسبق وأكثرُ تشابهًا بقدرٍ كبير، فلن يثبتَ هذا النَّسْخَ؛ إذ إنَّ هناك الكثيرَ من التشابُهات البارزة والتي وقعَت صدفة ما بين الأديان وأحداث تاريخيَّة مختلفة. وأحد أكثر الأمثلة إدهاشًا هو التشابه ما بين اغتيال الرئيسَين الأميركيَّين إبراهام لِنكولن (Abraham Lincoln) وجون أف. كينيدي (John F. Kennedy)، إذ تتطابق الكثير من التفاصيل تطابقًا تامًّا:

- انتُخِب لنكولن للكونغرس في عام ١٨٤٦م، وانتُخِب كينيدي للكونغرس في عام ١٩٤٦م.
- انتُخِب لنكولن رئيسًا في ١٨٦٠م، وانتُخِب كينيدي رئيسًا في ١٩٦٠م.
- في اسمَي لِنكولن وكينيدي عدد الأحرف ذاته.

- كان لِنكولن سكرتير يُدعى كينيدي، وكان لكينيدي سكرتير يُدعى لِنكولن.
- كلاهما تزوَّج في الثلاثينيَّات من عمره من فتاة في الرابعة والعشرين، وكانت فتاةً بارزةً اجتماعيًّا، وتتحدَّث الفرنسيَّة بطلاقة.
- تعامَلَ كلا الرئيسَين مع حركات الحقوق المدنيَّة للأميركيِّين من أصل أفريقيٍّ.
- اغتيل كلا الرئيسَين في الرأس من الخلف، بينما كان يجلس الواحد بجانب زوجته، في يوم الجمعة السابق لعُطلة رئيسيَّة.
- كان قاتلاهما يُعرفان بأسماء من ثلاثةِ مقاطع مجموع أحرفها هو ذاته (في الإنكليزيَّة) جون ويلكس بوث (John Wilkes Booth) ولي هَرفي أُزولد (Lee Harvey Oswald).
- أطلقَ أُزولد النار على كينيدي من مخزنٍ، وقُبِض عليه في مسرحٍ، وأطلقَ بوث النارَ على لِنكولن في مسرحٍ، وقُبِض عليه في مخزنٍ.
- أُطلِقَتِ النارُ على كلا القاتلَين وقُتِلا بمسدَّس فئة كولت (Colt) بعد أيَّام من اغتيال كلٍّ منهما للرئيس، وقبل أن تتمكَّن الجهاتُ المعنيَّة من إحضارهما إلى المحاكمة.
- خَلَفَ كُلًّا من الرئيسَين نائبٌ، واسما النائبَين جونسون، وكان كلاهما من الجنوب، ووُلدا في ١٨٠٨م و١٩٠٨م.[١٥]

رغم هذه القائمة اللافتة للنظر، فليس هناك مَن يؤمن بأنَّ أحَدَ الاغتيالَين كان روايةً أسطوريَّةً للآخر؛ فلا يوجد أيُّ برهان على حدوث نسْخٍ. وتستندُ قصَّتا الاغتيالَين على أساساتٍ تاريخيَّة راسخة، وبالمثل، لا توجد ذرَّة برهانٍ أنَّ المسيحيِّين الأوائل تأثَّروا بأيٍّ من القصص عن شخصيَّات وثنيَّة، أسطوريَّةً كانت أم تاريخيَّة. وكان

الإطار الزمنيُّ ما بين الأحداث وكتابة الأناجيل والرسائل وقتًا أقصر من أن يسمح لتطوُّر الأساطير؛ إذ كان هناك شهودُ عِيانٍ لا يزالون على قَيد الحياة. "لم يكُن هناك وقتٌ كافٍ لتراكم الخرافات كثيرًا. ومنذ أن طَرق د. شتراوس نظريَّته بأنَّ قصصَ الأناجيل عن حياةِ يسوعَ وقيامته هي نِتاجُ تطوُّرٍ أسطوريٍّ وخرافيٍّ، ظلَّتِ الصعوبةُ التي بلا جواب لوجهة النظر هذه هي أنَّ المسافة الزمنيَّة والجغرافيَّة ما بين الأحداث والقصص غير كافية للسماح بمثل هذا التطوُّر الواسع".[١٦]

أخيرًا، يدعمُ قصَّةَ يسوعَ المركَزيَّة، بل الكثيرَ من التفاصيل الدقيقة، أقوى برهانٍ تاريخيٍّ. فليس هناك إذًا سببٌ للمتشكِّكين ليستمرُّوا في التمسُّكِ بجَدَلِ الأسطورة، إلَّا لتسويغ رغبتهم في تشويه المسيحيَّة.

توازيات أخرى ليسوع؟

يمكن بوضوحٍ رؤيةُ المشكلات الموصوفة باختبار الادِّعاءات المرتبطة بأشهر المرشَّحين ليكونوا توازيات ليسوع.

كريشنا (Krishna)

أحد أوَّل المرشَّحين الذين ذكرَهم بِل مار في فيلمه الوثائقيِّ هو الإله كريشنا، وهو أحد أشهر الآلهة الهندوسيَّة. ويؤمن الهندوسُ بأنَّ كريشنا هو تجسُّد الإله ڤيشنو (Vishnu)، وعادةً ما يُصوَّر في الفنِّ الشرقيِّ كطفلٍ أزرقَ. وقد سَرَد مار قائمةً من التوازيات المحدَّدة العديدة ما بين قصَّة كريشنا ويسوع، بما في ذلك الميلادُ العذراويُّ، والعمل في النِّجارة (والادِّعاء الفعليُّ هو أنَّ والد كريشنا عمِل بالنجَّارة)، ومعموديَّته في نهرٍ.

وقد قدَّم أنصار الأسطورة المعتادون هذه التصريحات؛ إذ يدَّعون أيضًا أنَّ كريشنا صُلِب، وقام من الأموات، وأنَّه اشتركَ مع يسوع في قواسمَ عديدةٍ أخرى. وتروِّج

هذه الدائرةُ الصغيرةُ من الكُتَّاب والعُلماء المغمورين كُتُبًا دون إشارةٍ إلى أيِّ مصدرٍ أوَّليّ، وهذا مفهوم؛ لأنَّه لا يوجد لأيٍّ من ادِّعاءاتهم أساس في الحقيقة. فمثلًا، تقولُ روايةُ الميلاد في النصِّ الهندوسيِّ إنَّه كان لأمٍّ كريشنا سبعة أطفال قبل ولادته، لذا فهي لم تكُن عذراءَ دون شكّ، كما لا تذكرُ قصص الميلاد صراحةً أنَّ الأمَّ حُبل بها بطريقة إلهيَّة.[١٧] وبالمثل، ادِّعاء أنَّ كريشنا وُلد لأبٍ يعمل بالنجارة هو ببساطة ادِّعاء مُلفَّقٌ؛ فأبوه كان أحد النبلاء[١٨]، كما أنَّه ليس هناك أيُّ سجلٍّ عن اعتماده في نهرٍ. وبالمثل، لا يصرِّح أيُّ نصٍّ أنَّ كريشنا صُلِب أو قام، بل قتله بالخطأ صيَّادٌ يُدعى جارا (Jara)، ثمَّ فارقتْ روحُه جسدَه.[١٩] وتأتي التوازيات المتطابقة من نصوصٍ كُتبت بعد الأناجيل بمئاتِ السنين، حين بدأ الهندوس ينسخون من المسيحيَّة.[٢٠]

وباختصار، تُماثِل الادِّعاءات بشأن التوازيات ما بين يسوع وكريشنا تلك التي ما بين يسوع وحورس في انتمائها إلى الفئات المذكورة سابقًا:

- تشابهات سطحيَّة تمثِّل خصائصَ شائعةً في أديانٍ كثيرة، مثل وجود المعجزات. فهي لا تقدِّم إذًا أيَّ برهانٍ على النَّسْخ.
- التوازياتُ الأكثر جوهريَّة مبنيَّةٌ على إساءاتِ فهْمٍ كثيرة للنصوص الأصليَّة، أو هي ببساطة مُلفَّقة.
- التوازياتُ الأكثر جوهريَّة والمبنيَّةُ على مصادر تاريخيَّة شرعيَّة كُتبت بعد القرن الأوَّل بوقت طويل، لذا يكون النَّسْخُ الوحيدُ هو من وثنيِّين يستَعيرون من المسيحيِّين.

ميثرا (Mithras)

ثاني أشهر المُرشَّحين المقلَّدين هو ميثرا، وكان يعبدُه في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة تابعو الديانة الباطنيَّة المعروفة باسْم الميثرانيَّة (Mithraism). ولا يُعرفُ عن هذه الديانة سوى القليلِ جدًّا؛ إذ لم تبقَ كتاباتٌ أساسيَّة، وتأتي معظم معرفتنا من الأضرحة.[٢١]

وما اقتُرح هو أنَّ ميثرا كان يُرى بوصفه إلهَ النُّور، الذي أعطى أتباعَه خلاصًا. وكان أحَدَ أبرز أعماله ذَبْح ثورٍ، وهو ما كان مصدرَ الطقس الدينيِّ من سكْب دماءِ ثورٍ على العابدين. وكثيرًا ما يربط المتشكِّكون هذا الطقس بالإيمان المسيحيِّ بتطهير دمِ يسوع للمسيحيِّين من خطاياهم. كما نادى أنصار الأسطورة، مثل بِل مار، بأنَّ تفاصيلَ أخرى عديدةً بشأن يسوع نُسخَتْ من ميثرا، بما في ذلك ميلاده في ٢٥ كانون الأوَّل /ديسمبر، وصُنْع المعجزات، والقيامة في اليوم الثالث، وأنَّه كان يُعرفُ بالعديد من الألقاب التي ليسوع، مثل الطريق والحقِّ والحياة.

وكما هي الحالُ مع حورس وكريشنا، التشابهات المدهشة حقًّا ما بين يسوع وميثرا، مثل القيامة، هي مُلفَّقة ببساطة.[٢٢] والتشابهات الفعليَّة هي تشابهات سطحيَّة في أفضل الأحوال، فمثلًا، نجد استخدام الدم في العبادة مَلْمَحًا للكثير من الأديان في العالم القديم، بل الأكثر إشكاليَّة هو أمرُ التواريخ، فلم تتأصَّل الميثرانيَّة في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة حتَّى أواخر القرن الأوَّل. وأقدم الوثائق التي تصفها كُتبتْ بعد اكتمال الأناجيل المسيحيَّة بأكثر من قرنٍ. فأيُّ استعارة إذًا للأفكار في ذلك الوقت هي لأتباع ميثرا ناسخين من المسيحيِّين. كما أنَّ عُلماء ميثرا الأجلَّاء لا يؤمنون بأنَّ أيًّا من الدينَين أثَّر في الآخر. "بعد نحو مئة عام من العمل دون انقطاع، تَظهَر الخُلاصة محتومةً: أنَّه لم يثبت أنَّ للميثرانيَّة أو المسيحيَّة تأثيرٌ مباشر وواضح إحداهما في الأخرى، وذلك في ما يخُصُّ تطوُّر أيٍّ من الدينَين وزواله [الميثرانيَّة] أو بقائه [المسيحيَّة]، وتُفسَّر معتقداتهما وممارساتهما جيِّدًا بواسطةِ أوضح مصادرهما، وليسَ هناك احتياجٌ إلى شرْحِ الواحد بالإشارة إلى الآخر".[٢٣]

أوزوريس

كان يُعتقد أنَّ أوزوريس، أحد أشهرِ الآلهةِ المصريَّة، يترأَّس الروحَ في الدينونة، وهو زوج إيزيس. وينادي المتشكِّكون كثيرًا أنَّ أسطورة أوزوريس هي إحدى المصادر الرئيسيَّة وراءَ الإيمانِ المسيحيِّ بالقيامة، كما يحاولون ربْط دَورَي أوزوريس ويسوع

بدَينونة الأموات. ويقول بعضُهم إنَّ أوزوريس كان مصدرَ الكثيرِ من التفاصيل المهمَّة الأخرى المُصرَّح بها عن يسوع، مثل اعتماده، وميلاده في ٢٥ كانون الأوَّل / ديسمبر، ولقبه "الراعي الصالح"، وتأسيسه وجبة مقدَّسة في صورة عشاء إلهيٍّ، وموته المُكفِّر عن الخطيَّة. ومع ذلك فقد رفضَ جميعُ العلماء المرموقين المتخصِّصين في دراسة أوزوريس هذه التصريحات. ويلخِّص الأمرَ عالمُ العهد الجديد جاي. إد كوموشيڤسكي بالقَول:

> "بحسب أكثر نُسخ الأسطورة شيوعًا، قُتِل أوزوريس على يد أخيه، والذي أغرق بعد ذلك التابوت الذي يضمُّ جسدَ أوزوريس في نهر النيل. واكتَشَفَتْ إيزيس مكانَ الجسدَ وأعادته إلى مصر، لكنَّ أخا زوجها حصلَ على الجسد ثانيةً، وقطَّعَ أوصاله إلى أربع عشرة قطعةً شتَّتها في مناطقَ متباعدة. وبعد بحث طويل استعادت إيزيس كلَّ أجزاء الجسد...وأحيانًا يحلو لمَن يروون القصَّة أن يقولوا إنَّ أوزوريس عادَ إلى الحياة، حتَّى رغم أنَّ مثل هذه اللغة تدَّعي أكثر بكثير ممَّا تسمح به الأسطورة، بل يذهب بعضُ الكُتَّاب إلى ما هو أبعد من ذلك مشيرين إلى «قيامة» أوزوريس المزعومة".[٢٤]

من الواضح أنَّ التشابهات المزعومة ما بين يسوع وأوزوريس التي يقدِّمها أنصار الأسطورة هي مبالَغاتٌ متطرِّفة أو من نسْج خيالهم تمامًا؛ إذ لا يجمع بين قيامةِ يسوع وإعادةِ تجميع أوزوريس سوى القليلِ جدًّا غير الكافي. ويعلِّق العالمُ رونالد ناش (Ronald Nash) على هذا قائلًا: "إنَّ مصيرَ تابوتِ أوزوريس في النيل هو ذو صلةٍ بالمعموديَّة على الدرجة نفسها مثل غرق مدينة أطلانطس الأسطوريَّة".[٢٧]

وهناك متشكِّكون مثل بارت إيرمان شعروا بأمرٍ يدفعُهم إلى تحدِّي مثل هذه التصريحات غير المسؤولة، فمثلًا، ينتقد إيرمان الكاتبَين تيموثي فريك (Timothy Freke) وبيتر غاندي، (Peter Gandy) اللَّذَين كرَّرا الكثيرَ من هذه الادِّعاءات في كتبهما.

"مثلًا، ما الدليل على أنَّ أوزوريس وُلد في ٢٥ كانون الأوَّل /ديسمبر أمام ثلاثةِ رعاة؟ أو أنَّه صُلِب؟ وأنَّ موته جلبَ كفَّارةً للخطيَّة؟ أو أنَّه عادَ إلى الحياة على الأرض بقيامته من الأموات؟ في الحقيقة، لا يقولُ أيُّ مصدرٍ قديمٍ أيَّ شيء كهذا عن أوزوريس (أو عن الآلهة الأخرى)، لكنَّ فريك وغاندي يقولان إنَّ هذه معرفة شائعة، و«يُثبتانها» بالاقتباس من كُتَّاب آخرين من القرنَين التاسع عشر والعشرين قالوا ذلك. لكنَّ هؤلاء الكُتَّاب أيضًا لا يشيرون إلى أيِّ برهان تاريخيٍّ؛ فهذا كلُّه مبنيٌّ على تصريح صدَّقه فريك وغاندي؛ لأنَّهما قرأاه في مكانٍ ما، وليس بالعِلم التاريخيِّ الجادِّ".[٢٦]

مُنافِسان في المرتبة الأخيرة

يُشار إلى العديد من الأمثلة الأخرى بمعدَّل أقلٍّ ضمن مصادر النَّسْخ المسيحيِّ. وأحدُ الأشخاص المثيرين للانتباه هو أپولونيوس (Apollonius) والذي كان شخصيَّة تاريخيَّة حقيقيَّة بخلافِ أمثلتنا السابقة، وكان فيلسوفًا يونانيًّا من مدينة طوانة (Tyana)، في المقاطعة الرومانيَّة كبدوكيَّة (Cappadocia)، وعاش في زمن يسوع تقريبًا. قيل عنه إنَّه علَّم تلاميذ، وأجرى معجزات، وظهرَ لشهودٍ بعد موته، وهذه التوازيات مدهشة حقًّا. غير أنَّها تأتي من سيرةٍ كُتبت على يد فيلسوفٍ اسمه فيلوستراتوس (Philostratus) في القرن الثالث للميلاد، لذا كان هناك ما بين موته وكتابة السيرة وقتٌ طويل يكفي لتطوُّر قصصٍ خرافيَّة. علاوة على أنَّ الكنيسةَ المسيحيَّةَ كانت بحلول ذلك الوقت قد صارتْ راسخةً في كلِّ أنحاء الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، فمن المرجَّح أنَّ يكون فيلوستراتوس قد نسَخ من الأناجيل.

مصدرٌ آخر يُشار إليه أحيانًا هو الإله ديونيسوس (Dionysus)، ويُقال إنَّه وُلِد من عذراء في ٢٥ كانون الأوَّل /ديسمبر[٢٧]، وحوَّل الماء خمرًا، ودخل دخولًا انتصاريًّا راكبًا على حمار، وله أتباع يعبدونه بأكل الخبز وشُرْب الخمر، وكان قد صُلِب، وقام

من الأموات. وكما هي الحالُ مع المُرشَّحين الآخَرين، هذه التشابهات المزعومة هي تحريفٌ للنصوص الأصليَّة أو هي ببساطة مُلفَّقة. فمثلًا، كان ديونيسوس هو إلهَ الخمر، لكنْ ليستْ هناك سجلَّات عن استخدام الخمر في عبادةٍ تُماثِل القصَّة المسيحيَّة، ولو من بعيد.[٢٨] وهكذا نرى من جديد أنَّ التوازياتِ ليسَت سوى إسقاطاتٍ من أذهانِ مَن أنكروا يسوع في قلوبهم.

الخلاصة

لم تُستَعَر قصَّةُ حياة يسوع وموته وقيامته من ميثولوجيا وثنيَّة. وحقيقةُ الاحتياج إلى تناولِ أمرٍ عبثيٍّ بهذا الشكل تُظهر مدى الضَّحالة التي صارَ عليها النقاش الخاصُّ بالحقائق الفعليَّة المحيطة بالإنجيل.

ووسط هذا كلِّه، تشقُّ المسيحيَّةُ جذورَها في الإيمان اليهوديِّ، فيسوع كان يهوديًّا وجاء في تتميمِ لأنبياء العبرانيِّين الذين تحدَّثوا بشأن المسيَّا، ولم تكُن معجزاته خدعًا سحريَّة أو مكتوبةً بلُغةٍ ميثولوجيَّة، بل وجَّهَتِ الناسَ إلى أهدافِ الله للفداء، وإلى فرصتهم ليكونوا جزءًا من ذلك.

والساخر في الأمر هو أنَّ النَّسْخَ لم يكُن استعارةَ المسيحيِّين الأوائل من قصصِ قدماء المصريِّين أو الإغريق أو الفُرس، بل العكس، فقد حثَّ النجاحُ الضخمُ للكنيسة الأولى ونموُّها أنصارَ الأديان الباطنيَّة ليُعيدوا رواية قصَّتهم مستخدمين الصور والأفكار المسيحيَّة.

٧

يسوع هو المسيح المنتظر

ابن الإنسان، ابن الله

"ليس هناك تفسيرٌ آخرُ يتوافقُ مع حقائقِ التاريخ ورسالة الكتاب المقدَّس. [التفسيرُ الوحيد هو أنَّ] يسوع المسيح الناصريُّ هو المسيَّا الموعود".[١]

د. ستيفن سي. ماير (Stephen C. Meyer)

كُتِب البيان الإنسانيُّ (Humanist Manifesto) أوَّلًا في ١٩٣٣م، واضعًا رؤيةً عَلمانيَّةً للكيفيَّة التي يمكن بها أن نُنهي العنصريَّةَ والفقرَ والحرب، ونجلب إلى العالم رخاءً وسلامًا مستديمَين. وأشار البيانُ إلى الإنسانيَّة بوصفها "دينًا جديدًا" مزمعًا أنْ يُنتجَ حركةً دينيَّةً خاليةً من المعبود. وكان البيان الإنسانيُّ الثاني (Humanist Manifesto II)، الذي كُتب في عام ١٩٧٣م، إعلانًا للتحرُّر ضدَّ الله- وبتحديدٍ أكثر، الحرِّيَّة من معتقد أنْ يكونَ الله هو مصدرَ خلاصٍ للإنسانيَّة- إذ ينُصُّ على أنَّه: "لن يخلِّصَنا معبودٌ، بل ينبغي أن نخلِّص أنفسنا"، مع التأكيد أنَّ قدرتَنا على خلاصِ أنفسِنا هو في حدِّ ذاته معتقدٌ- منظومة إيمانيَّة، والحقيقة التعيسة هي أنَّه ليس هناك برهانٌ حقيقيٌّ أنَّ في وُسعِنا الثقةَ بأنفسنا لإنجاز مثل هذه المهمَّة الهائلة وصعبة المنال. فرُغم قدرةِ الإنسانيَّة على استِحْضار حلولٍ كبيرةٍ للكثير من مشكلاتِ الحياة، كالقدرةِ على محاربةِ السرطان، وأمراضِ القلب والجوع والتلوُّث، وتغيير حالة شركاتٍ فاشلةٍ، وإعادة بناء مدن خَرِبة،

واسترجاع الأمل إلى مناطق دمَّرتها كوارث طبيعيَّة- فهل يمكننا تغيير أعمق مشكلاتِ النفسِ البشريَّة؟

حين يتعلَّق الأمر بسلوكنا الأخلاقيِّ، فهناك اعترافٌ أنَّ المعركةَ ضدَّ جيناتنا الوراثيَّة هي معركةٌ خائبة. فإنْ كان علينا قبول رغباتنا ودوافعنا الجنسيَّة وعدم مقاومتها أو كَبْتِها، لماذا إذًا لا نُجيزُ كلَّ غريزةٍ ونزعةٍ أخرى؟ قال المُلحدُ ريتشارد دوكينز (Richard Dawkins): "إنَّنا ببساطة نتاج حمضنا النوويِّ، ونتراقصُ على الأنغام التي يعزفها".[٢] كما يذهبُ متشكِّكون مثل سام هاريس (Sam Harris) إلى حدِّ القوْلِ إنَّه ليس هناك ما يُسمَّى بالإرادة الحرَّة؛ فأفعالُنا محتومة.[٣] لكنْ إنْ كان الأمر كذلك فنحن في إشكاليَّة أعمق ممَّا قد تخيَّلنا يومًا.

في القرن التاسع عشر، كان لدى الكثيرين أملٌ في أنْ يتطوَّرَ المجتمعُ طبيعيًّا إلى حالٍ أفضل بالعلم والتعليم والمنطق. وكان مفكِّرون روَّادٌ قد أخذوا نظريَّة التطوُّر وحوَّلوها إلى نظرةٍ عالميَّةٍ شاملة، وحاولوا استخدامها بوصفها خريطةَ طريقٍ ليس فقط لتحسُّن البشر جسديًّا، بل أيضًا ذهنيًّا وأخلاقيًّا. وفي أثناء محاكمة سكوپس (Scopes) الشائنة المعروفة باسْم "محاكمة القرد" (Monkey Trial) منذ أكثر من تسعين سنة في مقاطعة دايتون، ولايةِ تَنيسي، نشرت نيويورك تايمز مقالةً تصرِّح أنَّ التطوُّر، المُجرَّد من أيِّ تأثيرٍ من خالقٍ، يقدِّم الرجاءَ الوحيدَ للتقدُّم للنَّفس البشريَّة. "إذا كان الإنسان قد تطوَّر، فمن غير المعقول أنْ تتوقَّفَ العمليَّةُ هنا تاركةً إيَّاه في حالته الناقصة الحاليَّة. لا يبشِّر الخلقُ المُحدَّد بمثل هذا الوعدِ للبشر".[٤]

إنَّ أعظمَ احتياج إلى التغيير هو في النفس البشريَّة. لكنْ من أين يأتي هذا التغيير؟ إنَّ فكرةَ البقاء للأصلح تعني أنَّ الطبيعة تنتقي الخصائصَ التي تساعد الأفرادَ على البقاء والتكاثُر. ومن ذلك المنظور، مِن أين تأتي السِّماتُ الشخصيَّةُ مثل الحبِّ الإيثاريِّ والتضحية بالذات؟ إنَّ واقعَ الأمر هو أنَّه بعيدًا عن عملِ الروح القدس فينا، نحن ببساطة تحت رحمةِ جيناتنا ونزعاتنا الجسديَّة والضغوط

المجتمعيَّة. ويقود مثل هذا المعتقد طبيعيًّا إلى يأسٍ وجوديٍّ، وهو ما عبَّر عنه كُتَّاب الكتاب المقدَّس مَن كانوا يشكُّون في قدرة الحالة البشريَّة على التحسُّن. "رأيتُ كلَّ الأعمال التي عُمِلتْ تحت الشمس فإذا الكلُّ باطل وقبض الريح. الأعوج لا يمكن أن يُقَوَّم" (جامعة ١: ١٤-١٥).

وتتلخَّصُ القصَّة الحقيقيَّة للبشريَّة في أنَّه لو تُرك الأمر لنا، لأثبتْنا أنَّنا لسنا على مستوى الجودة المطلوبة في أمور الخلاص. ففي حالة الكثير من أمور التقدُّم التكنولوجيِّ، يمكن أن تصيرَ التكنولوجيا المُصمَّمة من أجل الخير أداةً للشرِّ. وقد شهد القرنُ العشرون بعضًا من الأعمال الوحشيَّة التي أقدمَ عليها مَن كانوا بصدد أن يصيروا مُخلِّصين، ممَّن رفضوا الله إلهَ الكتاب المقدَّس رفضًا واضحًا، وذُبحَ ملايين البشر تحت مثل هذه الأنظمة المُضادَّة للمسيحيَّة كالأنظمة التي قادها ستالين (Stalin) في الاتِّحادِ السوفييتيِّ سابقًا، وماو (Mao) في الصين، وپول پوت (Paul Pot) في كمبوديا، وهتلر (Hitler) في ألمانيا (والذي كان يتبع الوثنيَّة الجديدة [Neopaganism])، والجنرال عيدي أمين (Idi Amin) في أوغندا. وكما ذَكرنا، فالمشكلةُ الجذريَّةُ هي روحيَّة، وتقبعُ في مكانٍ عميقٍ داخلَ الروح البشريَّة.

ورغمَ تظاهُرِ العلم أو العمليَّة السياسيَّة بأنَّهما مصدرُ رجائنا، فنحن في احتياج ماسٍّ إلى مساعدة الله وتدخُّله. ورسالةُ الكتابِ المقدَّس في مضمونها هي إعلانٌ عن الطريق الذي يأخذنا من الظلمة إلى النور، ومن اليأس إلى الرجاء. ومثلما هناك قوانينُ طبيعيَّةٌ تفسِّر الكيفيَّة التي يعمل بها الكونُ، هناك قوانينُ روحيَّةٌ تساعدُنا على فَهْمِ العالم الداخليِّ والكيفيَّة التي يعمل بها. وقد حاول سيغموند فرويد (Sigmund Freud) شرْحَ العلم ما وراء الشعور والفكر البشريِّ، لكنَّه فشلَ في ذلك لسببٍ واحد: أنَّه لم يعترفْ بأنَّ للنفس خالقًا، لذا حاول شرْحَ الكيفيَّة التي نندفع بها لاشعوريًّا لنتصرَّف، وليس الكيفيَّة التي ينبغي لنا بها اختيار التصرُّف.

أعلن الله في الكتاب المقدَّس الكيفيَّة التي قُصد لنا بها أن نعيش، مثلما يقدِّم صانعُ سيَّارة دليلًا إرشاديًّا يشرح الكيفيَّة التي تُدار بها وتُصان صيانةً صحيحة. وحين تُنتهك تلك القوانين أو تُهمل، تكون هناك نتائجُ مترتِّبةٌ على ذلك، ولا سيَّما عندما نتوقَّف عن السلوك من أجل الخير الأقصى لأنفسنا وللآخرين. والمأزق هنا هو أنَّ للبشرِ ميلًا كبيرًا إلى التصرُّف بطرقٍ ترفض تمامًا الطريقةَ التي قُصد لنا أن نحيا بها.

الرسالةُ واضحة: نحتاج إلى مُخلِّص

لأنَّنا في احتياج ماسٍّ إلى مُخلِّصٍ، يمكن أن ننساق بسهولة إلى الذين يَعِدون بإصلاحِ مشكلاتِنا، وشفاءِ جِراحنا وجلبِ سلامٍ دائمٍ إلى عالمنا، وننخدع تقريبًا من أيِّ شيء يَعِدُنا بالراحة من ألمنا.

بدأتْ فكرةُ احتياجنا إلى خلاصٍ في بدايةِ التاريخ البشريِّ. فمنذ أنْ أكَّد الشرُّ تأثيرَه، علتْ من أعماق نفوسنا الصرخةُ التي تطلبُ المساعدة. واختار البشرُ الأوَّلون عصيانَ القانون البسيط الذي أعطاهم الله إيَّاه، لذا عانوا فورًا ألمَ الانفصال الذي تجلبُه الخطيَّة. لماذا أعطاهم الله الفرصةَ للفشل؟ إنَّ ذلك هو جوهر كوننا بشرًا- أن يكونَ لنا اختيارٌ حقيقيٌّ لفعلِ الخير أو الشرِّ.

ومنذ ذلك الوقت المبكِّر، ترنَّح الكوكبُ بسبب الجراح التي أثخَنَتْ شعبًا يتَّخذُ اختياراتٍ خاطئة. لكنْ في لحظاتٍ مهمَّةٍ في التاريخ، بدا كأنَّ كلَّ شيءٍ قد ضاعَ، دبَّر الله وسيلةً لنجاةِ أولئك الذين وثقوا به. فنقرأ قصَّةَ نوحٍ وبنائه فُلكًا لخلاصِ عائلته، وقصَّة موسى عندما أعطاه الله تعليماتٍ لوضع دمِ حملٍ على القائمتَين والعَتَبةِ العُليا لأبوابِ العبرانيِّين لكي يعبُرَ ملاكُ الموت مفتديًا حياتهم. ثمَّ نقرأ عن العبور المعجزيِّ للعبيد العبرانيِّين المُحرَّرين في البحر الأحمر، وهي كلُّها تستعرضُ صورًا خلَّصَ بها الله البشرَ من الشرِّ والقهر. وها هو الملكُ العظيمُ داوُد يسبِّح الله مِرارًا

وتَكرارًا لتخليصه من أعدائه، ونجاته مرَّاتٍ عدَّة من الموت.

"أحبُّك يا ربُّ، يا قوَّتي. الربُّ صخرتي وحصني ومُنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. ترسي وقرن خلاصي وملجإي. أدعو الربَّ الحميدَ، فأتخلَّص من أعدائي" (مزمور ١٨: ١-٣).

فلَيسَ الله مجرَّدَ خالقٍ للكَون، بل هو أيضًا منخرطٌ في شؤونِ البشريَّة. ورُغمَ وجودِ ألمٍ ومعاناة، فإنَّ الخلاصَ متاحٌ، والتعبير الأسمى عن هذا الخلاص هو تجسُّدُ ذلك الخلاصِ في هيئةٍ بشريَّة.

المسيَّا (المسيح المنتظر)

"المسيَّا" في العبريَّة هو "ها مشيخ" (Ha Mashiach)، والكلمة في اليونانيَّة هي "كرايست" (Christ) أو "الممسوح". وكانت ترمز إلى الكاهن الممسوح الذي أُفرِز من أجلِ أهدافِ الله. وفي العهد القديم كان المسيَّا قائدًا ممسوحًا من سلالةِ الملك داوُد، والذي كان يُنتظَرُ أن يُنقذَ الشعبَ اليهوديَّ من أعدائهم.

كان العبرانيُّون يتوقَّعون قائدًا بشريًّا ينقذهم من مُضطهديهم، جالبًا ملكوتَ اللهِ إلى الأرض بالمفهومِ السياسيِّ، ولم تكُن لديهم فكرةٌ كافيةٌ أنَّ المسيَّا سيكون هو الحضورَ المتجسِّد لله على الأرض، كما لم يتوقَّعوا أن يُعدَم على يدِ الأعداء الذين كانوا يعتقدون أنَّه سيَقهرُهم. غير أنَّ يسوعَ جاءَ ليُنقذَنا من أعدائنا الحقيقيِّين، القُوى الروحيَّةِ التي سيطرتْ على الجنس البشريِّ، فلا قيمة للتحرُّر الخارجيِّ دون الحرِّيَّة الداخليَّة.

وقد أعلنَ يسوعُ هذا الهدفَ بوصفهِ مهمَّته في رسالتِه الافتتاحيَّة، فبعد أنِ اعتمَدَ في نهر الأردنِّ، رجعَ إلى الناصرة حيث تربَّى، ودخل المجمعَ، وقرأ من النبيِّ إشَعياء، كما نقرأ في إنجيل لوقا ٤: ١٦-٢١:

"وجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربَّى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ، فدُفع إليه سفرُ إشعياء النبيِّ. ولمَّا فتح السفر وجد الموضع الذي كان مكتوبًا فيه: «روح الربِّ عليَّ، لأنَّه مسحني لأبشِّر المساكين، أرسلَني لأشفيَ المنكسري القلوب، لأناديَ للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحِقين في الحرِّيَّة، وأكرز بسنة الرب المقبولة». ثمَّ طوى السِّفرَ وسلَّمه إلى الخادم، وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصةً إليه. فابتدأ يقول لهم: «إنَّه اليوم قد تمَّ هذا المكتوب في مسامعكم»" (لوقا ٤: ١٦-٢١).

بعد قراءة هذه الرسالة النبويَّة المسيانيَّة، نَطَق بالجملة المدهشة بأنَّه هو مَن يُتمِّم المكتوبَ "اليوم"، ويُظهر هذا جليًّا أنَّ يسوع كان يرى نفسَه بوصفه تتميمَ كلمات الأنبياء، كما رأى أنَّ إرساليَّته ستكونُ أن يبشِّرَ بالإنجيل، ويشفي المرضى، ويحرِّرَ المنسحقين روحيًّا. وفي الحقيقة شرعَ مباشرةً في إخراج شياطينَ وإجراءِ معجزاتِ شفاء ومعجزات أخرى.

إنَّها الخدمة نفسها التي يجريها اليوم في جيلنا بواسطةِ تابعيه؛ فرسالةُ أنَّ يسوعَ هو المسيح (المنتظر) لا تتقدَّم بالعنف أو القوَّة، بل إنَّ يسوعَ أدانَ أولئك الذين أجبروا آخرينَ على الطاعة غير التلقائيَّة، وقد تحدَّاهم بكَونِهم أنبياء كَذَبة. وبدلَ ذلك، تنطلقُ رسالةُ المسيح بمحبَّةٍ وقوَّة، وهذا الإنجيل، أو الخبر السارُّ، قويٌّ حتَّى إنَّه قلبَ العالمَ رأسًا على عقب منذ ألفَي عام، ويمكن أنْ يفعلَ الأمرَ نفسَه اليوم.

إعدادُ الطريق

ليس ثمَّة شكٌّ أنَّ ظهورَ المسيَّا كان سيمثِّل أهمَّ لحظةٍ في التاريخ البشريِّ، حتَّى إنَّ نبيًّا أُرسِلَ قبل ذلك الوقت ليُعدَّ الناسَ لما هو آتٍ وهو يوحنَّا المعمدان. ويقرُّ المؤرِّخون ليس فقط إنَّه كان موجودًا، بل أنَّه كان يعظُ ويخدمُ في مناطق صحراء

القريبة من نهرِ الأردنِّ. وتتحدَّث كلُّ الأناجيل الأربعة بشأن يوحنَّا في دوره هذا لإعداد الطريق من أجل المسيَّا. وقد تنبَّأ الأنبياء العبرانيُّون عن خدمة يوحنَّا، فنجدُ مثلًا في سِفرِ ملاخي سنة ٤٠٠ ق.م:

"هأنذا أرسل إليكم إيليَّا النبيَّ قبل مجيء يوم الربِّ، اليوم العظيم والمخوف، فيردُّ قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم. لئلَّا آتي وأضرب الأرض بلعْنٍ" (ملاخي ٤: ٥-٦).

ولا يتحدَّثُ هذا المكتوب بشأنِ تجسُّدٍ جديد، بل إنَّ الله سيُرسلُ شخصًا بنَوع المسحة والرسالة اللتين لإيليَّا. ونقرأ أيضًا في سِفرِ إشَعياء نبوَّةً عن يوحنَّا أيضًا، قبل ظهوره بنحو ستِّ مئة سنة:

"صوتُ صارخٍ في البرِّيَّة: أعِدُّوا طريق الربِّ. قوِّموا في القفر سبيلًا لإلهنا. كلُّ وطاء يرتفع، وكلُّ جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوَجُّ مستقيمًا، والعراقيب سهلًا" (إشَعياء ٤٠: ٣-٤).

أعدَّتْ خدمةُ يوحنَّا قلوبَ الناس وأذهانهم بدَعوَته إيَّاهم إلى التوبة والتحوُّل عن شرِّهم. وحين أخبر الملاكُ جِبرائيلُ والدَي يوحنَّا بشأن ولادته الآتية وخدمته المستقبليَّة، قال:

"ويردُّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الربِّ إلههم. ويتقدَّم أمامَه بروح إيليَّا وقوَّته، ليردَّ قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيِّئ للربِّ شعبًا مستعِدًّا" (لوقا ١: ١٦-١٧).

ويشيرُ هذا الإعلان إلى الطبيعة الاستثنائيَّة لدعوته، إذ لم يكُن بشيرًا بقائدٍ أو ملكٍ أرضيٍّ، بل بالربِّ نفسه. وبينما كان يَعِظُ، كان يُسألُ ما إذا كان هو المسيَّا، لكنَّه نفى ذلك ثمَّ صرَّح أنَّ المسيَّا مزمعٌ أن يأتي بعده:

"وهذه هي شهادة يوحنَّا، حين أرسل اليهودُ من أورشليم كهنةً ولاويِّين ليسألوه: «مَن أنت؟» فاعترف ولم ينكر، وأقرَّ: «إنِّي لستُ أنا المسيح»... أجابهم يوحنَّا قائلًا: «أنا أعمِّد بماء، ولكنْ في وسطكم قائمٌ الذي لستم تعرفونه. هو الذي يأتي بعدي، الذي صار قدَّامي، الذي لست بمستحقٍّ أنْ أحلَّ سيور حذائه». هذا كان في بيت عَبْرَة في عبر الأردن حيث كان يوحنَّا يُعمِّد. وفي الغد نظر يوحنَّا يسوعَ مُقبلًا إليه، فقال: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطيَّة العالم!»" (يوحنَّا ١: ١٩-٢٠، ٢٦-٢٩).

النقطةُ الحرجةُ التي يجب استيعابُها هي أنَّ التعرُّف إلى المسيَّا يتطلَّب الحالةَ الروحيَّةَ الصحيحةَ كما يتطلَّب الاعتراف بالحقائق المحيطة بهُوِيَّته؛ فأن تعرفَ أنَّ يسوعَ هو المسيحُ لا يعني إيمانَك به لدرجةِ تسليم حياتك ومصيرك إلى قيادته وسلطانه. وقد دعا يوحنَّا الناسَ ليتَّضعوا ويدركوا حاجتهم إلى مُخلِّص، وحينئذٍ فقط سيتوقَّفون عن الثقة بأنفسهم وأوثانهم وعلاجات زمانهم، لينظروا إلى وعد الله للإنقاذ، بشروطه هو، لا بشروطهم.

ماذا قال يسوع عن نفسه؟

"قالت له المرأة: «أنا أعلم أنَّ مسيَّا، الذي يقال له المسيح، يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكلِّ شيء». قال لها يسوع: «أنا الذي أكلِّمك هو»" (يوحنَّا ٤: ٢٥-٢٦).

كان يسوع أحيانًا غامضًا بشأن هُوِيَّته بوصفه المسيَّا؛ إذ كانت للشعب اليهوديِّ مفاهيمُ خاطئةٌ بشأن دوره. وفي أوقاتٍ أخرى، كان صريحًا تمامًا بشأن مَن هو. وتُقدِّم إلينا قصَّةُ يسوع والمرأة السامريَّة حوارًا متبادَلًا جديرًا بالملاحظة، حيث كُشِفَت هُوِيَّتُه بوضوح، وقد تظنُّ أنَّه مِن دون كلِّ الناس الذين يمكن الوثوق بهم، لن تتخيَّل

أن تكونَ مِن بينهم امرأةٌ كانت قد تزوَّجت خمس مرَّات، وتعيش حاليًا مع شخصٍ بغير زواج. ورغم ذلك، فقد تحدَّث إليها يسوعُ مباشرةً بكَونِه المسيَّا.

كما ذكرنا سابقًا، سأل يسوعُ تلاميذه: "مَن تقولون إنِّي أنا؟" فأفصح الرسول بطرس قائلًا: "أنت هو المسيح ابنُ الله الحيِّ"، فأجابه يسوعُ لا بتصحيحٍ ولا بانتهارٍ على مثل هذه العبارةِ المُجدِّفة، ودعاه قائلًا: "طوبى"، أي هنيئًا لبطرسَ أنَّه فَهِمَ دَورَ السيِّدِ المسيحِ. ويأتي ذلك التطويب نفسه إلينا حين نستوعب هذه الحقيقة الأساسيَّة بشأن يسوع. في السياق نفسه، أقرَّ الرسولُ بولس أيضًا بهُوِيَّةِ يسوعَ بوصفه المسيَّا. وعلَّق كريغ كينر على ذلك قائلًا: "غالبًا ما يستخدمُ بولس، وهو أقدم كاتب بارز للعهد الجديد، لفظ «المسيح» كأنَّه لقبُ عائلةِ يسوعَ. وهكذا لا بدَّ أنَّ فكرةَ يسوع بوصفه «المسيَّا» كانت سابقةً لبولس. وقد تقترحُ لغةُ بولس أنَّ الحركةَ اليهوديَّة المعروفةَ [آنذاك] ليسوع كانت تحسبُ أنَّه هو «المسيح»".[٥]

من المستحيل قراءة الأناجيل أو بولس والوصول إلى انطباع أنَّ يسوع الناصريَّ كان يُنظَرُ إليه على أنَّه مجرَّدُ إنسانٍ؛ فيسوعُ قال عن نفسه الكثير الذي كان يُعدُّ غريبًا لو كان إنسانًا فقط.

"أنا هو نور العالم" (يوحنَّا ٨: ١٢).

"السماء والأرض تزولان، ولكنَّ كلامي لا يزول" (مرقس ١٣: ٣١).

"لأنَّه حيثُما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم" (متَّى ١٨: ٢٠).

الأنبياءُ الذين تكلَّموا بِاسْم الله، كانوا يستهلُّون رسائلَهم بجملة: "هكذا يقول الربُّ"، أمَّا حين كان يسوع يتحدَّث، فكانَ يعلِّق قائلًا مثلًا: "الحقَّ أقولُ لكم". فاستخدامُه لمثلِ هذه التعبيرات هو لأنَّ الربَّ كان يتحدَّث.

أظهَرَ يسوعُ أنَّه المسيح المنتظر

أشارَتِ المعجزاتُ التي أجراها والعجائب والآيات الرائعة إلى هُويَّته بوصفه المسيح. وفي كلِّ تاريخ البشريَّة، لم يكُن هناك شخصٌ دنا من الأعمال الرائعة ليسوع. والقصص القديمة الوحيدة التي تحمل شبهًا مُبهَمًا كُتبت عن شخصيَّات كانت قد ماتت قبلها بقرون. لذا كانت مجرَّدَ أساطير. كانت أعمالٌ مثل إشباع خمسة آلاف من الناس ببضعة أرغفة وبعض السمك، والسير على الماء، وإقامة الموتى، أعمالًا تفوق التخيُّل البشريَّ. وكانت إحدى أعظم آياته هي تسكينَ العاصفة في بحر الجليل؛ فهذا العمل من تهدئة البحر يُعيد الإشارةَ إلى سلطانِ الله على المياه في سِفر التكوين.

ويحاول المتشكِّكون ممَّن لا يقبلون إمكانيَّة حدوث الظواهر الفائقة للطبيعة استبعادَ معجزات يسوع، والتركيز على أخلاقيَّاته وتعليمه. لكنَّ مريديه الذين تجمَّعوا حوله لم يأتوا نتيجةً لسمينار تعليميٍّ على منحدرِ تلٍّ جليليٍّ، بل من أخبار عن أعماله القديرة؛ فمعجزاته هي التي سبَّبت قلقَ المؤسَّسة الدينيَّة لأنَّها كانت تشير إلى كونه المسيَّا.

حين علَّم كان يعلِّم بسلطان، ومثلٌ ساطع على ذلك هو حين طوَّرَ ناموس موسى في ما يختصُّ برَفْع مقياسِ معنى الناموس:

> "قد سمِعتُم أنَّه قيل للقدماء: لا تقتلْ، ومَن قتل يكون مستوجب الحُكْم. وأمَّا أنا فأقول لكم: إنَّ كلَّ مَن يغضب على أخيه باطلًا يكون مستوجب الحُكْم، ومَن قال لأخيه: رقا، يكون مستوجب المجمع، ومَن قال: يا أحمق، يكون مستوجب نار جهنَّم" (متَّى ٥: ٢١-٢٢).

يتَّفق د. وليَم لين كريغ في أنَّ هذا الأمرَ أظهرَ إحساسَ يسوع المتفرِّد بسلطانه الإلهيِّ. "كان الأمرُ أنَّ يسوعَ وضعَ سلطانه الشخصيَّ على قدم المساواة مع سلطانِ الناموسِ الإلهيِّ، بل إنَّه زادَ على الناموسِ بسلطانه الشخصيِّ".[٦]

مثلٌ آخرُ على هذا السلطان هو غفرانه للخطايا؛ ففكرة أنْ تخبرَ الناس أنَّ خطاياهم مغفورة هي أشبَه بالتصرُّف بأمورٍ ينبغي لله فقط أن يتصرَّف فيها. وإحدى القصص المُفضَّلة لديَّ في الكتاب المقدَّس مُسجَّلة في إنجيل مرقس، حيث كانت مجموعة من الرجال يحاولون نقْلَ صديقهم المفلوج إلى داخل بيتٍ مزدحم حيث كان يسوع يعلِّم، على أملِ أن ينالَ الشفاء. وحين لم يستطيعوا الدخولَ من الباب الأماميِّ، تسلَّقوا إلى السطح، ونقبوه، ثمَّ أنزلوا صديقَهم أمام يسوع. أبدأ في الابتسام حين أفكِّر في كلِّ شخصٍ ينظرُ إلى السقف حيث كانت النقَّالة تُنزَل إلى داخل الغرفة.

"ثمَّ دخل كفرناحوم أيضًا بعد أيَّام، فسُمع أنَّه في بيت. وللوقت اجتمع كثيرون حتَّى لم يعُد يسع ولا ما حول الباب. فكان يخاطبهم بالكلمة. وجاءوا إليه مقدِّمين مفلوجًا يحمله أربعة. وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه من أجل الجمع، كشفوا السقفَ حيث كان. وبعد ما نقبوه دلَّوا السريرَ الذي كان المفلوج مضطجعًا عليه. فلمَّا رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: «يا بُنيّ، مغفورة لك خطاياك». وكان قوم من الكتبة هناك جالسين يفكِّرون في قلوبهم: «لماذا يتكلَّم هذا هكذا بتجاديف؟ مَن يقدر أن يغفر خطايا إلَّا الله وحده؟» فللوقت شعرَ يسوع بروحه أنَّهم يفكِّرون هكذا في أنفسهم، فقال لهم: «لماذا تفكِّرون بهذا في قلوبكم؟ أيُّما أيسر، أنْ يقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أنْ يقال: قُم واحمل سريرك وامشِ؟ ولكن لكي تعلموا أنَّ لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا». قال للمفلوج: «لك أقول: قُم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك!». فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدَّام الكلِّ، حتَّى بُهتَ الجميع ومجَّدوا الله قائلين: «ما رأينا مثل هذا قطُّ!»" (مرقس ٢: ١-١٢).

نبوّات عن المسيح المنتظر

"له يشهدُ جميعُ الأنبياء أنَّ كلَّ مَن يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا" (أعمال ١٠: ٤٣).

كان مجيء يسوع هو تحقيقًا للنبوّات التي سبقَ أن تكلَّمَ بها الله بواسطة الأنبياء لقرونٍ. "أعطى الله عددًا كبيرًا من النبوّات عن المسيَّا المنتظر لسببين على الأقلِّ: أوَّلًا، ليكونَ التعرُّف إلى المسيح المنتظر واضحًا، وثانيًا، لجَعْلِ مهمَّة مَن يدَّعي أنَّه المسيح المنتظر مهمَّة مستحيلة".[٧] هناك الكثير من النبوّات التي تجدُ تحقيقَها في يسوعَ المسيحِ، ونلقي الضوء على بعضٍ منها هنا.[٨] ولو كانت هذه النبوّات السبع هي النبوّات الوحيدة، لكانت كافية:

١. الخادم المتألِّم

إنَّ أكثر النبوّات المثيرة والنابضة بالحياة عن المسيح المنتظر، والتي تشير إلى يسوع الناصريِّ، هي الموجودةُ في سِفر إشَعياء أصحاح ٥٣. يُشار إلى هذه الفِقرة مرّاتٍ عديدةً في العهد الجديد؛ فهي مذكورة في الأناجيل، عند الحديث بشأن المسيح وخدمته، ومذكورةٌ كذلك في سِفر أعمال الرسل، حين استفهم الوزيرُ الحبشيُّ من فيلبُّس عن معناها (أعمال الرسل ٨: ٣٢-٣٣)، وكانت الفقرةُ حاسمةً في رحلة الحبشيِّ إلى الإيمان بالمسيح، كما كانت كذلك لملايين الناس منذ ذلك الحين:

"لكنَّ أحزانَنا حملَها، وأوجاعَنا تحمَّلَها. ونحن حسِبناه مُصابًا مضروبًا من الله ومذلولًا. وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامنا. تأديبُ سلامِنا عليه، وبحُبُره شُفينا. كلُّنا كغنم ضلَلْنا. مِلنا كلُّ واحد إلى طريقه، والربُّ وضع عليه إثمَ جميعِنا. ظُلِم أمَّا هو فتذلَّل ولم يفتحْ فاه. كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازِّيها فلم يفتحْ فاه. من الضغطة

ومن الدينونة أُخذ. وفي جيله مَن كان يظنُّ أنَّه قُطع مِن أرض الأحياء، أنَّه ضُرب مِن أجل ذنب شعبي؟ وجُعل مع الأشرار قبرُه، ومع غنيٍّ عند موته. على أنَّه لم يعمل ظلمًا، ولم يكُن في فمه غشٌّ. أمَّا الربُّ فسُرَّ بأنْ يسحقه بالحَزَن. إنْ جعلَ نفسَه ذبيحةَ إثم يرى نسلًا تطولُ أيَّامُه، ومسرةُ الربِّ بيده تنجح. مِن تعب نفسه يرى ويشبع، وعبدي البارُّ بمعرفته يبرِّر كثيرين، وآثامُهم هو يحملها" (إشعياء ٥٣: ٤-١١).

هذه الفِقرة هي إحدى أهمِّ الفِقرات في كلِّ الكتاب المقدَّس؛ وذلك بسبب صورتها النبويَّة المذهلة عن عمل المسيح. وهي حافلةٌ بإشاراتٍ إلى يسوعَ بوصفه المسيَّا، ولا تسمح المساحةُ هنا بعرضٍ كامل لهذه الفقرة، والتي كُتبَتْ قبل ميلادِ المسيح بنحو ستِّ مئة سنة. لكنَّ القراءةَ الدقيقةَ تقدِّم مقارناتٍ عديدةً لحياة يسوع وموته، وأهمُّها الآيات التي تصرِّح أنَّه "مجروحٌ لأجل معاصينا ومسحوقٌ لأجل آثامنا" وأنَّه "قُطع من أرض الأحياء...من أجل ذنب شعبي". وتشير هذه العبارات إلى صَلْبِ يسوع من أجل خطايانا. وهناك إشارات أخرى بأنَّ يسوعَ وُضِعَ للموت مع أشرارٍ، لكنَّه دُفن في قبرٍ غنيٍّ، وهو يوسف الراميُّ.

حتَّى قبل مجيء يسوع، كان الكثيرُ من علماء اليهود يدركون أنَّ هذه الفِقرةَ تشير إلى المسيح المنتظر. وحتَّى يومنا هذا، أثبتَ إشَعياءُ ٥٣ أهمِّيَّته الحاسمة في قبولِ الكثير من اليهود ليسوع بوصفه المسيَّا. لكنْ بعد مجيء يسوعَ، رفضَ بعضُ المعلِّقين اليهودِ أنَّ هذه الفِقرة تشير إلى المسيَّا، بلِ ادَّعوا أنَّها تشير فقط إلى الأمَّة العبريَّة. غير أنَّ حُجَّتَهم تستندُ إلى فَهمٍ خاطئٍ لسياق الفِقرة وتفسيرها؛ إذ تشير القراءة المتأنِّية بوضوحٍ إلى مسيَّا مستقبليٍّ يتوافق بدقَّةٍ مع حياةِ يسوع وموته وقيامته.[٩]

٢. مكانُ ميلاد المسيَّا

ميلاد يسوع في بيت لحم هو أمرٌ مقبول على نحو واسع، لكنَّه ليس دون تحدِّيات

تشكيكيَّة. وليس من العسير فهْم السبب؛ فحقيقة أن يُتنبَّأ بمكان ميلاده تضيف إلى مصداقيَّة هُويَّته الحقيقيَّة بوصفه المسيَّا، إذ لم يَظهَر يسوع فقط إلى المشهد مُقدَّمًا تصريحاتٍ جريئةً عن نفسه، بل وُصفت تفاصيل حياته مقدَّمًا؛ فالله مهتمٌّ بالأحداث الكبرى كما أنَّه مهتمٌّ بالتفاصيل.

"أمَّا أنتِ يا بيتَ لحم أفراتة، وأنتِ صغيرة أنْ تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلِّطًا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيَّام الأزل" (ميخا ٥: ٢).

وهذه النبوَّة مُحدَّدةٌ جدًّا بشأن "متسلِّط" مزمع أن يخرج منذ "أيَّام الأزل" ومكان ميلاده. وكان الملك داود- في سلسلة النسب الموعودة للمسيح- أيضًا من هذه المدينة ذاتها. ومعنى بيت لحم هو "بيت الخبز"، فمن بيت الخبز سيأتي خبزُ الحياة.

٣. الذي طعنوه

تنبَّأ زكريَّا قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة، وتكلَّمَ عن الذين ينظرون إلى "الذي طعنوه" ويتوبون. فحين يدرك الناسُ أنَّ المسيَّا جاء ووُضع إلى الموت، يجلبُ ذلك حزنًا هائلًا، لكنَّ الله وعد أن يحوِّل هذا الحزن إلى فرح وخلاص.

"وأُفيضُ على بيت داود وعلى سكَّان أورشليم روحَ النعمة والتضرُّعات، فينظرون إليَّ، الذي طعنوه، وينوحون عليه كنائحٍ على وحيدٍ له، ويكونون في مرارة عليه كمَن هو في مرارة على بِكْرِه" (زكريَّا ١٢: ١٠).

ويلقي هذا بالضوء أيضًا على نقطةٍ مهمَّةٍ بشأن العلاقة ما بين اليهودِ والأمم، وأنَّ الله يحبُّ الجميع، وقد كتب بولسُ الرسولُ إلى أهل رومية:

"فإنِّي لستُ أريد أيُّها الإخوة أنْ تجهلوا هذا السرَّ، لئلَّا تكونوا عند أنفسكم حكماء: أنَّ القساوة قد حصلتْ جزئيًّا لإسرائيل إلى أنْ يدخلَ ملؤ الأمم، وهكذا سيَخْلُصُ جميعُ إسرائيل. كما هو مكتوبٌ: «سيخرُجُ من صهيون المنقذُ ويردُّ الفجور عن يعقوب. وهذا هو العهد مِن قِبَلِي لهم متى نَزَعْتُ خطاياهم»" (رومية ١١: ٢٥-٢٧).

٤. تكون الرياسةُ على كتفه

تنبَّأ النبيُّ إشعياء بحقيقة أنَّ الله سيدخل العالم في هيئة طفلٍ، وهذا سرٌّ عظيمٌ أنْ يأتيَ الخالقُ غير المحدود إلى خليقته بهذه الطريقة. ولم يكُن هذا طفلًا عاديًّا، حيث كتب تشارلز سپيرجن (Charles Spurgeon): "يسوع المسيح، حتَّى ذاك الذي كان يضطجع في مذودِ بيت لحم...[كان] «حاملًا كلَّ الأشياء بكلمة قدرته»".[١٠]

"لأنَّه يولَدُ لنا ولدٌ ونُعطَى ابنًا، وتكونُ الرياسة على كتفِه، ويُدعَى اسمُه عجيبًا، مشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًّا، رئيسَ السلام. لنموِّ رياستِه، وللسلامِ لا نهاية" (إشعياء ٩: ٦-٧).

إنَّ سِفر إشَعياء حافلٌ بإشاراتٍ إلى المسيح المنتظر، وإلى وعد السلام والخلاص الناتج عن عمله. وتخبرنا هذه الفِقرةُ أنَّ الرياسةَ ستكون على كتفه، أي أنَّه بغضِّ النظر عن الملوك والحُكَّام الأرضيِّين الذين في السُّلطة، فإنَّ هناك ملكًا أعظمَ يحكم، وهو يُدعى ملك الملوك وربَّ الأرباب! كما تعلن أيضًا أنَّ هذا الولد سيُدعى إلهًا قديرًا. وما من إنسانٍ يجرؤ أن يأخذ ذلك اللقب على عاتقه، لكنَّ يسوعَ دُعيَ عِمَّانوئيل، الذي تفسيره "الله معنا". ورغم أنَّ حُكمَه بدأ صغيرًا (كان لديه فقط اثنا عشر تابعًا)، فقدِ استمرَّ في الزيادة وفي جلْبِ السلامِ إلى حياة الناس والأمم التي تبعت كلماته.

٥. الجدول الزمنيُّ للمسيح المنتظر

نبوَّةٌ مذهلةٌ أخرى هي الزمن نفسه الذي كانت بشأن وقتِ ظهورِ المسيَّا في التاريخ. فقد كان دانيال يقرأ إرميا ورأى أنَّ سبيَ السبعين سنة المتنبَّأ به كان على وشك الانتهاء. وبعد أن طلبَ دانيالُ الربَّ في صلاةٍ وصومٍ، جاءه الملاك جبرائيل بهذه الرسالة التي تصفُ أحداثًا مستقبليَّة، لا سيَّما مجيء المسيَّا (الممسوح أو المسيح).

> "فاعلَمْ وافهَمْ أنَّه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيحِ الرئيسِ سبعةُ أسابيع واثنان وستُّون أسبوعًا، يعود ويُبنَى سوقٌ وخليجٌ في ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستِّين أسبوعًا يُقطَعُ المسيحُ وليس له، وشعبُ رئيسٍ آتٍ يُخرِبُ المدينةَ والقدس، وانتهاؤه بغمارة، وإلى النهاية حربٌ وخِرَبٌ قُضِي بها. ويُثبِّتُ عهدًا مع كثيرين في أسبوع واحد، وفي وسط الأسبوع يُبطِّلُ الذبيحةَ والتقدمةَ، وعلى جناح الأرجاس مُخرِّبٌ حتَّى يتمَّ ويُصَبَّ المقضِيُّ على المُخَرِّب" (دانيال ٩: ٢٥-٢٧).

أُخبِر دانيال أنَّ عدد السنين ما بين الأمر بإعادة بناء أورشليم، والزمن الذي "سيُقطع" فيه المسيح سيكون تسعة وستِّين "أسبوعًا"، أو تسع وستِّين مجموعةً من سبع سنين (٤٨٣ سنة). وهو زمن صَلْب يسوع في سنة ٣٠ ميلاديَّة.[١١] كما يقدِّم سِفرُ دانيال صورةً مذهلةً للعمل الذي سيتمِّمه. "سبعون أسبوعًا قُضِيتْ على شعبك وعلى مدينتك المقدَّسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفَّارة الإثم، وليُؤتَى بالبرِّ الأبديِّ، ولِخَتْم الرؤيا والنبوَّة، ولِمَسْح قدُّوس القدُّوسين" (دانيال ٩: ٢٤).

كان المسيح المنتظر مزمعًا أنْ يضعَ نهايةً للخطيَّة، ويكفِّر عن الإثم، ويأتي بالبرِّ الأبديِّ، وجرى التنبُّؤ بهذه النبوَّة المجيدة عن عمل المسيح في ذلك الحين، وهي كذلك متاحةٌ الآن، بعد أكثر من ألفَي عام، لكلِّ مَن يؤمن بيسوع المسيح.

٦. ابن الإنسان

كان يسوعُ يشيرُ إلى نفسه كثيرًا بوصفه "ابن الإنسان".

"فقال له يسوع: «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأمَّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسَه»" (متَّى ٨: ٢٠).

"ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإنِّي الحقَّ أقول لكم: لا تكمِّلون مدن إسرائيل حتَّى يأتي ابنُ الإنسان" (متَّى ١٠: ٢٣).

"لأنَّ مَنِ استحى بي وبكلامي، فبهذا يستحي ابنُ الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القدِّيسين" (لوقا ٩: ٢٦).

والمقصودُ بهذه الإشارات ليس فقط لفتَ الانتباه إلى بشريَّته، بل أيضًا الربْط المباشر بالرؤيا النبويَّة لدانيال قبل المسيح بنحو خمس مئة سنة:

"كنتُ أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مِثْلُ ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيَّام، فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطِي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبَّد له كلُّ الشعوب والأمم والألسنة. سلطانُه سلطان أبديٌّ ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض" (دانيال ٧: ١٣-١٤).

مِن غير الممكن أنْ يُعطَى إنسانٌ ما، إنْ كان مجرَّد إنسانٍ، هذا اللقب الوصفيّ، ويُعلَنُ أنَّ كلَّ الأمم ستتعبَّد له. حقَّقَ يسوعُ هذه الرؤيا في أثناء خدمته الأرضيَّة، حين سمح للناس بعبادته. وهذا العملُ إشارةٌ واضحةٌ لهُوِيَّته الإلهيَّة. ويتَّفق د. وليَم لين كريغ مع ذلك قائلًا: "لم يُشر يسوع إلى نفسه بوصفه «ابنَ إنسانٍ»، بل «ابن الإنسان». واستخدامه لهذا التعبير المعرَّف هو الاستخدامُ ذاته في كلِّ الأناجيل. وباستخدام يسوعَ أداةَ التعريف، كان يوجِّه الانتباهَ إلى الشخصيَّة البشريَّة-الإلهيَّة التي في النبوَّةِ في دانيال ٧: ١٣-١٤".[١٢]

٧. ابن الله

لا توجد آيةٌ في الكتاب المقدَّس مألوفة لدى أعدادٍ غفيرةٍ حول العالم أكثر من يوحنَّا ٣: ١٦. إذ تُرى على لوحات الإعلانات، وتُرسم على وجوه رياضيِّين، ويُشار إليها مع أولئك الراغبين في معرفة طريق الخلاص، ونصُّها كما تعلَمون: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتَّى بذل ابنَه الوحيد، لكي لا يهلِكَ كلُّ مَن يؤمنُ به، بل تكون له الحياةُ الأبديَّة". ومع تعبير المسيح الذي يعني "مسيًّا"، يشير أيضًا لقب ابن الله كما هو مستخدم في يوحنَّا إلى ألوهيَّة يسوع، ويربطه بكونه المسيَّا. ويقدِّم المزمور الثاني الصورة النبويَّة لألوهيَّته:

> "لماذا ارتجَّتِ الأممُ، وتفكَّر الشعوبُ في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معًا على الربِّ وعلى مسيحه، قائلين: «لنقطع قيودهما، ولنطرح عنَّا ربطهما». الساكن في السماوات يضحك. الربُّ يستهزئ بهم. حينئذ يتكلَّم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. «أمَّا أنا فقد مسحتُ ملكي على صهيون جبل قدسي». إنِّي أخبرُ من جهة قضاء الرب: قال لي: «أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك». اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الأرض مُلكًا لك. تحطِّمُهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزَّاف تكسِّرهم». فالآن يا أيُّها الملوك تعقَّلوا. تأدَّبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الربَّ بخوف، واهتفوا برعدة. قبِّلوا الابن لئلَّا يغضب فتبيدوا من الطريق. لأنَّه عن قليل يتَّقدُ غضبُه. طوبى لجميع المتَّكلين عليه" (مزمور ٢: ١-١٢).

إنَّ فكرةَ أنْ يكونَ لله ولدٌ هي فكرةٌ صعبةُ الاستيعاب؛ فالتعبير لا يعني أنَّ الله كان له ولدٌ بالطريقة نفسها التي يتكاثر بها الناس، بل باختبار الكلمة المقدَّسة، والثقة بتنوير الروح القدس يمكن أنْ يتَّضح المعنى الحقيقيُّ. فالله صارَ إنسانًا في يسوع المسيح. وبدخوله الأرض في هيئةِ طفلٍ، كان آخذًا عن قصدٍ بشريَّتَنا لكي يخلِّصنا. كما أنَّه قدَّم نموذجًا للعلاقة التي يرغب الله فيها بيننا، نحن أولادَه

وبناتَه الذين تبنَّاهم، وشرح الرسولُ بولس عملَ الاتِّضاع هذا في رسالتِه إلى كنيسة فيلبِّي:

"فليكُن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسةً أن يكون معادلًا لله. لكنَّه أخلى نفسه، آخذًا صورةَ عبد، صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجِد في الهيئة كإنسان، وَضَعَ نفسَه وأطاع حتَّى الموتَ موتَ الصليب. لذلك رفَّعه الله أيضًا، وأعطاه اسمًا فوقَ كلِّ اسم لكي تجثو باسم يسوع كلُّ ركبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترفَ كلُّ لسان أنَّ يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب" (فيلبِّي ٢: ٥-١١).

ألوهيَّة المسيح

كانَ يسوعُ ليس فقط المسيح المنتظر الموعود، بل كان أيضًا خالقَ الكون، في هيئة بشريَّة. وهذا التصريح هو أعظمُ حجرِ عثرةٍ يمنعُ اليهودَ من قبول "يسوع" (Yeshua) بوصفه المخلِّص الموعود. وقد قُدِّمتْ صورة يسوع بوصفه المسيَّا في هذا الكتاب على نحو واضحٍ، والآن ننظر بصورةٍ أعمق إلى حقيقة أنَّ يسوعَ كان حقًّا الله في الجسد.

كما ناقشنا سابقًا، تتعدَّى كلماتُ يسوعَ وأعمالُه مجرَّد كلمات معلِّمٍ جليلٍ أو رسولٍ وأعمالهما؛ فقد قدَّم تصريحاتٍ تتعدَّى مجرَّد الحديث نيابةً عن الله، إذ كان يتحدَّث بوصفه الله نفسه. وهناك أيضًا عبارات مباشرة قالها يسوع تكشف عن هُويَّته أنَّه الله.

"في البدء كان الكلمةُ، والكلمةُ كان عند الله، وكان الكلمةُ الله. هذا كان في البدء عند الله. كلُّ شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء ممَّا كان... والكلمةُ صار جسدًا وحلَّ بيننا، ورأينا مجدَه، مجدًا كما لوحيد مِن

الآب، مملوءًا نعمةً وحقًّا. يوحنَّا شهِد له ونادى قائلًا: «هذا هو الذي قلتُ عنه: إنَّ الذي يأتي بعدي صار قدَّامي، لأنَّه كان قبلي». ومِن ملئه نحن جميعًا أخَذْنا، ونعمةً فوق نعمة. لأنَّ الناموسَ بموسى أُعطِي، أمَّا النعمةُ والحقُّ فبيسوع المسيح صارا. الله لم يره أحدٌ قطُّ. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّرَ»" (يوحنَّا ١: ١-٣، ١٤-١٨).

تخبرنا هذه الآيات أنَّ الكلمة كان الله، وأنَّ الكلمةَ صارَ جسدًا وعاشَ وسطنا. ويُنسب إلى الكلمةِ الضميرُ الشخصيُّ "به" ويقول النصُّ: "وبغيره [أي بغير الكلمة] لم يكن شيء ممَّا كان". وقد عبَّر بولسُ الرسولُ هذا الإعلان بأنَّ المسيحَ كان حقًّا هو الخالق، حيث قال:

"[يسوع] الذي هو صورةُ الله غيرِ المنظور، بِكْرُ كلِّ خليقة. فإنَّه فيه خُلِق الكلُّ: ما في السماوات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكلُّ به وله قد خُلِقَ. الذي هو قبل كلِّ شيء، وفيه يقوم الكلُّ" (كولوسي ١: ١٥-١٧).

هذه الحقيقة ذاتها هي ما أدَّت بالسُّلطات الدينيَّة في النهاية إلى الضغط لجَعْل يسوعَ يُصلب. فقد حُسبَتْ عباراتُه المشيرةِ إلى ألوهيَّته تجديفًا، ومن ثمَّ فهي تستوجب الموت. ولم يكُن هناك أكثر تجريمًا من استخدام يسوع للَّقبِ الذي استخدمه الله حين أعلن نفسَه لموسى: أنا هو [أنا كائن].

"«أبوكم إبراهيم تهلَّل بأن يرى يومي فرأى وفرح». فقال له اليهود: «ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيتَ إبراهيم؟» قال لهم يسوع: «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيمُ أنا كائنٌ». فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا في وسطهم ومضى هكذا»" (يوحنَّا ٨: ٥٦-٥٩).

تشير هذه الفقرات صراحةً إلى يسوع بوصفه الله، كما تصف الأناجيل الأخرى يسوع ضمنيًّا بأنَّه الله بتطبيق فِقراتِ العهد القديم التي تشير إلى الله. فمثلًا، كان يوحنَّا المعمدان يعدُّ طريقَ يسوعَ بينما يصفه العهد القديم بأنَّه يعدُّ الطريق لله (ملاخي ٤: ٥-٦). وبالمثل، وصَف يسوعُ نفسَه بالراعي الصالح الذي سيجمع خرافه (يوحنَّا ١٠: ١٤-١٦) بينما يستخدم العهدُ القديم الوصف نفسه لله (إرميا ٢٣: ٣).[١٣] وقد أُعطي هذا السرُّ الاسمَ اللاهوتيَّ الثالوث، فمعنى ذلك أنَّ هناك إلهًا واحدًا، في ثلاثة أقانيم: الآب، والابن، والروح القدس، ويقدَّم إلى الثلاثة كلِّهم الإجلال والتوقير بوصفهم الله. ويقدِّم قانونا الإيمان القديمان من نيقيَّة وخلقيدونية تفصيلَ اللغة اللاهوتيَّة التي تُستخدم للتعبير عن الكثير من أبعاد هذه الحقيقة.

في نهاية الأمر، الثالوث سرٌّ يكشفه الكتاب المقدَّس، وهو ليس أمرًا غير منطقيٍّ بقدر ما هو فائقٌ للمنطق، أو يعبرُ إلى ما وراء المنطق. فعند التعامل مع إلهٍ كلِّيِّ العلم، غير مخلوق، فيجب أن نقبلَ من البداية أنَّ الله ليس مثلنا (رغم أنَّنا نحمل شبهَه بعدَّةِ طرق). ويجب أن تجعلَنا حقيقةُ أنَّ البرهانَ يشيرُ إلى كِيانٍ غير مخلوق نتَّضع من البداية لقبول ما يقوله الله حاسبين إيَّاه حقيقيًّا، حتَّى وإنْ لم نفهمه فهمًا كاملًا.

يسوعُ ربٌّ

أن ندعوَ باسْم الربِّ هو أعظَمُ امتيازٍ وفرصةٍ أُعطيَتْ للبشريَّة، إذ يحتاج لقب "الربِّ" (Lord) لأنْ يُفهمَ ويكون جليًّا بأنَّه يعني الله، وهو ليس مجرَّد لقبٍ بشري، مثل ربِّ الأُسرة، وهذا التمييز ضروريٌّ. فحتَّى نخلُصَ، علينا الإيمانُ بأنَّ يسوعَ هو ربٌّ.

> "لأنَّك إنِ اعترفتَ بفمك بالربِّ يسوع، وآمنتَ بقلبك أنَّ الله أقامه من الأموات، خَلَصْتَ. لأنَّ القلب يؤمَن به للبرِّ، والفم يُعترَف به للخلاص. لأنَّ الكتاب يقول: «كلُّ مَن يؤمن به لا يُخزى». لأنَّه لا فرق بين اليهوديِّ

واليونانيِّ، لأنَّ ربًّا واحدًا للجميع، غنيًّا لجميع الذين يدعون به. لأنَّ «كلَّ مَن يدعو بِاسْمِ الربِّ يخلصُ»" (رومية ١٠: ٩-١٣).

إنَّ لقبَ "ربّ" في اليونانيَّة هو الكلمة ذاتها المستَخدَمة في العبريَّة لكلمة "الله"، كما نرى في العديد من فقرات العهد الجديد. فبولس ينسب إلى يسوع لقب "ربّ" أو "كيريوس" (Kyrios) في رسائله (لننظُرْ مثلًا رومية ١٠: ٩، ١٣). كما يربط ذلك اللقب مباشرةً بالله في اقتباساته لِفقرات العهد القديم (لننظُرْ مثلًا، رومية ٩: ٢٧-٢٨)، وكانت أيضًا الصلاة الأولى في المجتمع المسيحيِّ هي العبارة الآراميَّة "ماران آثا" (Maranatha)، وترجمتُها "الربُّ [ربُّنا] يأتي [أو آتٍ]". وما دامَتِ العبارةُ بالآراميَّة، فلا بُدَّ أنَّها ظهرتْ مع المسيحيِّين الأوائل في أثناء خدمة يسوع. ولكلمة "مار" المعنى ذاته لكلمة "كيريوس"، وهي مُستخدمة في فِقرات العهد القديم للإشارة إلى الله. والتعبير مستخدمٌ أيضًا في "الديداخي" (Didache)، وهو مجموعةٌ من تعاليم الرسل، يعودُ تاريخُها إلى أواخر القرن الأوَّل. ويستخدم بولس التعبيرَ في رسالتِه الأولى إلى أهل كورنثوس (١كورنثوس ١٦: ٢٢)، حيث تظهر بعد الصيغة العقائديَّة في ١كورنثوس ١٥، ليس بعدها بكثيرٍ. وتصف هذه العقيدة موتَ يسوع بوصفه تسديدًا لثمن خطايا الناس، الذي بِدَوره يعكسُ طبيعتَه الإلهيَّة. ونشأت هذه الأوصاف سريعًا بعد القيامة، الأمر الذي يدحضُ تمامًا الادِّعاءَ أنَّ الإيمانَ بطبيعةِ يسوعَ الإلهيَّةِ تطوَّر بمرور الوقت.

الخلاصة

ما عدا القصصَ المُحدَّدةَ عن يسوع والإعلانات النبويَّة التي أنذرت بمجيئه، هناك لوحة للمسيح الفادي مرسومةٌ في نسيجِ كلِّ سِفر في الكتاب المقدَّس، وليس فقط في الأناجيل. أتذكَّر عندما سمعتُ أحدَ الوُعَّاظِ الأسطوريِّين الذي سار بنا في كلِّ أسفارِ الكتابِ المقدَّس مُظهِرًا لنا كيف تتكلَّمُ كلُّ الأسفارِ عن يسوعَ المسيح. وقال

حينها: "يُرى المسيحُ في الخروج كحملِ الفصح، وفي العدد كعمود السحاب نهارًا والنار ليلًا، وفي يشوع كان هو رئيسَ خلاصنا، وفي القضاة هو معطي الناموس"[١٤]، واستمرَّ وصولًا إلى الخلاصةِ أنَّه في سِفر رؤيا يوحنَّا "ربُّ الأرباب وملك الملوك" (رؤيا ١٧: ١٤).

ويشرحُ الكاتب ديڤيد ليمبو (David Limbaugh) متأمِّلًا في الكلمات التي تحدَّث بها يسوع بعد قيامته إلى اثنين من تلاميذه بينما كانوا يسيرون في الرحلة التي تقدَّر بسبعة أميال (نحو ١١ كم) مِن أورشليم إلى قرية عمواس. في ردِّ يسوعَ على تقاريرَ عن قبره الفارغ، أجابَ تلميذَيه قائلًا: "«أيُّها الغبيَّان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلَّم به الأنبياء! أمَا كان ينبغي أنَّ المسيح يتألَّم بهذا ويدخل إلى مجده؟» ثمَّ ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسِّر لهما الأمور المختصَّة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧).

> "يُنير يسوعُ الكتابَ المقدَّسَ للرَّجُلَين في الطريق إلى عمواس، ويفعل الأمر ذاته مع تلاميذه. والعهد الجديد واضح على نحوٍ مذهلٍ أنَّ يسوع يؤكِّد أنَّ العهدَ القديمَ هو كلُّه عنه، ومن ثمَّ، فإذا كنَّا نؤمن به وبأنَّ كلَّ الكتاب هو موحًى به من الله، كما يعلنُ الكتابُ ذلك، ينبغي لنا أيضًا أنْ نقبلَ أنَّ تركيزَه الوحيدَ هو على مُخلِّصنا. وما إن تقرَّ بذلك، سيزداد فهمُك وإجلالُك للكتاب المقدَّس ازديادًا كبيرًا".[١٥]

بإظهار أنَّ المسيح مُعلَنٌ في كلِّ سفرٍ، فليس هناك شكٌّ أنَّ يسوعَ هو حقًّا الإلهُ الحيُّ في صورةٍ بشريَّة. وحين يُقدَّم إليه الإكرام والإجلال اللذان يستحقُّهما، نأتي حينها إلى الحرِّيَّة الحقيقيَّة، وليس إلى العبوديَّة. وبفهمنا واعتناقنا الكاملَ لألوهيَّة يسوع المسيح، يمكن أن نتحوَّل من مخلوقاتٍ متمركزة على الذات، إلى أبناء وبنات للهِ إلهِ الكون.

٨

المعجزات

برهانُ ما هو فائقٌ للطبيعة

"دائمًا ما يطرحُ اللاهوتُ الغربيُّ هذا السؤال: هل المعجزات ممكنة؟ وهذا يتناول مشكلة التنوير في نظامٍ كَوْنيٍّ مُغلقٍ. لكنْ في جزءٍ كبيرٍ من آسيا، ليس هذا سؤالًا يُطرح؛ فالطبيعيُّ عندنا هو وُجودُ المعجزات، وهي تُختبرُ بانتظام".[١]

هوا يونغ (Hwa Yung)، الأسقف الفخريُّ لماليزيا

كان لحقيقة أنَّ يسوعَ ربٌّ، وأنَّه المسيح المنتظر، تأثيرٌ قويٌّ وعمليٌّ في العالم. فمنذ البداية، نادى الرسلُ بالإنجيل وبرهنوا على حَتْمِ مَوافقةِ اللهِ بإظهارِ سلطانِ اسمِ يسوع. وكانوا يشرحون أنَّ الشفاءاتِ والمعجزاتِ التي كانت تتبعُ وعظَهم لم تكُن بسبب أيَّةِ قوَّةٍ خاصَّةٍ لديهم، بل هي بالإيمان بِاسْم يسوعَ. "وبالإيمان بِاسْمه، شدَّد اسمُه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحَّة أمام جميعكم" (أعمال ٣: ١٦).

ويمكن أن يُنتجَ اليومَ هذا الإيمانُ بِاسْمه النتائجَ ذاتها التي وقعتْ منذ ألفَي عام. وهذه هي الحقيقة التي دفعتني بعد تخرُّجي إلى تكريس حياتي للوصول إلى العالم من أجل المسيح، وحقيقة أنَّ كلَّ شيء مستطاعٌ للمؤمن جعلتني أستيقظ كلَّ يوم ولديَّ إحساسٌ يتوقَّع أمورًا طيِّبة يمكن أن تحدث، بغضِّ النظر عن مدى كآبة الوضع واليأس المحيط به. وقد تضمَّن ذلك إرشادَ الروح القدس حين يتعلَّق الأمر بمشاركة إيماني مع آخرين.

في الحقيقة، بدأتْ رحلتي، بوصفي خادمًا، بلقاءٍ فائق للطبيعة. ولم يحدُثْ ذلك الأمرُ في كنيسة، بل وقعَ بينما كنتُ ألعبُ مباراةً لكرة السلَّة لم تكُن مرتَّبة مسبَّقًا في جامعة ولاية ميسيسيبي. وحينها أرسلَ الروحُ القدس رسالةً إلى ذهني بشأن شابٍّ يلعبُ في ملعبٍ آخر في صالة الألعاب الرياضيَّة. ورغم أنِّي لم أسمع أيَّ صوتٍ، فقد شعرتُ بإحساسٍ مميَّزٍ يومَها- إحساسٍ بأنَّ الله كان يتحدَّث إليَّ بشأنه: "**لقد صلَّى طويلًا من أجل شخصٍ يتكلَّم إليه عنِّي**"، وبدا لي أنَّ هذه رسالةً عليَّ أن أخبره بها. تُذكِّرني هذه الخبرة بمشهدٍ من فيلم "إنَّها حياة رائعة" (It's a Wonderful Life) حين يخبر كلارنس (Clarence) الملاكُ جورج بيلي (George Bailey) (الذي أدَّى دوره جيمي ستيوارت [Jimmy Stewart]) بأنَّه أُرسِل استجابةً له على صلاته. فيجيب جورج: "تبدو لي أنَّك الملاك المناسب لي". كان هذا الشابُّ الذي في الملعب ضخمًا مُرعِبًا، وكان لديَّ بعضُ التخوُّفِ أنَّه لا الرسالة ولا أنا حامل الرسالة سنُستقبَل بوصفنا استجابةَ صلاته، ويا لها من صدمة كانت تنتظرني! فحين استجمعتُ شجاعتي أخيرًا لتقديم نفسي إليه، كان أسلوبي مفاجِئًا وغريبًا بعض الشيء؛ فقد قلتُ له الكلامَ الذي شعرتُ بأنَّ الله يضعُه على لساني، ففوجِئ هو فاتحًا فاهُ حرفيًّا ومستغرِبًا، إذ كان قد صلَّى تلك الصلاة في الليلة السابقة تمامًا.

في بضعة الأيَّام التالية، سلَّم حياته بالكامل إلى المسيح، وتبع العديدُ من أصدقائه قرارَه أيضًا، وكانت تلك اللحظة أشبَهَ ببدايةِ دعوةٍ تستمرُّ طَوالَ العمر للوصول إلى طلَّاب الجامعات. وقد ساعَدَني الله على مرِّ السنين بالعديد من الطرق الفائقة للطبيعة، وذلك بواسطةِ أفكارٍ ثاقبةٍ خاصَّةٍ أشاركُ بها الناس، وأيضًا بواسطة شفاءاتٍ جسديَّةٍ، واستجاباتِ صلواتٍ رُفِعت باسْم يسوع. وأحيانًا كانت تلك الاستجابات تأتي فوريًّا، وفي أوقات أخرى كانت تتجلَّى بعد زمن.

لقد سبَّبتْ تقاريرُ الشفاءاتِ والمعجزاتِ الحادثةِ حول العالم نموًّا هائلًا في الإيمان المسيحيِّ. وبسفري إلى أمم أخرى، بدأتُ أرى وأسمع عن قوَّةِ اللهِ العاملة بطرقٍ مُذهِلة. ففي كوريا الجنوبيَّة، هذه الأمَّة التي كانت في يوم من الأيَّام بوذيَّةً

في أغلبها، كانت تحدثُ هناك صحوةٌ روحيَّةٌ بسبب هذه الإظهاراتِ لقوَّةِ الله. وقد ذهبتُ إلى اجتماع في الخلاء هناك في عام ١٩٨٤م حضره أكثر من مليون شخصٍ، ويُمكن رؤية النموذج ذاته في الصين.

في الصين كان نموُّ المسيحيَّة يحدث لأنَّ ما هو فائقٌ للطبيعة كان مصاحبًا للوعظ بالإنجيل. وقد قدَّر "المجلسُ المسيحيُّ في الصين" (China Christian Council) أنَّ "سببَ نصفِ عدد الحالات الجديدة لقبولِ الإيمان المسيحيِّ في آخر عشرين سنة هو خبراتُ الشفاءِ بالإيمان". وقد اقترحَ باحثون آخرون أنَّ أرقامًا حديثة قد تصل إلى ٩٠٪.[٢]

إنَّ برهان المعجزات لهوَ برهانٌ غامرٌ يصعبُ رفضُه بوصفه أنَّه محضُ مصادفة. وقد رأينا العلامات الفائقة للطبيعة ذاتها حول العالم في الجامعات. وسياق الجامعات هذا هو سياق مهمٌّ؛ لأنَّ الطلَّاب كثيرًا ما يميلون إلى التشكيك. فإذا حدث أمرٌ لا يُفسَّر في إطار الأسباب الطبيعيَّة، سيتحفَّظون على كونه معجزة أو كونه نتيجة مباشرة لعمل إلهيٍّ.

تذكَّر أنَّ كونك مسيحيًّا يعني أنَّك تؤمن بأنَّ المسيح أُقيم من الأموات معجزيًّا، بعد موته بثلاثة أيَّام. ولو كانت هذه هي المعجزةُ الوحيدةُ التي وقعَتْ على مرِّ الزمان، فهي لا تزال كافيةً لوَضْع ثقتنا فيه. لكنْ تشيرُ هذه المعجزة الأساسيَّة إلى حقيقة أنَّ كلَّ المعجزات الأخرى المُسجَّلة في الأناجيل حقيقيَّة أيضًا، وليس فقط المعجزات الجسديَّة المذهلة، بل أيضًا إرشاد الروح القدس وقيادته الفائقة للطبيعة. فكما قال يسوع للرُّسُل: "لكنَّكم ستنالون قوَّة متى حلَّ الروحُ القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كلِّ اليهوديَّة والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال ١: ٨).

بينما ينبغي لإيماننا أن يتأسَّس بالكامل على عملِ يسوعَ المسيح في حياته وموته وقيامته، يجب أن ننفتح إلى عمله في حياة الناس اليومَ أيضًا، فهناك لحظاتٌ

تخترقُ فيها يدُ اللهِ الفائقة للطبيعة حياتَنا ومجتمعاتِنا بطريقةٍ تكون بها شهادةً لا يمكن إنكارُها عن عمله وحضوره المستمرِّ في العالم. ففي وجه المعاناة والألم الغامر في كلِّ مكانٍ حولنا، لم نُترَك دون رجاءِ مساعدته المُدبِّرة. وهذه الخبرات هي السبب الذي يجعلني لا أزال أومن بعد ثلاثين عامًا من الإيمانِ المسيحيِّ بأنَّه "ليسَ شيءٌ غير ممكن لدى الله" (لوقا ١: ٣٧).

تؤمن اليومَ معظمُ البشريَّة بأنَّ المعجزاتِ ممكنةٌ أيضًا، والإيمان بالله يعني الإيمانَ بأنَّه قادرٌ على تغيير الأحوالِ والأحداثِ والأمراضِ والمواقف المستحيلة، بل حتَّى المُلحد يتوقَّفُ أحيانًا ليُعطيَ الله الفرصة لإثبات نفسه بشفاء أحد أحبَّائه أو أصدقائه. وفي الكثير من الأحيان يؤدِّي وجودُ معاناة وألمٍ قاسٍ إلى اقتناع المتشكِّك بأنَّ هناك تسويغٌ لعدم إيمانه، لكنْ حين تحدثُ هذه اللحظات المعجزيَّة، تُنتج في الناس إيمانًا لا يتزعزع. وهدف هذا الفصل هو ترسيخ الإمكانيَّة الفلسفيَّة للمعجزات، وأيضًا الشهادة الكتابيَّة والتاريخيَّة لحقيقيَّتها، والمبادئ التي تعمل بها.

وجود الله هو برهانٌ لما يفوق الطبيعة

أوَّلَ كلِّ شيء، إذا كان الله موجودًا، يكون البعد الفائق للطبيعة حقيقيًّا. لكنَّ الفلسفة الطبيعانيَّة تؤكِّد أنَّ الطبيعةَ هي كلُّ ما في الوجود. وقد تناولتُ هذه الفكرةَ بشمولٍ أكثر في كتابي "الله ليس ميتًا"، وأشرتُ إليها ثانيةً في مقدِّمة هذا الكتاب.

إنَّ برهانَ المعجزاتِ هو برهانٌ غامر، ومن أجل رفْض شهادات الأحداث فائقة الطبيعة، عليك استبعاد إمكانيَّة المعجزات استبعادًا مبدئيًّا. وبكلمات أخرى، من أجل الإيمان بأنَّه ليستْ هناك معجزاتٌ حدثَتْ بتاتًا، على الشخص أن يبدأ بافتراض أنَّه من غير الممكن حدوث المعجزات. وهذا المنطق منطقٌ دائريٌّ، ويهزمُ نفسَه بنفسه من البداية. فعلى العكس، نجدُ أنَّ حُجَّة إمكانيَّة المعجزات هي حُجَّة معقولة منطقيًّا، ويمكن التعبير عنها كالتالي:

- هناك برهانٌ على أنَّ خالقًا غير مخلوقٍ وغير مادِّيٍّ موجودٌ، وهو مسؤولٌ عن إيجاد الطبيعة.
- هذا الخالق (الله) يكون إذًا فائقًا للطبيعة في طبيعته وجوهره.
- يمكن أن يتفاعلَ هذا الخالق الفائق للطبيعة مع عالمنا مُسبِّبًا وقوعَ أحداثٍ معيَّنةٍ بصورةٍ تتعدَّى ما يمكن أن تنتجَه النواميس الطبيعيَّة وحدها.

يدعمُ هذه الحُجَّة أنواعٌ كثيرة من البرهان الذي يشير إلى وجود الله. فمن العِلم، أدرك علماءُ الطبيعيَّات لعقود طويلة أنَّ للكون على ما يبدو بداية، وتبدو قوانين الطبيعة كأنَّها صُمِّمتْ بصورةٍ داعمةٍ لوجود حياة، فلو كانت الجاذبيَّة أكبر أو أصغر قليلًا جدًّا، لما وُجدت الكواكب، وهو ما يجعلُ الحياةَ مستحيلةً. وبالمثل، لكي توجد حياةٌ على الأرض، كان على عددٍ لا يُحصى من التفاصيل أن تُضبَطَ على نحو مثاليٍّ من أجل كوكبنا والشمس والقمر والنظام الشمسيِّ. فمثلًا، تحتاج الأرض لأنْ تكون على البُعدِ الصحيحِ من الشمس، وأن يكون لها معدَّل الدوران الصحيح، والغلاف الجوِّيُّ المناسب. ومن عِلم الأحياء، احتاجَتِ الخليَّة الأولى على الأرض إلى الحمض النوويِّ (DNA)، والذي يحوي تعليماتِ عمليَّاتها وتكاثُرها، والتي تحوي بدَورِها مقدارًا هائلًا من المعلومات، وليسَتِ المعلوماتُ سوى نتاجِ مُصمِّم عاقِل. وتشيرُ كلُّ هذه الحقائق إلى خالقٍ خارج الزمان والمكان، خلَقَ كونَنا وكوكبنا وحياتَنا.[٣]

واحد من أشهر الأمورِ التي تشوِّشُ على المعجزات هو أنَّ الإيمان بالمعجزات يعني أنَّ على المرء رَفْضَ العِلم. غير أنَّ وجودَ قوانينَ طبيعيَّة لا يعني أنَّ خالق تلك القوانين غير قادر على التدخُّل في خليقته. ويرفض بعض الأشخاصِ المعجزاتِ بسبب سوءِ فهمِ ما يحدث، إذ يفترض هؤلاء أنَّ المعجزةَ هي بطريقةٍ ما خرقٌ لقوانين الطبيعة، الأمر الذي يرَونَ أنَّه يتناقض مع الخبرة البشريَّة. غير أنَّه يمكنُنا، بسبب معرفتنا بقوانين الطبيعة، أن نستشعرَ حين يقعُ أمرٌ غريبٌ أو خارج تلك القوانين.

يشرحُ البروفيسور جون لينوكس (John Lennox) أستاذ الرياضيَّات في جامعة أوكسفورد هذا التمييز المهمَّ بالقول:

"الاعتراض الثاني هو أنَّه ما دُمنا نعرفُ قوانينَ الطبيعة، فالمعجزات مستحيلة. لكنَّ هذا الأمرَ ينطوي على مغالطةٍ أخرى؛ فبِفَرض أنِّي وضعتُ اليومَ ١٠٠٠ دولار في غرفتي في الفندق في كامبردج، ووضعتُ ١٠٠٠ دولار غدًا، وبجمْع الاثنين يكون الناتج ٢٠٠٠ دولار، في اليوم الثالث، فتحتُ الدرج لأجد ٥٠٠ دولار فقط. ماذا أقول حينها؟ هل أقول إنَّ قوانين علم الحساب قد انتُهِكَتْ؟ أم أنَّ قوانينَ المملكة المتَّحدة قد انتُهِكَتْ؟"[٤]

كما شرحنا، إنَّ الحُجج ضدَّ إمكانيَّة المعجزات هي حُجج معيبة في صُلبها. ويقعُ البرهانُ في عدَّةِ فئات: البرهان من الكتاب المقدَّس، ومن التاريخ، ومن العِلم.

شهادة الكتاب المقدَّس

"يسوع المسيح هو هو أمسًا واليومَ وإلى الأبد" (عبرانيِّين ١٣: ٨).

كما تَعلَّمنا سابقًا، فإنَّ سجلَّات الأناجيل هي سجلَّات موثوقٌ بها عن حياة يسوع وكلماته. ومع ذلك، يُصرُّ علماء العهد الجديد المتشكِّكون على رفْض أيِّ قصص عن شفاء يسوع للمرضى أو إخراج الشياطين بوصفها قصصًا غير تاريخيَّة، وذلك أوَّليًا بسبب افتراضِهم المسبَّق بعدم إمكانيَّة حدوثها. ومع ذلك، فقد دفع ثِقَلُ البرهان في بضعة العقود الماضية حتَّى بعض أشدِّ المتشكِّكين إلى الاعتراف بأنَّ الأناجيل دقيقةٌ في تصويرها ليسوع بوصفه صانع معجزات ومُخرِجًا للشياطين.[٥]

وكان هذا التحوُّل نتيجةً لإدراك أنَّ قصصَ المعجزات تُحقِّق معاييرَ عديدةً

من معايير الحدِّ الأدنى للحقائق. ففي المقام الأوَّل، تنتشر في أرجاء مختلفةٍ من الأناجيل وسِفر الأعمال. كما أنَّ العديدَ من الأحداث، مثل الإشباع المعجزيِّ، تذكرُها الأناجيل الأربعة. كما تُحقِّق بعض الأمثلة معاييرَ الإحراج، مثل عدم قدرة التلاميذ على إخراج روح شرِّير قبل وُصول يسوع (متَّى ١٧: ١٤-١٦؛ مرقس ٩: ١٧-١٨)، فمَن يكونُ أولئك المسيحيُّون الذين يُلفِّقون قصصًا تجعلُ قادتَهم الأجلَّاء يَبدون بهذا السوء؟ كما تُحقِّق الكثيرُ من القصص معايير التبايُن، فعلى غير عادة المعالجين ومُخرجي الأرواح الشرِّيرة في ذلك الوقت، لم يكُن يسوع يستدعي أيَّة قوَّةٍ أعلى لإجراء شفاءاته وإخراجه للأرواح الشرِّيرة، بل كان يتصرَّف بسلطانه هو. كما أنَّ معجزاته متفرِّدة في حجمها ومعدَّل حدوثها.[٦] علاوةً على ذلك، حتَّى المؤرِّخ يوسيفوس، الذي لم يكُن مسيحيًّا، وصَف يسوع بأنَّه "صانعٌ أمورًا مذهلة"[٧]، بل مثل هذا البرهان أقنع حتَّى ماركس بورغ، وهو متشكِّكٌ متطرِّف، بأنْ يصرِّحَ أنَّ الحقائق "غير قابلة للخلاف عمليًّا أنَّ يسوع كان معالجًا ومُخرجًا للأرواح الشرِّيرة".[٨]

قد يقبلُ النقَّاد هذه القصص على الأقلِّ إلى درجةٍ ما بوصفها أصليَّة، لكنَّهم يحاولون عقلنتَها بوصفها لا تتعدَّى كونَها سوءَ تفسيرٍ للأحداث الفعليَّة؛ فهم يعتقدون أنَّ لكلِّ أوصاف شفاء يسوع للمرضى أو إخراجه للقوى الشرِّيرة تفسيرات طبيعيَّة. مثلًا، يدَّعون أحيانًا أنَّ الناس الذين بدوا كأنَّهم نالوا شفاءً من يسوعَ، ربَّما أقنعوا أنفسَهم بأنَّ حالَهم صارتْ أفضل بسبب قوَّة الإيحاء. لكنَّ مثل هذه التفسيرات صعبةُ التخيُّل بناءً على الطبيعة اللحظيَّة والهائلةِ للشفاءات التي تُناقش؛ إذ كيف لأحدهم، مَن كان مفلوجًا منذ ميلاده، أن يبدأ في السَّير بواسطةِ قوَّة الإيحاء؟

علاوة على ذلك، كما برهنَّا في فصل سابق، نجدُ أنَّ برهانَ القيامةِ هو برهانٌ دامغ. وإذا كانت القيامة حدثت، يكون حينها ما هو معجزيٌّ ممكنًا، بل محتملًا أيضًا. وهكذا يجب أن نحسبَ أنَّ قصصَ المعجزات من العهد الجديد ممكنة أيضًا، الأمر الذي يؤدِّي إلى الخلاصة الواضحة أنَّ هذه المعجزات حدثَتْ فعلًا.

المعجزات على مرِّ التاريخ

حتَّى بعد موت الرسل الأوائل، استمرَّ المسيحيُّون في شفاء المرضى بواسطةِ الصلاة، وإخراج القوى الشرِّيرة كما كان يسوع يفعل. وسَجَّلَ هذه الآياتِ العديدُ من قادة الكنيسة الأولى، فمثلًا، كتبَ القدِّيسُ إيريناويوس في القرن الثاني للميلاد عن الذين يقومون من الأموات باسْم يسوع:

> "[المهرطقون] هم أبعدُ ما يكون...عن القدرة على إقامة الموتى كما أقامهم الربُّ وكما فعل الرسلُ بالصلاة. كما تمَّ في الإخوة في ضَوءِ ضرورةٍ ما، فالكنيسة كلُّها في ذلك المكان الخاصّ، مع تضرُّعاتها المصحوبة بالكثير من الصوم والصلاة، أدَّت إلى رجوع روحِ الميت، وكان هذا استجابةَ صلاة القدِّيسين".[٩]

وكتب القدِّيس أثناسيوس (Athnasius) في القرن الرابع عن صانعي المعجزات المسيحيِّين مِن الأساقفة والرهبان، ونقرأ ممَّا قال: "إليكَ هذا المثالَ، أيُّها المحبوب دراكونتيوس (Dracontius)، فلا تصدِّقْ كلامَ مَن يقولون إنَّ عمل الأسقفيَّة هو فرصة للخطيَّة...فنحن نعرفُ الأساقفةَ الذين يصومون والرهبانَ الذين يأكلون، ونعرفُ الأساقفة الذين لا يشربون خمرًا وأيضًا الرهبان الذين يفعلون ذلك، ونعرفُ الأساقفةَ الذين يصنعون معجزاتٍ، والرهبان الذين لا يفعلون ذلك".[١٠]

وصف أيضًا العديدُ من آباء الكنيسة الآخرين معجزاتٍ تمَّت في وسطهم، بمَن فيهم (مثلًا) القدِّيسون أثناسيوس وأوريجانوس وترتليان ويوحنَّا ذهبيُّ الفم (Chrysostom)، وكان بعضُ القدِّيسين، مثل أغسطينوس (Augustine)، شهودًا على مثل تلك الأحداث. واستخدم العديدُ منهم المعجزات دفاعيًّا للدفاع عن الإيمان المسيحيِّ، وأيضًا لتحدِّي الهراطقة. ووصفت كتاباتٌ قديمةٌ أخرى معجزاتٍ بوصفها دافعًا أوَّليًّا في قبولِ يهودٍ ووثنيِّين الإيمانَ بالمسيح، بل حتَّى أعداء المسيحيِّين أقرُّوا بالقوَّة المعجزيَّة التي أظهروها. وتنوَّعَتِ القواسمُ المشتركةُ ما بين المعجزات على مرِّ تاريخ الكنيسة،

لكنَّ الشهادةَ المتَّسقةَ والموثوقة عن وجودها هي شهادة لا يمكن إنكارُها.

في كتاب "**المعجزات: مصداقيَّة قصص العهد الجديد**" *(Miracles: The Credibility of the New Testament Accounts)*، وثَّق مؤلِّفه كريغ كينر السجلَّات التاريخيَّة للمعجزات على مرِّ التاريخ في كلِّ أنحاء العالم. وقد حدثت بعضٌ من أكثر القصص إدهاشًا في القرن الأخير. فمثلًا، وردَتْ تقاريرُ من العديد من خدمات الشفاء في أوائل القرن العشرين عن آلاف الحالات من الشفاءات المعجزيَّة، بما في ذلك التعافي الفوريُّ من السرطان، والعظام الكسيرة، والعمى، وأمراض أخرى لا تُحصى. وقد وُثِّقتِ العديدُ من الحالات توثيقًا طبِّيًّا.

وقد جمَّع كينر أيضًا قصصَ معجزاتٍ حادثةً في الكثير من أنحاء متفرِّقة من العالم في العصر الحاضر. وكانت بعضُ الإحصائيَّات عن معدَّلِ حدوثها في الكثير من المناطق إحصائيَّاتٍ مذهلةً، فقد أجرى منتدى بيو فورَم (Pew Forum) في عام ٢٠٠٦ مسحًا عن اختبارِ المعجزاتِ في عشر دول، وأشارت النتائجُ إلى أنَّ عدد المسيحيِّين الذين اختبروا معجزةً كان بالتقريب مئتي مليون، فضلًا عن آلاف الذين اعتنقوا المسيحيَّة من أديانٍ أخرى بعد اختبارهم يسوعَ المسيحَ في حلم. وكانت الكثير من أوصاف الأحلام متماثلة، رغم أنَّه لم يسبقْ لَمن رأوا الحُلُمَ أن تقابَلوا قطُّ.

"مناهضٌ للمعجزات"- الردُّ على هيوم (Hume)

كما ذُكِر سابقًا، يرفض الكثير من العلماء والفلاسفة قصص المعجزات رفضًا فوريًّا بسبب إنكارهم وجود أيِّ شيء يتجاوزُ الطبيعة، بل كثيرًا ما يعلِّلون رأيَهم بالاحتكام إلى الحُجج التي قدَّمها فيلسوف القرن الثامن عشر ديڤيد هيوم (David Hume) ضدَّ وجود المعجزات. ولتقديم نسخة موجزة من حُجَّة هيوم، أشير إلى التالي: يبدأ هيوم بالتصريح أنَّ الخبراتِ اليوميَّةَ لكلِّ شخصٍ تشير إلى أنَّ كلَّ الأحداثِ محكومةٌ بقوانين

طبيعيَّة. وهذه الخبرة موحَّدة حتَّى إنَّ أيَّ ادِّعاءٍ بأنَّ أمرًا ما حدثَ فيما يبدو كأنَّه انتهاكٌ لتلك القوانين (أيْ أمر معجزيٌّ) ينبغي التعامل معه بأعلى درجات التشكُّك، كما ينادي بأنَّ الشهودَ على المعجزات هم أمِّيُّون غير متعلِّمين ويؤمنون بالخرافات، لذا لا يمكن الثقة بشهادتهم، ومن ثمَّ، أيُّ تفسيرٍ طبيعيٍّ للحدث، مهما كان غير محتملٍ، يكون ذا أفضليَّة على التصديق في معجزة، والتي هي مستحيلة فعلًا.

إنَّ المشكلة مع حُجَّة هيوم، وذلك كما أشار الكثير من الفلاسفة، هي في استخدامه لمنطقٍ دائريٍّ، إذ يفترض من البداية أنَّ الخبرة اليوميَّة لكلِّ الناس هي أنَّ قوانين الطبيعة وحدها تُملي كلَّ ما يحدث، وأنَّ الشهادة الوحيدة عن أحداث تبدو كأنَّها تنتهك تلك القوانين تأتي من أناسٍ مؤمنين بالخرافة وغير متعلِّمين؛ لأنَّهم لو كانوا محلَّ ثقة، لما ادَّعوا مطلقًا أنَّهم شهدوا أمرًا معجزيًّا، فهو أمرٌ مستحيلٌ بكلِّ وضوح. ثمَّ يخلُص إلى أنَّ المعجزات لا تحدث بسبب نقصان البرهان "الموثوق". باختصارٍ، يضربُ هيوم بكلِّ البرهان على المعجزات عُرضَ الحائط بافتراضه أنَّ أيَّ برهانٍ مثل هذا لا يأتي إلَّا من أناسٍ غير موثوق بهم؛ فالناسُ غير الموثوق بهم هم فقط مَن يدَّعون حدوثَ أمرٍ مستحيلٍ. ولإيجاز الأمر أكثر، ينادي هيوم بأنَّ المعجزاتِ لا تحدث، لأنَّه يعرف أنَّ المعجزات لا تحدث.

يقدِّم نقدًا مشابهًا لديڤيد هيوم الفيلسوف وليَم لين كريغ الذي يلخِّص الفيلسوف جوتفريد لَس (Gottfried Less):

> "إنَّ الحُجَّة الرئيسيَّة لهيوم هي أنَّ الشهادة على المعجزات تقف في مواجهة خبرة العالم والقرون. وردًّا على ذلك، ينادي لَس بالآتي: (١) لأنَّ الطبيعة هي النظام الذي وضعه الله بالإرادة الحرَّة، تكون المعجزة على درجة الإمكانيَّة نفسها مثل أيِّ حدث، ومن ثمَّ يمكن تصديقُها تمامًا مثل أيِّ حدث. (٢) لا يمكن دحضُ شهادةٍ عن حدثٍ ما بالخبرات والمشاهدات، وإلَّا لما كان لنا تسويغٌ لتصديقِ أيِّ شيء يحدث خارج خبرتنا الحاضرة. ولن يكون ممكنًا

أن يحدُثَ أيُّ اكتشاف. (٣) ليس هناك تعارضٌ ما بين الخبرة والمعجزة المسيحيَّة، فالمعجزات هي أحداث مختلفة (Contraria) عن الخبرة عمومًا، لكنَّها ليست أحداثًا متعارضة (Contradictoria) مع الخبرة عمومًا".[١١]

كما هو الأمر مع القيامة، إذا لم ينكِرِ الشخصُ وجودَ الله من البداية، يكون وجودُ المعجزاتِ حينئذٍ ممكنًا، والأقوى من ذلك أنَّه يكونُ متوقَّعًا. مشكلةٌ ثانية في حُجَّة هيوم تتعلَّق أيضًا باستخدامه للبرهان، إذ يضع مقاييسَ عاليةً على نحو استثنائيٍّ لتقييم ادِّعاءات المعجزات. ورغمَ ذلك، فقد قُدِّمت إليه في أيَّامه حالاتٌ تتحقَّقُ فيها معاييرُه. وردًّا على ذلك، أضاف ببساطةٍ معاييرَ جديدةً أو اقترحَ بدائلَ على نحوٍ بالغٍ من عدم الاحتماليَّة، وكان يردُّ على البرهان على نحو مشابهٍ للأسلوب الذي يردُّ به المتشكِّكون اليومَ، وذلك بالإنكار والإيمان الأعمى بالفلسفة الطبيعانيَّة. ويعلِّق كينر على ذلك قائلًا:

"يفترض هيوم مسبَّقًا مقياسًا عاليًا للدليل حتَّى إنَّ أيَّ برهانٍ سيُستبعدُ مقدَّمًا في أغلب الأحيان. بمعنى أنَّ هيوم يصيغ رأيَه على نحوٍ يستحيل معه إثبات خطأه، ومن ثمَّ يكون رأيُه هذا غير قابل للدِّفاع عنه لغرض الخطابات العامَّة بالمقاييس التقليديَّة للمنطق. وللأسف، تظلُّ هذه الصيغة من الحُجج- صيغة «لو هذا الوجه من العملة أفوز أنا، ولو الوجه الآخر تخسر أنت»- محقِّقةً لانتشارٍ واسعٍ حتَّى اليوم، حتَّى في ما يتعلَّق بالمعجزات. مثلًا، منذ عقدَين تقريبًا سألتُ أستاذًا جامعيًّا رافضًا لبرهان المعجزات، ما إذا كان سيؤمن بالنشاط الفائق للطبيعة لو أقيم شخصٌ ما من الموت أمامه. فكان ردُّه، في اتِّساقٍ مع منهَجِه، أنَّه لن يؤمن. من المذهل أنَّ بعض الأشخاص يشكُّون في أنَّ هيوم نفسَه، مع كونه تجريبيًّا، كان ليصرَّ أنَّ الشخص لم يقُم من الموت حتَّى لو شاهده هو بنفسه".[١٢]

إنَّ افتراض هيوم أنَّ الناس لا يختبرون الأمور المعجزيَّة على نحو اعتياديٍّ ينطبق فقط على سياقه الثقافيِّ. والأكثر من ذلك، تُحقِّق الكثير من حالات المعجزات أكثر معايير هيوم ذاتِ المطالِبِ المتشدِّدة، في جودة توثيقها العلميِّ.

البرهان العِلميُّ على المعجزات

تُختبَر اليومَ الكثير من المعجزات حولَ العالم في مناطق ليس فيها أفرادٌ مدرَّبون طبِّيًّا، ولا فيها معدَّات طبِّيَّةٌ أيضًا. وهو ما يلزم لتَوثيقٍ عِلميٍّ مناسب، ويُظهرُ الله قوَّته غالبًا وسطَ أناسٍ لديهم أدنى تعرُّضٍ للتعليم المسيحيِّ، الأمر الذي يتصادف اليومَ ويمثِّل المناطق الأقلَّ تأثُّرًا بالعَولمة. ورغم ذلك، فقد أمضى بعضُ المتخصِّصين في المجال الطبِّيِّ الوقتَ لجَمْع السجلَّات اللازمة، ويضمُّ كينر إشاراتٍ عدَّة إلى حالاتٍ كان لدى الأطبَّاء توثيقٌ شامل عنها، بما في ذلك صورُ أشعَّة مقطعيَّة أو صور أشعَّةٍ سينيَّة قبل الشفاء وبعده.

ينادي المتشكِّكون أحيانًا بأنَّ مثل هذه البيانات ليست مقنعةً بالكامل، فبعض الأمراض الخطيرة تنخفضُ حدَّتُها أحيانًا بصورةٍ عفويَّة، ومع ذلك، فبعض الحالات المسجَّلة تتضمَّن حالاتٍ تعافَتْ بالكامل، وحدث ذلك بعد الصلاة مباشرةً. كما نتجت مجموعةٌ كبيرةٌ من حالاتِ التعافي عن خدمةِ شخصٍ واحدٍ، مثل كاثرين كلمان (Kathryn Kuhlman)، والصُّدَف قليلة جدًّا أنْ يصلِّيَ شخصٌ واحدٌ من أجل أناس عدَّة، فتتعافى هذه النسبة الكبيرة منهم على الفَور وعلى نحوٍ غير مرجَّح. إذًا التفسير المعقول الوحيد هو أنَّ هذه الأمثلة هي تدخُّلاتٌ حقيقيَّة فائقة للطبيعة.

بل هناك مجموعة من العُلماء المسيحيِّين نشروا مقالةً عن الشفاء الناتج عن خدمة هايدي بيكر (Heidi Baker)، ووثَّقت الدراسةُ تأثيرَ حملةٍ شفائيَّةٍ حيث كانت د. بيكر وزملاؤها يُصلُّون من أجل تعافٍ للسَّمع والإبصارِ، واختبر الباحثون سمعَ الحاضرين وإبصارَهم قبل الصلاة وبعدها، وكان تقدُّم السمع والنظر في الكثير من المشاركين

كبيرًا حتَّى إنَّ الفروق لم تكُن لتفسَّرَ بأيِّ شيء سوى استجابة الله الصلاة.[١٣]

لماذا لا يُشفى الجميع؟

كما ذُكر، عدد الناس القائلين إنَّهم رفعوا صلواتٍ محدَّدةً ونالوا استجاباتٍ هو بمئات الملايين. وفي يوم أحدٍ عاديٍّ في كنيستنا بوجود مئات الأعضاء، لو سألتُ الحاضرين أن يجيبوا برفع الأيدي مَن يعرفون دون أدنى شكٍّ أنَّ له صلواتٍ محدَّدة استُجيبت، فسيرفع كلُّ الحاضرين تقريبًا أيديهم. ويفترض المتشكِّكون فورًا أنَّ اختباراتهم هي مجرَّد مصادفاتٍ تُعزى إلى الله، أمَّا الأمرُ لأولئك الذين اختبروها، فهي حقيقيَّة، وهناك الكثير من التوثيق التاريخيِّ والعِلميِّ الذي يقول إنَّ الكثيرَ منها صحيح.

ومع ذلك يبقى سؤال ملاَنٌ بالتحدِّي: لماذا تبدو الكثير من الصلوات، لا سيَّما من أجل شفاء، وكأنَّها تذهب من دون استجابة؟ تذكَّر أنَّ تركيز هذا الكتاب هو على برهان يسوعَ التاريخيِّ في الأناجيل، وإيمانُنا هو بيسوع المسيح وموته ودفْنه وقيامته، وتلك الأحداث حقيقيَّة سواءٌ استجابَ الله صلاتي الأخيرة التي رفعتُها أم لم يستجب. غير أنَّ السؤالَ المطروحَ يظلُّ يمثِّل ثِقَلًا على قلوب الكثير من المسيحيِّين.

ويطرحُ أحدُ المواقع الإلكترونيَّة الإلحاديَّة السؤال بصورةٍ مختلفةٍ قليلًا: "لماذا لا يشفي الله مبتوري الأطراف؟" وقد صيغَ هذا السؤال كما لو أنَّه الحُجَّة النهائيَّة بأنَّ الله غير موجود، ومن ثمَّ لا يقدرُ على استجابة الصلوات. والإجابة عن هذا السؤال، الذي يبدو كأنَّه مأزق، هي إجابةٌ مباشرةٌ بسيطة: كيف تعرف أنَّه لم يشفِهم؟ مجرَّد أنَّك لم ترَ الشفاء قطُّ لا يعني أنَّه لم يحدث.

لقد تحدَّثتُ إلى أناسٍ شهدوا مباشرةً قصص معجزات في أماكن مثل الهند وأفريقيا، ويُصرِّحون بأنَّهم رأوا أطرافًا تُستردُّ، وتجاويف عيون فارغة تصير بصيرةً، بل حتَّى موتى يقومون ثانيةً إلى الحياة. وفورًا، يُصدرُ المتشكِّكون توبيخًا، رافضين

تصديقَ مثل هذه القصص، لكنَّ عدم تصديقهم لا يعني أنَّ هذه المعجزات لم تحدث، فقد وُوجِه هذا النوعُ من التوجُّه في سِفر الأعمال، بعد وقوعِ الكثير من المعجزات البارزة، وكانت المدن تضجُّ بهذه التقارير:

"فانظُرُوا لئلَّا يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء: «انظُرُوا أيُّها المتهاونون، وتعجَّبوا واهلِكوا! لأنَّني عملًا أعملُ في أيَّامكم. عملًا لا تصَدِّقون إنْ أخْبَرَكُم أحدٌ به»" (أعمال الرسل ١٣: ٤٠-٤١).

والسؤال الحقيقيُّ الذي يطرحُه المتشكِّكون هو: "لماذا لا يشفي الله كلَّ الناس في كلِّ مكان عند الطلب؟" بل يسألون أكثر من ذلك قائلين: "لماذا يوجد ألمٌ ومعاناة أصلًا؟"

إنَّ إجاباتِ الصلاة، مثل الشفاءات الإلهيَّة، هي علاماتٌ على افتداء الله النهائيِّ للخليقة. وهو ما يشير إلى حقيقة يسوع (يوحنَّا ٢٠: ٣٠-٣١)، لكنَّ التجديد الكامل سيأتي فقط في نهاية التاريخ حين يعود يسوع. فنحن الآن نعيش في عالم ساقط، لذا فحتَّى أتقى المؤمنين سيختبرون الألم والمعاناة والمرض. غير أنَّنا نعلمُ أنَّ الله سيصحِّح كلَّ الأمور في النهاية، أمَّا في اللحظة الحاليَّة، فلا يشفي الله كلَّ مريض، لكنَّ ذلك اليوم سيأتي بالتأكيد حين يعود السيِّد المسيحُ ونكون جميعًا في محضره. فالآن هو يقدِّم علامات كافية ليقنعَ الناس الذين يرغبون حقًّا في معرفة الحقِّ، لكنَّها ليست علاماتٍ أكثر من اللازم كما لو كانت لإجبار الناس على الإيمان، إنْ لم تكُن لديهم الرغبة في فعل ذلك. فكما قال عالِم الرياضيَّات وفيلسوف القرن السابع عشر بلايز پاسكال: "لقد قدَّم [الله] علامات عن نفسِه، مرئيَّة لأولئك الذين يطلبونه، وليست مرئيَّة لأولئك الذين لا يطلبونه، فهناك نورٌ كافٍ لأولئك الذين يرغبون في أن يروا فقط، وضبابيَّة كافية لأولئك الذين يحوزون رغبة مخالفة".[١٤]

يمكن أن يبتهجَ المسيحيُّون اليومَ من أجل أولئك الذين يختبرون شفاءاتٍ واستجاباتِ صلواتٍ مذهلةً. لكنْ يمكننا أيضًا تحمُّل التجارب والمعاناة، عالمين أنَّ يومًا ما سينزعُ الله كلَّ شرٍّ ومعاناة من العالم، وسيقيمنا لنُمضيَ الأبديَّة في محضره.

معجزاتُ العصر الحديث

إنَّ قصصَ الشفاءات والمعجزات الأخرى حول العالم غزيرةٌ ومذهلةٌ أيضًا. وقد أرَّختِ الكثيرُ من الكتب شهاداتٍ عن هذه الأحداث، وقدَّمتْ تأكيدات مباشرة. لكنْ بغضِّ النظر عن مقدار البرهان والشهادة الشخصيَّة المقدَّمة، فإنَّه لا تزال هناك دائمًا مساحةٌ في الذهن المتشكِّك لرفْض التقارير من هذا النوع، مع أنَّ الخبرات الموصوفة أقنعَتِ المتلقِّين بأصالتها، بل حقَّق الكثير منها أكثر مطالب الاستقصاء العِلميِّ صرامةً، وإليكم بعضَ الأمثلة.

الشفاءاتُ والمعجزات

لقد وثَّق مؤرِّخون وباحثون ومهنيُّون طبِّيُّون أعدادًا لا تُحصى من حالاتِ المعجزات المذهلة. وإليكم عيِّنةً صغيرةً من التي جمَّعها كريغ كينر وآخرون. ومِحور الحالة الأولى ولدٌ اسمه أونيل (Onel) في پلاسيتاس (Placetas)، ڤيلا كلارا (Villa Clara) في كوبا. كانت لدى أونيل عِظامٌ مشوَّهة في قدمَيه، وأظهرَتِ الأشعَّة السينيَّة أنَّ العِظامَ السُّفلى صارتْ بالتدريج أشبَهَ بالرمل. وكان من المتوقَّع أن يفقد قدرتَه على السير في غضون سنة. في تلك الأثناء، صلَّى من أجل أونيل المُبشِّرُ الزائر أوتو دي لا توري (Otto De La Torre)، وخضعَتْ قدماه للأشعَّة السينيَّة لاحقًا في ذلك الأسبوع، وأظهرتِ الأشعَّة الجديدة أنَّهما طبيعيَّتان بالكامل. وكان الطبيب مقتنعًا في البداية أنَّ الأشعةَ تبدَّلت، لكنَّه أكَّد لاحقًا أنَّ تشخيصَه كان سليمًا، ولا تزال أسرة أونيل تحتفظ بالصورتَين الإشعاعيَّتَين ما قبل وما بعد.[١٥]

أصيبت إلين پانيلو (Elaine Panelo) من الفيلبِّين بسرطان الكبد وذهبت إلى مشفى محلِّيٍّ لطلبِ المساعدة. وحدَّد أطباؤها أنَّ السرطان متقدِّمٌ لدرجة لا تسمح بالعلاج الطبِّيّ. واستمرَّت حالتُها في التدهور، ثمَّ ماتَتْ في النهاية. ثمَّ أُخِذَتْ إلى المشرحة، وقرَّرت قسِّيسةٌ معمدانيَّةٌ الصلاة من أجلها، رغم عدم تيقُّنِها إنْ كانت تؤمنُ بالشفاء الإلهيِّ. بعد لحظاتٍ من الصلاة، بدأ رأسُ إلين يتحرَّك، وعادت بالكامل إلى الحياة. وبدت أعراض السرطان كأنَّها ضعيفة. عادت إلين في النهاية إلى إحدى طبيباتها الأصليَّات، والتي رفضت تصديق أنَّها الشخص نفسه. وبعد أن اختبرت السجلَّات الأصليَّة، أقنعَتْها الطبيعةُ المذهلة للشفاء، وآمنَتْ هي وزوجُها بالمسيح.[١٦]

مثلٌ أخير هو إحدى الكثير من قصص المعجزات التي بحث فيها الدكتور ريتشارد كاسدورف (Richard Casdorph)، وهي القصص التي يوثِّقها مع صور الأشعَّة السينيَّة في كتابه "**المعجزات**" *(The Miracles)*.[١٧] كانت ماريون (Marion) قد شُخِّصت بمرض التصلُّب المتعدِّد (Multiple Sclerosis) وكانت حالتها تتدهور باستمرارٍ حتَّى إنَّها لم تكُن تقوى على الأكل، كما صارَ ساعدُها مُشوَّهًا. ذهبتْ إلى اجتماع شفاءٍ، وشعرَتْ هناك بأنَّها نالَتِ شفاءً، لا سيَّما أنَّها وجدتْ نفسها قادرةً على الوقوف والسَّيْر للمرَّة الأولى في سنوات. وقد أكَّد أحدُ الأطبَّاء لاحقًا أنَّها شُفِيَت تمامًا، بما في ذلك الساعد المشوَّه. وبعدها آمنَت هي وزوجها بالمسيح.[١٨]

خبرات الموت الوشيك

فئةٌ أخرى من البرهان الداعم لوجود ما هو فائق للطبيعة هي خبرات الموت الوشيك أو الاقتراب من الموت (Near Death Experiences). فقد صرَّح الآلاف من الناس بأنَّهم ظلُّوا واعين بعد دخولهم حالةَ الموت الوشيك، ويروي الكثيرون عن زيارةِ بيئةِ الآخرة، حيث يلتقون أقاربَ رحلوا، وكائناتٍ فائقةً للطبيعة. وفي بعض الحالات، كان النشاط العقليُّ للمرضى متوقِّفًا، لكنَّهم استطاعوا تذكُّر تفاصيلَ حيويَّةٍ عن

أحداثٍ في محيطهم. ولبعض هؤلاء، كانت التفاصيل عديدة جدًّا ومُحدَّدة جدًّا حتَّى إنَّ التفسير الممكن الوحيد هو أنَّ وعيَ المرضى تركَ أجسادَهم.

وإحدى أكثر الحالات إذهالًا كانت تتعلَّق بامرأة في سنِّ الخامسة والثلاثين. ففي أثناء عمليَّتها، تحدَّدتْ ضرورةُ إجراءِ عمليَّة طبِّيَّة ثانويَّة استثنائيَّة تُعرَفُ باسْم "التوقُّف التامّ" (Standstill)، فسُحب الدمُ من رأسها، وبُرِّد جسمُها إلى نحو ١٥ درجةً مئويَّة، وأوقِف قلبُها عن قصدٍ، وتسطَّحت أمواجُ المخِّ بالكامل، وشهد متخصِّص القلب مايكل سابُم (Michael Sabom) أنَّ مخَّها كان ميتًا، كما وضَّحت ذلك ثلاثة اختبارات طبِّيَّة مختلفة- تخطيط صامتٌ لأمواج الدماغ، ولا استجابة من جذع الدماغ، وغياب للدِّم في المخّ- وكانت في هذه الحالة مدَّة أكثر من ساعة. وبعد الجراحة رَوَتْ مجموعةً مذهلةً من التفاصيل الخاصَّة ببضع نقاط، بما فيها الأحداث نفسها وتوقيتاتها، والتي أكَّدَتْها لاحقًا السجلَّات الطبِّيَّة المُسجَّلة في أثناء العمليَّة. ثمَّ صرَّحت بأنَّها زارت مكانًا سماويًّا حيث كانت لها نقاشات مع العديد من الأقارب الراحلين. على مقياس خبرات الموت الوشيك الذي طوَّره الطبيب النفسيُّ بروس جرايسون (Bruce Greyson) من جامعة ڤيرجينيا، كان قياسُها ما سمَّاه سابُم "عمقًا مذهلًا" لخبرة الموت الوشيك.[١٩]

خبرتي الشخصيَّة

شهدتُ شخصيًّا أعمالَ شفاءٍ عدَّة فائقةٍ للطبيعة، أو استجاباتِ صلواتٍ كانت دون شكٍّ نتيجةَ تدخُّلٍ إلهيٍّ. فقد رأيتُ عميانًا يبصرون وصُمًّا يسمعون بعد الصلاة، وشاهدتُ بعينيَّ بينما بدأ عُرجٌ أو مُقعدون يسيرون أيضًا. وأكثر الخبرات شيوعًا هي رؤية الناس تتعافى من مرضٍ أو حادثٍ بعد أن يكون الأطبَّاء قد فقدوا الأمل، بل حتَّى بعض أفراد عائلتي تعافَوا معجزيًّا من مرضٍ خطير.

في الوقت نفسه، هناك العدد نفسه من الحالات، إنْ لم يكُن أكثر، حيث لا

يحدثُ شفاءٌ أو معجزة. ففي العديد من المرَّات حين كنتُ أنا أو آخرين نصلِّي، لم يكُنِ المريضُ يُشفى، بل كان يموتُ. ومثل تلك اللحظات تجعل الشخص يتراجع ويشعر بإغراء التوقُّف عن الصلاة من أجل الآخرين لكي يتجنَّبَ إحباطَ عدم رؤية صلاته مستجابة. وفي أوقاتٍ مثل هذه، أذكِّر نفسي أنَّ مهمَّتي ليست شفاء أيِّ شخصٍ، ولا توجيه النقد؛ لأنَّ المواقفَ لا تعمل دائمًا بالشكل الذي كنتُ أرغب فيه؛ فالفشل الحقيقيُّ هو عدم الصلاة في المقام الأوَّل، وعادةً لا يحدث أيُّ شيء إذا لم نفعل أيَّ شيء.

إنَّ اقتناعي هو أنَّ الوقتَ ليس متأخِّرًا للمجيء إلى معرفة المسيح بوصفه الشافي والمخلِّص، فكلُّ ما يتطلَّبه الأمر هو القليل من الإيمان، بحجم حبَّة الخردل، وستتحرَّك جبالٌ. وقد أُعطِي كلُّ شخصٍ هذا المقدار من الإيمان، وكلَّما خطونا خطوةً بالإيمان، رأيناه ينمو أكثر وأكثر.

دون شكٍّ، تحدثُ أعظمُ معجزةٍ حين يضعُ شخصٌ ثقتَه في المسيح ويولد ثانيةً وينتقلُ من ملكوت الظلمة إلى ملكوت الله. وقد اختبرتُ أنَّ المقصودَ في النهاية من كلِّ الآيات الأخرى والظواهر الفائقة للطبيعة التي يصنعها الله هي أن يُحدِثَ هذا النوع من تغيُّر القلب.

العيْش بالإيمان

قبل تَرْك هذا الموضوع، أحتاج إلى تقديم بعض الأفكار العمليَّة لكيفيَّة التعامل مع هذه الفكرة القويَّة لحقيقة إلهٍ يصنع معجزاتِ اليوم، والتوازن للكيفيَّة التي ينبغي بها إذًا أن نحيا يوميًّا. فمهما بدا أنَّ المعجزاتِ حقيقيَّة، نحن لسنا مدعوِّين لنحيا بالمعجزات، بل بالإيمان.

معنى هذا أنَّنا نحيا في إيماننا بالمعجزات، لكنَّنا لا نؤسِّس حياتنا على ما إذا كانت ستحدث حين نريدُها أن تحدث. في الحقيقة، معنى أن نعيش بالإيمان هو أن نثق بالله

وبحقّه بغضّ النظر عن أحوالِنا؛ فالإيمانُ هو تصديقُ الله بسبب البرهان الموضوعيّ الغامر الذي قدّمه حقًّا، وليس الخبرات الشخصيَّة لما حدث لنا مؤخَّرًا. "لأنَّ فيه معلَنٌ برُّ الله بإيمان، لإيمان، كما هو مكتوب: «أمَّا البارُّ فبالإيمان يحيا»" (رومية ١: ١٧).

يؤمنُ كثيرون بالفكرةِ المغلوطةِ أنَّ كونَ الشخص مؤمنًا يعني أن يعيشَ تدفُّقًا مستمرًّا للمعجزات، معجزةً وراء أخرى، وبمجرَّد أن تحضرَ مشكلةٌ أو مأساةٌ في حياتنا، نخلُصُ إلى أنَّ الله هجرَنا أو أنَّنا فعلنا أمرًا خاطئًا. لكنّي أجد تعزيةً في حقيقةِ أنَّ العظماء والعظيمات في الإيمان بالكتاب المقدَّس كان عليهم مواجهة أوقاتٍ بدا فيها كأنَّ الله غير موجود، لكنَّهم كانوا يخدمون الله بأمانةٍ بغضِّ النظر عن أحوالِهم، وكان الرسولُ بولس يعرفُ ذلك جيِّدًا، فمع أنَّه رأى يسوعَ وأجرى العديد من المعجزات، فإنَّه عانى كثيرًا بسبب إيمانه. وحين خطَّ تلك الآية المُلهمة، "أستطيع كلَّ شيء في المسيح الذي يقوّيني" (فيلبّي ٤: ١٣)، كان بالفعل في السجن، وكانت هناك سلسلة تطوِّقُ رِجلَه.

بينما تخطو إلى الأمام في حياة الإيمان، من المهمّ أن يبقى تركيزُك على المسيح وعلى كلمته؛ لأنَّك إذا نظرتَ حولَك إلى كلِّ الأوضاعِ المتقلِّبة غير اليقينيَّة، فقد تميل إلى الإحساس بأنَّك مغمورٌ. وفي أوقات كهذه، تذكَّرِ الرسولَ بطرس حين خطا خارج المركَب ليحاولَ السَّيْر على الماء، إذ بدأ يغرق حين ركَّز على الريح والأمواج، لكنَّه انتصب حين سعى إلى الوصول إلى يدِ يسوع. فالسرُّ وراء عدم الاستسلامِ لتقاذُفِ الأمواج هو في قرارك أنْ تعيشَ حياتك بمبادئ الكتاب المقدَّس مثبِّتًا عينَيك على يسوع.

"لذلك نحن أيضًا إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كلَّ ثقل، والخطيَّةَ المحيطة بنا بسهولة، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع" (عبرانيِّين ١٢: ١-٢).

الخلاصة

إنَّ الفرضيَّةَ المركَزيَّة في هذا الفصل هي أنَّه ما دامَ الله حقيقيًّا، فالمعجزات حقيقيَّة أيضًا.

إنَّ وجودَ خالقٍ فائقٍ للطبيعة يعني أنَّ البعدَ الفائق للطبيعة موجودٌ، ومن ثمَّ فإمكانيَّة المعجزات موجودة أيضًا. وقد صارتْ هذه الحقيقة أوضح ما يكون حين صارَ الله إنسانًا في يسوع المسيح، وأظهرَ سُلطانًا على المرض والشياطين والطبيعة، ثمَّ قام من الأموات، وهو ما أكَّد هُويَّته بوصفه ابنَ الله، وقدَّم دليلًا نهائيًّا أنَّ حدثًا فائقًا للطبيعة حصلَ فعلًا.

ونحن مدعوُّون، بوصفنا مؤمنين بالسيِّد المسيح، لأن نبشِّر بالخبر السارِّ لهذه القيامة من الأموات، وبالرجاء الذي يأتي من معرفة وجود الله. كما نذكِّر المؤمنين أيضًا أنَّ الله يهتمُّ بنا وبعالمنا، وأنَّه وعدَ أن يتصرَّف نيابةً عنَّا بينما نصلِّي ونسعى إلى الوصول إلى الآخرين باسْمه المجيد. في الفصلَين الأخيرَين سننظر عمليًّا إلى تعلُّم تبعيَّة يسوع، والنموِّ في إيماننا، وأن نصيرَ قادرين على السعي إلى الوصول إلى الآخرين بثقةٍ وفاعليَّة. لنبدأْ معًا، فليس هناك وقت نضيِّعه!

٩

تبعيَّةُ يسوع

تلبيةُ الدعوة إلى التلمذة

"التلمذة علاقةٌ بالله أوَّلًا، ثمَّ أحدُنا بالآخر".[١]

جُوِي بونيفاسيو (Joey Bonifacio)

إنَّنا نعيش في عالمٍ منكسرٍ. فبغضِّ النظر عن المكان الذي تعيش فيه أو بصرفِ النظر عن عمرك أو خلفيَّتك العرقيَّة، يكونُ ألمُ الحياة هائلًا. وهناك حاليًّا أكثر من مئةِ نزاعٍ مسلَّحٍ في العالم[٢]، وتهدِّد فيروسات مثل إيبولا بزوال العالم (في عام ١٩١٨م، مات بسبب وباء الإنفلونزا أكثر ممَّن ماتوا في الحرب العالميَّة الأولى). وهناك كذلك ما يسمِّيه بعضُ الناس "معركة هرمجدون" اقتصاديَّة تلوح في الأفق، فضلًا عن "معركة هرمجدون" حقيقيَّة حرفيَّة كما يصفُها الكتاب المقدَّس. باختصار، لم يكُن كوكبنا، وهو ضئيل الحجم جدًّا نسبةً إلى الكون، على هذا القدر من التعرُّض للتدمير الذاتيِّ مثلما هو الوضع الآن.

ودون شكٍّ، فإنَّ أحَدَ أكثر التهديدات المشؤومة والمقلقة التي نواجهها حاليًّا هو تهديدُ الإرهاب. وإذا كنتَ تابعًا للسيِّد المسيح، فأنت أحدُ مَن يتعرَّضون للاستهدافِ لهذا النوع من العنف المتعمَّد. والصور التي نراها بانتظام هي صورٌ مُرعبة، إذ نرى رجالًا يرتدون زيَّ السجن البرتقاليَّ راكعين على شاطئ ما بينما أفراد مقنَّعون من "داعش" (ISIS) يستعدُّون لقطع رؤوسهم، مع رسائل مُجبرة لطلبات

فدية تُسجَّل على هواتفهم المحمولة، وأحيانًا كثيرة يُعلن السبب بوضوح: هؤلاء مسيحيُّون، أي كُفَّار بحسب هؤلاء الراديكاليِّين، وبحسب تفسيرهم للنصوص.

إنَّ شجاعة هؤلاء المؤمنين الذين يُستشهدون في سبيل إيمانهم هي شجاعةٌ حافلةٌ بالتحدِّي والإلهام العميقَين. ومنذ قرون خلَتْ، كان هذا النوع من الإيمان هو ما كان على المسيحيِّين الأوائل إظهارُه في وجه الاضطهاد الرومانيِّ.

وفي أوائل القرن الثاني، عُرِض على پوليكارپوس، الذي كان قائدًا مسيحيًّا تدرَّب على يد الرسول يوحنَّا، الحرِّيَّة من السجن والإعفاء من حكم الموت مقابل إنكار إيمانه بالمسيح، فقال ردًّا على ذلك: "لقد كان المسيح أمينًا معي، فكيف يمكن ألَّا أكون أمينًا معه؟"[٣] وكثيرًا ما أتساءل ماذا كنتُ لأقولَ في موقفٍ كهذا، وأصلِّي أن أكون في هذه القوَّة نفسِها. تُذكِّرنا هذه الأمثلة المؤثِّرة بأنَّ الإيمانَ بالمسيح يدفعنا لأن نتمسَّك بشهادتنا، حتَّى في وجه الاضطهاد أو الموت. والواقع يقولُ إنَّ آلاف الناس يفقدون حياتَهم ببساطة بسبب إيمانهم بيسوع المسيح.

على الجانب الآخر، يجب ألَّا تتبدَّل الأدوار بتاتًا. ومهما كان الوضع، يجب ألَّا يُجبر شخصٌ أو يُفرض عليه الإيمان بيسوع المسيح. فبالنظر إلى الماضي على مرِّ التاريخ، وإلى أزمنة الحروب الصليبيَّة ومحاكم التفتيش، نجد أنَّه حين كان العنفُ يُرتَكَبُ باسْم يسوع المسيح، كان ذلك نتيجةَ عصيانِ وصيَّة يسوع المركَزيَّة "أحِبُّوا أعداءكم" (متَّى ٥: ٤٤).

الإيمان بيسوع هو دعوةٌ لاتِّباع تعاليمه بطاعةِ ناموسِ المحبَّة التي أوصى هو بها، وليس مجرَّدَ الموافقةِ على مجموعةٍ من الحقائق أو الافتراضات بشأنه. ولن يواجه الكثير منَّا هذا النوع من المعارضة لمعتقداته؛ فالأمرُ لأغلبنا أنَّ المقاوَمةَ تأتي من ضغطٍ اجتماعيٍّ أو رغباتٍ شخصيَّةٍ في التكيُّف مع أسلوب حياة يتعارض مع الدرب الذي يدعونا السيِّدُ المسيحُ لنسلكَه.

على مدار القرون، حين فقدت الكنيسة فاعليَّتها ومصداقيَّتها، كانت تُقدِّم

التنازلاتِ وتَحيدُ عن الحقِّ. "أنتم ملح الأرض، ولكنْ إنْ فسد الملحُ فبماذا يُملَّح؟ لا يصلح بعدُ لشيء، إلَّا لأنْ يطرحَ خارجًا ويُداس من الناس" (متَّى ٥: ١٣). ويتحدَّث هذا المقطع عن دور المسيحيِّ في العمل بوصفه حافظًا للعالم من حولنا. فحين نفقد مِلحَنا، نصيرُ في الحقيقة بلا أيِّ تأثير في مساعدةِ أحَد.

تتمركزُ الرسالةُ السائدةُ التي تسمعُها اليوم حولَ كلمةِ **النعمة**. وفي أميركا اختُزلتْ هذه الكلمة أحيانًا لتعنيَ التأكيدَ الوديع أنَّ الله يحبُّك بغضِّ النظر عمَّا تفعله أو الكيفيَّة التي تعيش بها. ورغم أنَّ نعمةَ الله هي في قلب إيماننا، فإنَّها أعظَمُ بكثيرٍ ممَّا قد تخيِّله بعضُنا، فهي من النوع الذي يمنحكَ الشغفَ الملتهبَ لتَحيا حياةً مقدَّسةً، كما تعطيك القوَّة لفعل ذلك. فالنعمةُ تغفرُ أشنعَ الجرائم، وتحوِّل أظلَمَ القلوب. وكما كتب بولس إلى أهل رومية: "فإنَّ الخطيَّةَ لن تسودَكم، لأنَّكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رومية ٦: ١٤).

ومن الأمثلة على ذلك، تأمَّل الإيمانَ الجريءَ لوليَم ويلبرفورس (William Wilberforce)، فقد أُلغِيتْ تجارة العبيد في إنكلترا في ١٨٣٣م إلى حدٍّ كبير بسبب جهوده المثابرة. حيث كان ويلبرفورس، العضوُ في مجلس العموم البريطانيِّ والمسيحيُّ المُخلِص، يعمل جاهدًا على مدى أكثر من ثلاثين سنة ليرى نهايةَ هذا الشرِّ في كلِّ أنحاء الإمبراطوريَّة البريطانيَّة. وكان يستخدم قوَّة الكتابِ المقدَّس ضاغطًا على أذهان قادة الحكومة وقلوبهم إلى أنْ صُحِّح هذا الخطأ. في السياق ذاته، يشرحُ بوب بلتز (Bob Beltz) في كتاب "**المسيحيَّة الحقيقيَّة**" *(Real Christianity)* الضحالة والفراغ لهذا النوع من النعمة المنقوصة.

> "هذه مشكلةٌ لا يُبتلى بها «المسيحيُّون بالثقافة» (Cultural Christians)، أي الذين لا يحوزون ما أسميتُه الإيمانَ الأصيل، بل هي مشكلةٌ تمثِّل إشكاليَّة لأولئك الذين قَبِلوا المسيحَ ويؤمنون بكلِّ ما يعلِّم به الكتابُ المقدَّس، ومنظومة إيمانِهم سليمةٌ، لكنَّ حياتهم لا تحمل برهانَ أنَّهم تقابَلوا

مع المسيحِ حقًّا. فهُم يحسبونَ موضوع قبولهم الإيمان أمرًا مسلَّمًا به، ثمَّ يستَكمِلون حياتَهم كما لو لم يكُنِ المسيحُ حقًّا ربَّهم، فصارَتِ النعمةُ المسيحيَّةُ الحقيقيَّةُ نعمةً رخيصة".[٤]

إنَّ النعمة الحقيقيَّة هي حقًّا فضلٌ غير مستحقٍّ ننالُه من عند الله، فهو يغفر لنا ويُطهِّرنا من الخطيَّة، بغضِّ النظر عن مدى إعوازنا الروحيِّ وكآبة حياتنا، لكنَّه لا يتركنا في هذه الحالة. فنعمة الله تغيِّرنا وتصيرُ هي دافعًا داخليًّا إلى طاعة وصايا الله. "لأنَّه قد ظهرتْ نعمةُ الله المخلِّصة، لجميع الناس، مُعَلِّمةً إيَّانا أنْ ننكر الفجور والشهوات العالميَّة، ونعيشَ بالتعقُّل والبرِّ والتقوى في العالم الحاضر" (تيطس ٢: ١١-١٢)، وهذا النوع من النعمة الكاملة والحقيقيَّة يتحدَّدُ بِسمتَيْن مُميَّزتين:

• محبَّة قويَّة لله

أن تحبَّ الربَّ من كلِّ قلبك ونفسك وقدرتك، وهذا هو ما أذكرُه عن أناسٍ التقيتُهم حين آمنتُ بالسيِّد المسيح، إذ أحَبُّوا الربَّ من كلِّ قلوبهم، وكان التعبير العمليُّ عن هذا في صورة العبادة ومحبَّة كلمةِ الله. ومعنى أنْ تحبَّ الله حقًّا هو أنْ تحبَّ ما يحبُّ وتكرهَ ما يكره، والله يكرهُ الخطيَّة- يكرهُها لأنَّها تدمِّر الناس.

• محبَّة عُظمى للآخرين

لا يمكنك أن تحبَّ الله ولا تحبَّ الآخرين، وهذا ما رأيتُه في الناس الذين التقيتُهم في الجامعة، وكانوا يتبعون يسوع حقًّا، فكانت لديهم ليس فقط حماسة من نحو الله، بل كان لديهم تعاطفٌ عميقٌ تُجاهَ الآخرين أيضًا. وما أدهشَني هو مدى لُطف هؤلاء الناس؛ إذ لم يكونوا ديَّانين (بمعنى إصدار الأحكام على الآخرين)، ولم يحتقروا الآخرين ممَّن لم يؤمنوا بالله ولا أحبُّوه، بل كانوا ببساطة يُظهِرون أصالةَ إيمانهم جاعلين الناس يرغبون في اختبار ذلك النوع من المحبَّة أيضًا. كانت محبَّتُهم محبَّةً مثابرة.

تكلفةُ التلمذة

يقودُنا هذا إلى أسئلة عن سبب أنَّ الكثير ممَّن يُصرِّحون بأنَّهم مسيحيُّون يبدون مُفتقرين إلى هذه النوعيَّة من الحياة، إذ تُظهر البحوث أنَّ واحدًا من أكثر الأمور التي يرفضُ الناسُ بسببها تصريحاتِ السيِّدِ المسيح هو رياء المنادين بالإيمان. وكان هذا عاملًا مهمًّا أفكِّر فيه؛ فبَعدَ النظر بعمقٍ في الكتاب المقدَّس، فضلًا عن مشاهدةِ حياةِ مَن يبدو أنَّهم يجيئون ويذهبون من الكنيسة، أجدُ سببًا واضحًا يتجلَّى فوق كلِّ الأسباب الأخرى: غياب التعهُّد بتسليم كلِّ شيء إلى سلطان المسيح وربوبيَّته. ولا يعني هذا أنَّ علينا أنْ نكون كاملين ونحاول استحقاق السماء بأعمالنا الصالحة، بل يعني توجُّه قلبٍ يتوق إلى الخضوع لمشيئة الله ولحقِّ كلمته. وقد قدَّمَ يسوعُ مثلًا عن ردِّ فعل شخصٍ ما حين يفهم حقًّا قيمة هذه النوعيَّة من العلاقة بالله:

> "أيضًا يشبهُ ملكوتُ السماوات كنزًا مُخفى في حقل، وَجَدَه إنسانٌ فأخفاه. ومن فرحه مضى وباع كلَّ ما كان له واشترى ذلك الحقل. أيضًا يشبهُ ملكوتُ السماوات إنسانًا تاجرًا يطلبُ لآلئَ حَسَنة، فلمَّا وجدَ لؤلؤةً واحدةً كثيرة الثمن، مضى وباع كلَّ ما كان له واشتراها" (متَّى ١٣: ٤٤-٤٦).

لكي نستعيدَ نحن نوعَ التأثير الذي نقرأ عنه- التأثير الذي كان للمسيحيَّة في الثقافة في بدايتها- ينبغي أن نستردَّ الرسالةَ والتحدِّيَ اللذين كان المسيحيُّون يَعِظون بهما. وقد أخبرنا يسوعُ أنَّ على كلٍّ منَّا **حساب نفقة (تكلفة)** كونه تلميذًا له، وحساب النفقة يعني أن نحتسبَ تصريحاتِ السيِّدِ المسيح ونسلِّم حياتَنا إليه بطاعةٍ كاملة. وهذا هو العكسُ تمامًا من الصورة الشائعة المقدَّمة إلينا التي تدعونا إلى رَفْع صلاةٍ باستعجالٍ، أو السَّيْر في ممرِّ الكنيسة إلى الأمام لتقديم اعترافٍ على الملأ يشهدُ عن إيماننا بالمسيح. بالعودة إلى كلماتِ يسوع، نجدُ ناحيةً حاسمةً من تقديم الإنجيل قد نكون قد أخفقنا فيها ولم نذكرها.

"ومَن منكم وهو يريد أنْ يبني برجًا لا يجلس أوَّلًا ويحسب النفقة، هل عنده ما يلزم لكماله؟ لئلَّا يضع الأساس ولا يقدر أن يُكمِّل، فيبتدئ جميع الناظرين يهزأون به، قائلين: «هذا الإنسان ابتدأ يبني ولم يقدر أن يُكمِّل»" (لوقا ١٤: ٢٨-٣٠).

يعني حساب النفقة الفهمَ الجادَّ والشاملَ للتضمينات الكاملة لتعهُّدنا، بمعنى تخلِّينا ليس فقط عن أخطائنا بل أيضًا عن حقوقنا. وبينما يبدو كلُّ إنسانٍ اليومَ مهتمًّا بحقوقه المجتمعيَّة، نحن مدعوُّون للتسليم إلى طريق الله، فنحن مَن نتبعه، وليس هو مَن يتبعُنا.

يسمع الناسُ عادةً رسائلَ بشأن كلِّ البركات التي ينعمُ بها الإنسان عندما يقرِّر اتِّباعَ السيِّد المسيح، وبالتأكيد هناك بركاتٌ كثيرة. كما أنَّ من الشائع أيضًا سماعَ شهاداتٍ عن الكيفيَّة التي نال الناس بها فرحًا وسلامًا حقيقيًّا بواسطةِ تبعيَّة يسوع، وقد صارَ الإحساسُ الشخصيُّ بقيمة الإيمان هو ما يُكرَزُ به بوصفه السببَ الأوَّليَّ للإيمان.

لكنْ حين تقرأ قصصَ مَن قبلوا الإيمان بالمسيح في العهد الجديد، تجد أنَّ الرسالةَ التي سمعوها كانت مختلفةً قليلًا؛ إذ كانوا يُخبَرون بالصعوبة والمعاناة اللتين ستَصحَبان قرارَهم. فمثلًا، عندك الرسول بولس، فالرسالةُ التي تلقَّاها في البداية ما كانت لتُسمَع في سياق الثقافةِ الغربيَّة اليومَ: "فقال له الربُّ [لحنانيا]: «اذهب! لأنَّ هذا لي إناءٌ مختار ليحملَ اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأنِّي سأريه كم ينبغي أنْ يتألَّم من أجل اسمي»" (أعمال ٩: ١٥-١٦). وفي ضوء هذه الحقيقة يجب أن نفهمَ ليس فقط الحقيقةَ التاريخيَّةَ للإيمان المسيحيِّ، بل أن نفهمَ أيضًا الاستجابةَ المناسبةَ التي يجب أن تكونَ لنا إذا كنَّا نؤمن حقًّا. وإليكُم بعضَ الأبعاد الحاسمة لهذه الاستجابة والتي قد تبدو غريبةً على مسامعِنا، لكنَّها ستُنتج نوعيَّةَ الحياة التي نبحث عنها حقًّا.

١. أَنكِر نفسك

"ودعا الجمعَ مع تلاميذه وقال لهم: «مَن أراد أنْ يأتي ورائي فليُنكرْ نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإنَّ مَن أرادَ أنْ يُخلِّص نفسَه يهلكُها، ومَن يُهلِك نفسَه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها. لأنَّه ماذا ينتفع الإنسانُ لو ربح العالم كلَّه وخسرَ نفسَه؟ أو ماذا يعطي الإنسانُ فداء عن نفسه؟»" (مرقس ٨: ٣٤-٣٧).

لا يبدو الأمرُ تقليديًّا، لكنَّنا إنْ أردنا أنْ نجدَ الحياةَ الحقيقيَّةَ، فعلينا تسليم حياتنا أوَّلًا، وعلينا أنْ نخسرَ أوَّلًا من أجل الفوز. وهذه الرسالة غائبةٌ من مفرداتِ العرْضِ المسيحيِّ المعاصر حتَّى إنَّ مثل هذه الرسالة قد تبدو صارمةً وغير واقعيَّة لبعضنا، لكنْ كانت هي الرسالة التي قدَّمها يسوع بوُضوح ودون أعذار، وهي تفترض مسبَّقًا أنَّك تعلمُ أنَّ يسوعَ ربٌّ وأنَّه ماتَ وقام ثانيةً. ولأنَّ هذا حقيقيٌّ، تكون الاستجابة الوحيدة هي طاعته طاعةً كاملة.

إنَّ جوهرَ إنكار الذات هو في الإقرار بأنَّ طُرق الله أعلى من طُرقنا، ومعنى أنْ ننكر ذواتنا هو ألَّا نستمرَّ في الاستناد إلى مشاعرنا وشهواتِنا وميولنا الجسديَّة. فمثلًا، إذا أساءَ إليك شخصٌ ما إساءةً بالغة، فإنَّ ردَّ الفعل العاديَّ هو إضمارُ الضَّغينة والسعيُ إلى الانتقام. ومشكلة ردِّ الفعل هذا هو أنَّ يسوعَ يوصينا بأن نغفرَ للآخرين ونحبَّهم. فإذا أنكرتَ ذاتك في هذه الحالة، فإنَّك تُنكر "حقَّك" في أن تظلَّ غاضبًا بمرارةٍ، جزئيًّا لأنَّ هذا لم يكن واحدًا من الحقوق أصلًا، بينما تختارُ الآن طريقَ الله وتغفرُ للشخص من قلبك. ورغم أنَّ الأمر لا يبدو منطقيًّا لمشاعرنا، فإنَّه يُنتج سلامًا ومصالحةً.

"لأنَّ أفكاري ليست أفكارَكم، ولا طرقكم طرقي، يقول الربُّ. لأنَّه كما علتِ السماواتُ عن الأرض، هكذا علتْ طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم" (إشعياء ٥٥: ٨-٩).

وينطبق هذا على أيَّة تجربةٍ نشعر فيها بأنَّ ما نريد فعله يتضاربُ مع مشيئة الله الجليَّة، فعندك مثلًا موضوع الطهارة الجنسيَّة، حيث نجدُ أنَّ الكتابَ المقدَّسَ واضحٌ في أنَّ مشيئة الله لنا هي أنْ نكون طاهرين ومُقدَّسين، وأن نمتنعَ عن أيِّ نشاطٍ جنسيٍّ قبل الزواج. ورغم أنَّ الكثيرين اليوم قد يتجاهلون هذا، فإنَّ ذلك لا يغيِّر الحقيقةَ أو يبدِّل احتياجنا إلى إنكار ذواتنا وطاعة السيِّد المسيح.

"لأنَّ هذه هي إرادةُ الله: قداستُكم. أنْ تمتنعوا عن الزنا، أنْ يعرفَ كلُّ واحد منكم أنْ يقتني إناءه بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله. أنْ لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر، لأنَّ الربَّ منتقم لهذه كلِّها كما قُلنا لكم قبلًا وشَهِدْنا. لأنَّ الله لم يَدْعُنا للنجاسة بل في القداسة. إذًا من يُرذل لا يرذل إنسانًا، بل الله الذي أعطانا أيضًا روحَه القدُّوس" (١تسالونيكي ٤: ٣-٨).

٢. احمِل صليبك

"ودعا الجمعَ مع تلاميذه وقال لهم: «مَن أراد أنْ يأتي ورائي فليُنكرْ نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإنَّ مَن أراد أنْ يُخلِّص نفسه يهلكُها، ومَن يُهلِك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلِّصها»" (مرقس ٨: ٣٤-٣٥).

ولأغلب الناس في الغرب، فإنَّ تكلفةَ تبعيَّةِ المسيح هي التخلِّي عن الأمور التي يعلَمون أنَّها خاطئة أو أثيمة، وهي عمليَّةٌ تصاعديَّةٌ تبدأ بالتخلِّي عن الأمور الخاطئة بوضوح، ثمَّ التنازل بالتدريج عن المناطق السرِّيَّة في أعمق جزءٍ من دوافعنا وتوجُّهاتنا وأفكارنا الداخليَّة. وحين يدعونا السيِّد المسيح لنتبعه، يُخبرنا بأنْ نحمل صليبَنا، وقد يبدو ذلك غريبًا بعض الشيء على آذاننا، لا سيَّما حين لم يعُد الصَّلْب جزءًا من ثقافتنا. ومعنى حَمْل صليبنا هو أنْ نبقى في مكانِ الخضوع والطاعة لمشيئة الله،

لا لمشيئتنا نحن. ولا نصل إلى نقطة حيث نكبر أكثر من اتّباعنا الاتّضاع والتسليم لله. ويُعدُّ الرسول بولس مثالًا رئيسيًّا لشخصٍ تغيَّر تغيُّرًا هائلًا بفضل هذه النعمة المذهلة- نعمةِ يسوعَ المسيح. وهو يشهدُ صراحةً عن الكيفيَّة التي انتهَتْ بها حياتُه بالمفهوم الروحيِّ لتبدأ حياتُه الجديدة: "مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنَّما أحياه في الإيمان، إيمانِ ابن الله، الذي أحبَّني وأسلم نفسَه لأجلي" (غلاطِيَّة ٢: ٢٠).

في صليب المسيح، دُفِع ثمنُ خطايانا بالكامل، واستجابتنا لذلك هي أنْ نعيش حياتنا في ظلِّ ذلك المثال الذي قدَّمه المسيح في الخضوع والتسليم، حيث سالَ عرقُه كقطرات دم بينما كان يواجه التجرِبةَ الأقصى- تجربةَ إغراءِ أنْ يهجرَ خُطَّة الله بسبب الألم والمعاناة اللذَين كانا في الانتظار. وبدلَ ذلك صلَّى قائلًا: "ولكِنْ ليكُن لا ما أريد أنا، بل ما تريد أنت" (مرقس ١٤: ٣٦).

٣. تبعيَّتُه

في الحرب العالميَّة الثانية، قاد ألمانيا قائدٌ مهووسٌ وسَّع من حدودها بواسطة العدوان والرعب. وأذعن جزءٌ كبيرٌ من الكنيسة الألمانيَّة تحت الثِّقَل الرهيب من التهديد والقوَّة التي كانت بصدد السيطرة على الملايين، وقتل ملايين أكثر. ورغم حقيقة أنَّ الكثيرين انكمشوا مرعوبين تحت شبح تكتيكات النازيِّين، فقد كانت هناك بقيَّة من المؤمنين في ألمانيا ممَّن رفضوا التنازُل، بغضِّ النظر عن التكلفة الشخصيَّة. وكان ديتريش بونهويفر (Dietrich Bonhoeffer) قائدًا قاومَ النظامَ الشرِّيرَ، ودفعَ حياتَه في النهاية ثمنًا لهذا الموقف. وفي كتابه الكلاسيكيِّ "**تكلفة التلمذة**" *(The Cost of Discipleship)* قال إنَّ دعوةَ المسيح تتطلَّب أنْ نُخضِع الكلَّ من أجل الحصول على حياة المسيح. وتجنَّب بونهويفر في كتابه حماقة النعمة الرخيصة وفراغها، وصرَّح بجرأة بتعبيرٍ قد يدعوه كثيرون اليوم تناقُضًا لغويًّا: النعمة المكلِّفة.

"هي مُكلِّفة لأنَّها تكلِّف الإنسانَ حياتَه؛ ونعمةٌ لأنَّها تُقدِّم إلى الإنسان الحياةَ الحقيقيَّةَ الوحيدة. مُكلِّفة لأنَّها تَدينُ الخطيَّة؛ ونعمةٌ لأنَّها تُبرِّر الخاطئ. وفوق الكلِّ، هي مُكلِّفة لأنَّها كلَّفَت الله حياةَ ابنه: «لأنَّكم قد اشتُريتُم بثمنٍ» (١كورنثوس ٦: ٢٠)، وما كلَّف الله الكثيرَ لا يمكن أن يكونَ رخيصًا عندنا. وهي نعمةٌ لأنَّ الله لم يحتسِبِ ابنَه ثمنًا أغلى من أن يُدفَع من أجل حياتنا، بل قدَّمه من أجلنا".[٥]

قال يسوعُ ببساطة: "اتبعني"، ولا يزال صدى هذه الكلمة مُدوِّيًا اليوم. فمعنى أن نتبعَه هو أن نتبعَ كلمتَه وطُرقَه إلى أعظم مغامرةٍ يُمكن تخيُّلها، وُصولًا إلى العالم برسالةِ الإنجيل.

الصراعُ الذي يواجه المؤمن

علاوة على وجودِ تكلفةٍ لتبعيَّةِ المسيح، هناك أيضًا صراع نحن مدعوُّون لمواجهتِه؛ فهناك معركةٌ روحيَّةٌ تدورُ رَحاها في قلوب الأمم وأذهانها: "فإنَّ مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحيَّة في السماويَّات" (أفسس ٦: ١٢). وإخفاقنا في ذِكْر هذا هو عدمُ أمانةٍ أو عدمُ صِدقٍ في رسالة الإنجيل التي نقدِّمها. ما مصدر هذا الصراع؟ إليكم أربعةً من أوضَحِ الأسبابِ:

١. الظلمةُ تكرهُ النور

يخبرنا الكتاب المقدَّس بأنَّه لا شركة للنُّور مع الظلمة وأنَّ الناس يكرهون النور لأنَّ أعمالهم شرِّيرة والنور يكشفُها. وقد كتب الرسولُ يوحنَّا إنجيلًا وعددًا من الرسائل، ونراه يقول في رسالته الأولى:

"وهذا هو الخبر الذي سَمِعناه منه ونخبركم به: إنَّ الله نورٌ وليس فيه ظلمة البتَّة. إنْ قُلنا: إنَّ لنا شركة معه وسَلَكْنا في الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحقَّ. ولكنْ إنْ سَلَكْنا في النور كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنِه يُطهِّرُنا من كلِّ خطية" (١يوحنَّا ١: ٥-٧).

إذا كنتَ في ظلام، وأضاءَ شخصٌ ما نورًا قويًّا، فيمكن أن يكونَ الأمرُ مؤلمًا جدًّا. والمسيح هو النورُ الذي يُنيرُ كلَّ شخصٍ (يوحنَّا ١: ٩)، فما إن يملأُ قلوبَنا، سرعان ما ترحل الظلمة.

٢. التصريحات الحصريَّة للمسيح

"قال له يسوع: «أنا هو الطريق والحقُّ والحياة. ليس أحدٌ يأتي إلى الآبِ إلَّا بي»" (يوحنَّا ١٤: ٦).

إنَّ المسيح هو المُمثِّل الحصريُّ لله، وقد فَصَلَتْه قيامتُه من الأموات عن كلِّ الآخرين الذين ادَّعوا أنَّهم الناطقون بلِسانِ الله. ويبدو هذا الأمرُ لبعض الناسِ ضِيقَ أُفُقٍ وتعصُّبًا، لكنْ لا توجد في النهاية إمكانيَّة لمزجِ كلِّ الأديان في خليطٍ ضخمٍ من الروحانيَّة.

ليس معنى هذا أنَّه لا توجد أمورٌ جيِّدة في أديان أخرى؛ فكلُّ الحقِّ هو من الله، ويُمكن أن يُعبِّر عنه أيُّ شخصٍ، بمَن فيهم المُلحدون. لكنَّ الفارقَ هو أنَّ المسيحَ هو أعلى سُلطةٍ في الكون؛ فاسمُه مُمجَّدٌ فوق كلِّ اسمٍ آخر. "وليس بأحدٍ غيرِه الخلاصُ. لأنْ ليسَ اسمٌ آخر تحت السماء، قد أُعطِيَ بين الناس، به ينبغي أنْ نَخلُصَ" (أعمال ٤: ١٢).

٣. المصارعةُ هي في مواجَهةِ الفِسقِ، وليست فقط في مواجَهةِ عدم الإيمان

"أيُّها الأحبَّاء، أطلبُ إليكم كغرباء ونزلاء، أنْ تمتنعوا عن الشهوات الجسديَّة التي تحارب النفس" (١بطرس ٢: ١١).

يحاول كثيرٌ من المتشكِّكين الاختباءَ وراءَ واجهةٍ مزيَّفة تقول إنَّ اعتراضاتهم هي اعتراضاتٌ فكريَّةٌ بحتة، رغمَ أنَّ واقعَ الأمر هو صراعٌ أخلاقيٌّ أعمَق. والخلاصة هي أنَّهم يرفضون الاعترافَ بأيِّ سلطانٍ فوقَ سلطانهم حين يتعلَّق الأمر بتفضيلاتهم وممارساتهم الأخلاقيَّة، ولا سيَّما الجنسيَّة منها. فالكتاب المقدَّس حافلٌ بالتحذيراتِ ضدَّ السلوك غير الأخلاقيِّ وعواقبِه. وهناك معركةٌ داخليَّة فينا جميعًا، ويخبرُنا الكتابُ المقدَّسُ أنَّ هذه المعركة هي بين الطبيعة البشريَّة الخاطئة (رغباتنا الجسديَّة) والروح ورغباته. غير أنَّنا عتيدون أن نربَحَ هذه المعركة بسبب قوَّة الروح التي فينا، نحن المؤمنين:

"فإنَّ الذين هم حَسَبَ الجسد فبما للجسد يهتمُّون، ولكنَّ الذين حسب الروح فبما للرُّوح. لأنَّ اهتمام الجسد هو موت، ولكنَّ اهتمام الروح هو حياة وسلام. لأنَّ اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذْ ليس هو خاضعًا لناموس الله، لأنَّه أيضًا لا يستطيع. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أنْ يُرضوا الله. وأمَّا أنتم فلستُم في الجسد بل في الروح، إنْ كان روحُ الله ساكنًا فيكم" (رومية ٨: ٥-٩).

٤. وُجودُ عدوٍّ روحيٍّ لله المجيدِ وأهدافه

"الذين فيهم إلهُ هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلَّا تضيء لهم إنارةُ إنجيلِ مجدِ المسيح، الذي هو صورةُ الله" (٢كورنثوس ٤: ٤).

منذ بداية البشريَّة كان هناك عدوٌّ قديم يغوي الذين يَقَعون تحتَ سُلطتِه ويخدعُهم ويُدمِّرهم، وهو الشيطان. وبعيدًا عن كلِّ البُعد عن الشخصيَّة الشيطانيَّة التي تُصوَّر في رداءٍ أحمر وشوكةٍ ثلاثيَّة، يُدعى في أماكن أخرى ملاك نورٍ، أي بكلمات أخرى، يأتي ليُغوينا ويغرينا ليأسرَنا، وأحيانًا ما يظهر بشكلٍ يسمح له بذلك.

بدأت خدمةُ يسوع بإخراج شياطين وشفاء أولئك الذين كانت تقيِّدُهم هذه القوَّة الخبيثة. ومن الضروريِّ معرفة أنَّ الشيطانَ ليس كُلِّيَّ الحضور، بل هو مخلوقٌ محدودٌ. وقد أعطانا يسوعُ سلطانًا على أعماله، كما انتصر عليه في حياته، وكذلك في موته على الصليب. "يسوعُ الذي من الناصرة كيف مَسَحَه الله بالروح القدس والقوَّة، الذي جال يصنع خيرًا ويشفي جميع المتسلِّط عليهم إبليسُ، لأنَّ الله كان معه" (أعمال ١٠: ٣٨).

توقُّعٌ تقشعرُّ له الأبدان

حين يشيرُ الناسُ إلى الرياء ما بين المؤمنين بوصفه السبب الذي من أجله يرفضون حقَّ المسيحيَّة، يُخفقون في إدراك أنَّ يسوعَ أنبأ فعلًا أنَّه سيكون هناك مُدَّعون ومراؤون منادون بِاسْمه.

> "احترِزُوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنَّهم من داخل ذئاب خاطفة! من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عِنَبًا، أو من الحسك تينًا؟ هكذا كلُّ شجرة جيِّدة تصنع أثمارًا جيِّدة، وأمَّا الشجرة الرديَّة فتصنع أثمارًا رديَّة، لا تقدرُ شجرةٌ جيِّدة أنْ تصنعَ أثمارًا رديَّة، ولا شجرة رديَّة أنْ تصنعَ أثمارًا جيِّدة. كلُّ شجرة لا تصنع ثمرًا جيِّدًا تُقطَع وتُلقَى في النار. فإذًا من ثمارهم تعرفونهم" (متَّى ٧: ١٥-٢٠).

بينما لا توجد طريقةٌ لضمان أنَّ الناسَ سيتبعون الله بأمانة دائمًا، يُمكن اتِّخاذُ

خطواتٍ لتقليل خطر إخفاقهم وسقوطهم. ويأتي هذا بنا إلى حيثُ تدعونا كلُّ هذه المعرفة عن حقيقة وجود الله وابنه يسوع المسيح إلى ما يُشار إليه بوصفه الإرساليَّة العُظمى. وهذه هي الوصيَّة الأخيرة التي أعطاها المسيح لتلاميذه، أن ينشروا إنجيلَه إلى كلِّ الأرض.

وصيَّة التلمذة

"فاذْهَبُوا وتَلمِذوا جميعَ الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متَّى ٢٨: ١٩).

كان ستيف موريل (Steve Murrell) واحدًا من رفقائي في السكن في أثناء الجامعة، وانتقل إلى مانيلا في عام ١٩٨٤م لتأسيس كنيسة تشدِّدُ على الوُصول إلى طلَّاب الجامعة. واليوم نما عددُ أعضائها إلى أكثر من ثمانين ألف عضوٍ، يلتقون في خمسة عشر موقعًا في أرجاء المدينة. وقد ألَّف ستيف وفريقُه نموذج حروف "إ" (E باللغة الإنكليزيَّة) الأربعة، وإليكم كيف يشرح ستيف نموذجَه:

"لقد حدَّدنا أربعة مبادئ هي الأساس لما نؤمن به ونمارسه بشأن التلمذة. وهذه المبادئ ليست فقط فريدةً من نوعها في سياقنا، بل هي أيضًا مبادئُ حقيقيَّة تصلحُ لكلِّ مكانٍ وزمان. ويستخدمُ بعضُ الأشخاصِ عباراتٍ وكلماتٍ مختلفة. لكنَّ المبادئَ هي نفسها، وكلُّ المبادئ الأربعة ضروريَّة. فإذا نُزِع أحدُها، تنهار عمليَّةُ التلمذة. ونسمِّي هذه المبادئ الأربعة حروف "إ" الأربعة، وهي على النحو التالي: إشراك (Engage)، إنشاء (Establish)، إعداد، (Equip) إعطاء القوَّة والتمكين (Empower).[٦]

إشراك غير المؤمنين

معنى هذا أن نتعلَّم التواصل مع الناس بطريقة فعَّالة وأمينة بالإنجيل وبالحقائق القويَّة للإيمان المسيحيِّ. وهذا إطار مهمٌّ، لذا خصَّصنا الفصل الأخير (الفصل العاشر) لهذا الموضوع. أمَّا ما نناقشه بإيجازٍ هنا هو الأولويَّة التي وضعها يسوع للوصول إلى الناس الذي لم يقبلوا الإيمان. ويشيرُ الكتاب المقدَّس إليهم بوصفهم غير المؤمنين والمشكِّكين والضالِّين. وقد جعلت الحسَّاسيَّات المعاصرة بعضَ الناس يتبنَّون لغةً رقيقة وغير جارحة لوَصْف مَن لم يؤمنوا بعد: المنفتحون على الإيمان (Pre-Christian)، من لم نصل إليهم بعد، الساعين وراء الحقِّ...إلخ. وبغضِّ النظر عن الكلمات المستخدَمة، تظلُّ الحقيقةُ موجودةً: أنَّ هناك أناسًا لا يعرفون الربَّ وسيعانون دينونةَ الانفصالِ الأبديِّ عن الله نتيجةً لذلك. ولا يزال التفويضُ نافذَ المفعول: أنْ "نذهب إلى العالم أجمع ونتلمذ جميع الأمم".

إنَّ أهمَّ عملٍ يمكننا الانخراط فيه هو عملُ خدمة الآخرين والمساعدة على الإتيانِ بهم إلى حقِّ معرفة الله وعمل المسيح والخلاص؛ فكما قال يسوع: "لأنَّ ابن الإنسان قد جاء لكي يطلبَ ويخلِّص ما قد هَلَكَ" (لوقا ١٩: ١٠).

وبصرفِ النظر عن مدى النجاح أو الرخاء اللذين يبدو عليهما الناس، فهناك فقرٌ روحيٌّ منتشرٌ في أوساطِ مليارات البشر حول العالم. ومع أنَّنا نعيشُ في أكثر أزمنةِ التاريخ ابتكارًا وإبهارًا، فإنَّنا على ما يبدو غير قادرين على الاعترافِ باحتياجنا العميق إلى الله وإلى طُرقه.

الكنيسة الجاذبة

ذكرنا في بداية هذا الكتاب أنَّ هناك أزمةً في المسيحيَّة، لا سيَّما في الغرب؛ فالكنيسة تخسرُ أناسًا يفترَضُ أنَّهم مسيحيُّون. وهناك اتِّجاه متزايد لآخرين يقولون إنَّه ليس لهم انتماء دينيٌّ، وهناك إدراك يتزايد أنَّه ما من عمليَّةٍ واضحةٍ لتعليم الناس كيفيَّة

التواصل مع آخرين بشأن إيمانهم. وكما رأينا في فصولٍ سابقة، اختبرت الكنيسةُ نموًّا فعَّالًا في القرون الثلاثة الأولى؛ فقد كانت الرسالة الواضحة البسيطة للخبر السارِّ أنَّ يسوع هو المسيَّا، وأنَّه قامَ من الأموات للبرهنة على تلك الهُوِيَّة. وكانت هذه الرسالة دافعةً للمؤمنين ليخبروا آخرين بغضِّ النظر عن الاضطهاد أو المقاومة التي كانوا يواجهونها.

إنَّ الدعوةَ للمناداة بالإنجيل هي الوصيَّة لإعلان حقِّ الله لكلِّ شخصٍ في كلِّ أمَّة. وهي مهمَّة شاقَّة. ولأنَّ يسوع هو مَن أعطى هذا التوجيه، فيجب أنْ يكونَ المهمَّةَ الأولى لكلِّ مؤمن، وليس فقط للرعاة أو الكارزين أو العاملين في المجال الدينيِّ. وفي الواقع أشارتْ دراساتٌ أنَّ أغلب مَن يقبلون الإيمانَ المسيحيَّ يفعلون ذلك بسبب تأثير أحد الأقارب أو الأصدقاء. وفي النهاية صاروا قادرين على مساعدة آخرين؛ إذ إنَّهم نالوا مساعدةً قُدِّمت إليهم باتِّصالهم بكنيسةٍ محلِّيَّة؛ فالكنيسة هي مكان التدريب والإعداد.

وقد وَعَدَ يسوعُ أنْ يبنيَ كنيستَه، وأنَّ أبوابَ الجحيم لن تَقوَى عليها. وبقدر ما تقول التقاريرُ إنَّ الناسَ يتركون الكنيسة، فالله لا يتركها، ولا تزالُ هي هدفَه وخُطَّتُه الأساسيَّة في الأرض. قال يسوعُ: "أبني كنيستي، وأبوابُ الجحيم لن تقوى عليها" (متَّى ١٦: ١٨).

هناك الكثير من البرامج والمشاريع الرائعة التي تمثِّل جزءًا من نشاط جمهور نمطيٍّ من العابدين. ومع كلِّ الأعمال العظيمة للخدمة، فنحن نجدُ أنَّ هناك إهمالًا لمحورِ المسؤوليَّة والمهمَّة الأساسيَّة التي أعطاها يسوع، وهي تلمذة جميع الأمم. ولهذا حاولنا استحضارَ الوعي والتركيز على مساعدة الكنيسة لتستردَّ أهمَّ ما لديها. يريد الكلُّ أنْ يشعروا بأنَّهم جزءٌ من كنيسةٍ مميَّزة، لكنْ يجب أن نفهَمَ ونتذكَّرَ ما يجب أن تكونَ عليه الكنيسةُ المميَّزة: يجب أن تكونَ فيها كرازةٌ على مستوًى مميَّزٍ، وهي عمليَّةٌ مقصودةٌ قابلةٌ للتكرار والنَّقل إلى آخرين.

في الفصل التالي، سنناقش بالتفصيل الكرازة المقصودة، وعمليَّة التدريب الدفاعيِّ.

إنشاء الأساسات

> "ولماذا تدعونني: «يا ربُّ، يا ربُّ»، وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟ كلُّ مَن يأتي إليَّ ويسمع كلامي ويعمل به أريكُم مَن يُشبِه. يُشبهُ إنسانًا بنى بيتًا، وحَفَر وعمَّق ووضَع الأساسَ على الصخر. فلمَّا حدث سيلٌ صَدَم النهرُ ذلك البيتَ، فلم يقدر أنْ يزعزعه، لأنَّه كان مؤسَّسًا على الصخر" (لوقا ٦: ٤٦-٤٨).

كلُّ مَن شاهدَ عمليَّة إنشاء مبنًى ما يعلم أهمِّيَّة الحفْرِ بعُمقٍ من أجل وضْع أساسٍ قويٍّ. وحين تكون الأساسات ضعيفةً أو مبنيَّةً على نحو سيِّئ، يمكن أن تهدمَها عواصفُ الحياة بسهولة. ويُرى هذا في الطريقة التي يفترض بها الناسُ أنَّ رفْعَ صلاةٍ وسؤالَ يسوع أن يأتيَ إلى قلوبهم هو كلُّ ما يحتاجون إليه. لكنْ حين كان الرسلُ يكرزون بالإنجيل، كان الناسُ يسألون عمَّا ينبغي لهم أن يفعلوه استجابةً للمناداة بالإنجيل، وكانوا يخبرونهم بأنْ يتوبوا (يرجعوا) ويؤمنوا. ويتَّفقُ ستيف موريل مع هذه الفكرة بالقَول: "الأساساتُ القويَّةُ التي تتحمَّل العواصفَ ليست فقط مبنيَّة بتعليم الكلمة، بل هي أيضًا بانضباطاتِ تبعيَّة السيِّد المسيح وكلمته. فمثلًا، علينا أن نتحدَّى أيضًا شبابَ المؤمنين ليمارسوا التوبة ويعيشوا حياةً من الخضوع اليوميِّ لربوبيَّته في كلِّ مناحي الحياة".[٧]

يتكوَّن الأساسُ الراسخُ من التوبة والإيمان. وقد قال تشارلز سبيرجن في إحدى المرَّات إنَّ قبولَ الإيمانِ أشبَهُ بعملةٍ ذات وجهَين: أحدُهما التوبة، والآخر الإيمان.[٨] فإذا قبلتَ حقًّا الإيمانَ بالمسيح، تتحوَّل بالضرورة عن كلِّ شيء آخر تثق به. وقد شهد الرسولُ بولس أنَّ المسيحَ ظهر له في الطريق إلى دمشق وأعطاه تعليمات أن

يُعلن هذه الرسالة: "أنا الآن أرسلُك إليهم، لتفتحَ عيونَهم كي يرجعوا مِن ظلماتٍ إلى نورٍ، ومِن سلطان الشيطان إلى الله، حتَّى ينالوا بالإيمان بي غفرانَ الخطايا ونصيبًا مع المقدَّسين" (أعمال ٢٦: ١٧-١٨).

كتبتُ أنا وستيف موريل معًا "**الكتاب الأرجوانيّ**" *(The Purple Book)*، وهو دليل دراسيٌّ يساعد على ضمان أنَّ هذه الأساسات راسخة. وهذا الدليل المطبوع منه أكثر من مليون نسخة، وبستٌّ وعشرين لغة، وهو أداةٌ تساعد على البحث في مستوًى أعمق، واضعًا أساسات الإيمان على صخرة المسيح الراسخة. وفي التمهيد تُقدَّم هذه المسؤوليَّة: "ينبغي أن نحفرَ بعُمقٍ مقتَلِعين كلَّ شيء يمثِّل عداوةً للمسيح. وينبغي أن نسمع كلماته، لا سيَّما تلك التي تتعامل مع أساساتِ الإيمان نفسها، وأن نطيعَ هذه الكلمات".[٩]

إعداد المؤمنين

> "وهو أعطى البعضَ أنْ يكونوا رسلًا، والبعضَ أنبياء، والبعضَ مُبشِّرين، والبعضَ رعاةً ومعلِّمين، لأجل تكميل القدِّيسين لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح" (أفسس ٤: ١١-١٢).

يخبرُنا هذا بأنَّ الهدف الأساسيَّ للخدَّام المتفرِّغين على الدوام هو تكميل الناس من أجل عمل الخدمة، وليس قيامهم بعمل كلِّ الخدمة بأنفسهم. لذا تتضمَّن التلمذةُ تدريبَ الناس وتكميلهم للخدمة. ويحوِّل هذا البؤرةَ كثيرًا إلى الجزء الخاصِّ بمَنْ يخدمون بوصفهم قادةً.

نسمعُ هذه العبارة طول الوقت: "كلُّ عضوٍ هو خادمٌ"، لكنْ بسبب ثقافتِنا المعتمدة على الأداء، لا يكون لدينا عادةً الكثير من القبول للفوضى التي قد تتميَّز بها عمليَّة الإعداد، فنمارس عمل الكنيسة كما لو أنَّ الخُدَّام المتفرِّغين المؤهَّلين هم

فقط مَن عليهم القيام بالخدمة. لكنَّ الوصفَ الوظيفيَّ بحسب الكتاب المقدَّس للخُدَّام المتفرِّغين- الرسل والأنبياء والمبشِّرين والرعاة والمُعلِّمين- هو إعدادُ "غير المؤهَّلين" للخدمة، ثمَّ إعطاء المجال لهم. وحين ننسى ذلك، ننسى أحدَ الأسباب الأساسيَّة التي دعانا الله لنخدمَ من أجلها.[١٠]

ونحن نُعِدُّ الناسَ بمساعدتهم على فَهْم وزناتهم (مواهبَهم) ودعوتهم وهدفهم. فمساعدة شخصٍ ليكتشفَ الهدفَ الذي يريدُه الله منه هو أمرٌ حيويٌّ للنموِّ والسلامة الوجدانيَّة. فإذا كان لديك شعورٌ قويٌّ بهدفك في الحياة، ستنجح عادةً في تخطِّي الصراعات والأوقات العصيبة التي تنتظرنا جميعًا. لذا فليس غريبًا أنْ يصيرَ كتاب "**الحياة المنطلقة نحو الهدف**" *(The Purpose Driven Life)* أحَدَ أكثر الكتب مبيعًا.

من المهمِّ أيضًا مساعدتهم أن يفهموا كلمةَ الله؛ فكلمةُ الله هي التي تساعدهم ليتغلَّبوا على الخطيَّة والتجربة، كما أنَّها ترشدُهم في طريق الحكمة. وجوهرُ عمليَّة الإعداد هو مساعدة الناس أن يصيروا مَهَرة في استخدامِ الكتاب المقدَّس مثل سيف حادٍّ يُستخدَم في نزاعٍ. "كلُّ الكتاب هو موحى به مِن الله، ونافعٌ للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرِّ، لكي يكون إنسانُ الله كاملًا، مُتأهِّبًا لكلِّ عمل صالح" (٢تيموثاوس ٣: ١٦-١٧).

ديل إفْريست (Dale Evrist) هو أحدُ الرعاةِ الأمناءِ الكثيرين في أميركا، ويقودُ جمهورَه من العابدين في الكتاب المقدَّس كلَّ عام من بدايته إلى نهايته. لديه يوميًّا تدوينٌ صوتيٌّ مدَّتُه خمس عشرة دقيقة يُدعى "سائرون في الكلمة" (Walking Through the Word) يساعد المؤمنين أن يتأصَّلوا في الحقائق الأساسيَّة في الكتاب المقدَّس، وقد أخبرني في مقابلة شخصيَّة: "دون شكّ، يمكنُ أن يتلاشى الكثير من التشويش من قلوبِ المؤمنين بالمسيح ومن أذهانهم بقراءة الكتاب المقدَّس بانتظام. فيا لقدْرِ الخداع الذي يأتي إلى حياة الناس حين يُتركون لمشاعرهم وحدسهم بدلَ الثقة بالحقِّ ذاته الذي أوْجَدَ الكون!".[١١]

ونحن نُعدُّهم أيضًا بمساعدتهم أن يتعلَّموا خدمةَ الآخرين؛ فمن المستحيل جسديًّا أنْ ينالَ ملايين المحتاجين إلى تشجيعٍ ومساعدةٍ روحيَّة ما يحتاجون إليه بالاستماع إلى عظاتٍ وتدويناتٍ صوتيَّة وقراءةِ كتبٍ فقط؛ فهُم سيحتاجون عند نقطةٍ ما إلى شخصٍ حقيقيٍّ يجلسُ معهم ويساعدهم. وفي الكثير من الأحيان، تكون صداقتُنا واستعدادنا للاستماع هما ببساطةٍ ما يمكن أن يُحدِثَ فارقًا ضخمًا. ودون شكّ، هناك أمورٌ جادَّة يواجهُها الناسُ وتحتاج إلى اهتمامٍ من شيوخٍ وقادة أكبر سنًّا وشأنًا، غير أنَّ هناك غالبًا مناطقَ عامَّةً للتشجيع والإرشاد يجب على كلِّ المؤمنين أن يكونوا قادرين على مشاركتها مع آخرين.

إعطاء القوَّة للتلاميذ

"الحقَّ الحقَّ أقول لكم: مَن يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضًا، ويعمل أعظم منها، لأنِّي ماضٍ إلى أبي" (يوحنَّا ١٤: ١٢).

الخطوة الأخيرة في هذه العمليَّة البسيطة من التلمذة هي خطوةُ تمكينِ الناس ليفعلوا ما تلقَّوا دعوة لفعله. كان ليسوع اثنا عشر تلميذًا تبعوه في البداية وشاهدوه وهو يُجري أعمالًا قديرةً، ويغيِّر الأماكنَ أينما كان يذهب. ثمَّ حان الوقتُ الذي أعطاهم فيه القوَّة وأرسلهم ليذهبوا ويعملوا أعمالًا أعظمَ من الأعمال التي كانوا قد رأوه يعملها، فكما يقول ستيف موريل:

"لم يكُن يسوع راضيًا بتاتًا بأن يتبعَه تلاميذ يكونون مشاهدين فحسب، بل كان عازمًا على تمكينهم ليعمَلوا ما كان يعمل، بل بلغ به الأمرُ أنْ قال إنَّهم سيعملون أعمالًا أعظَمَ بعد أن يكونَ قد رجعَ إلى الآب. كانت تبعيَّة يسوع شيئًا، أمَّا الوقوف من أجله فكان أمرًا آخرَ تمامًا. فأيُّ الأفكار جالت

في أذهان الاثني عشر حين قال يسوع: «والآن ها أنا أرسلُكم لتعملوا ما كنتُ أعمله؟»".[١٢]

تخيَّلِ الحصولَ على وظيفةٍ تعمل بها لحساب أحكَمِ وأغنى إنسانٍ، فيخبرك في المقابلة الشخصيَّة أنَّه يرى إمكانيَّة عظيمة فيك، وأنَّه يريد مساعدتك على تنميتِها وجعلك ناجحًا. فتخبره ما فكَّرتَ فيه بشأن ما عليك فعله في حياتك، لكنَّه يعرضُ عليك رؤيةً مُلهِمة لما يناسبُ مواهبَك وقدراتك، بل يساعدك لترى مناطقَ في حياتك لم يخطرْ في بالِكَ أنَّ في وُسعِكَ التميُّز فيها. وفوق هذا، يَعِدُ بأن يدرِّبك تدريبًا شخصيًّا لترى كلَّ الأمور التي وصفها تتحقَّق. أغلب الناس سيحسَبون هذا شرفًا وامتيازًا رائعًا، وسيبدو حماقةً لمعظم الناس ألَّا يفكِّروا في هذه النوعيَّةِ من الفُرص.

والآن تخيَّلِ الآتي: خالق الكون، الإله كُلِّيُّ الحكمة وكُلِّيُّ المعرفة يريد إقامةَ علاقة بك. بالتأكيد لديه أعظم فكرٍ ثاقبٍ بشأن نقاط قوَّتك ونقاط ضعفك، ويعرضُ عليك مساعدتك على تعظيم عطاياك ومواهبك للمساعدة على تغيير العالم، فهل سترى هذا أمرًا جائرًا ومُسيطِرًا أم أمرًا أعظم بكثيرٍ من أن يساعدك أذكى أو أغنى شخصٍ؟

هذه هي العقليَّة التي نحتاج إلى غرْسها في آخرين، فالله يستخدمُ الناسَ ليساعدوا في عمليَّة سكْبِ حكمته ومحبَّته في خليقته. أنا شخصيًّا شاكرٌ جدًّا على العدد الكبير من الناس الذين أحدثوا فرقًا في حياتي بسكْبِهم حكمةً فيَّ، ثمَّ أطلقوني لأذهب وأُحدِثَ فرقًا.

جوي بونافاسيو، وهو أحد أكثر القادة المُمَكِّنين الذين أعرفهم، وهو يخدم في مانيلا. وقد كتب قائلًا: "على كلِّ شخصٍ- سواءٌ كان رجلًا أم امرأة؛ صغيرًا أم كبيرًا؛ غنيًّا أم فقيرًا- أن يكونَ تلميذًا مُتَلمِذًا. وهذا هو رجاءُ الأمم والطريقة التي بها يتغيَّر العالمُ شخصًا بعدَ آخر. ولهذه المأموريَّة وَعدَ يسوعُ أنَّنا سننال قوَّة، حينَ قالَ: «وها أنا معكم كلَّ الأيَّام إلى انقضاءِ الدهر»".[١٣]

الخلاصة

إنَّ الإلمامَ الكامل بما يعنيه أن يكونَ الشخصُ تابعًا للمسيح هو أمرٌ حافلٌ بالتحدِّي، ولا سيَّما في مثل هذه النظرة العامَّة الموجزة. وحيث إنَّ صُوَر مَن يواجهون تهديداتٍ لحياتهم هي إحدى الصور الواضحة للتحدِّيات التي قد تواجهُها، فإنَّ هناك أيضًا صورةَ السلام والفرح الرائعَين. وهذا ما انجذبتُ إليه، إذِ انجذبتُ إلى شعبٍ ملآنٍ بمحبَّة لله وبمحبَّة بعضهم بعضًا. وهناك أيضًا وعدُ القوَّة في مساعدة الآخرين، إذ قال يسوعُ: "لكنَّكم ستنالون قوَّة متى حلَّ الروحُ القدس عليكم" (أعمال ١: ٨).

لقد اختبرنا عمليَّةً بسيطةً تتكوَّن من أربع خطوات يمكن أن ترشدَ في تحقيقِ وصيَّةِ الربِّ أن نصنعَ تلاميذَ من كلِّ الأمم. وهي تُقدَّم في أربع كلمات تبدأ في الإنكليزيَّة بالحرف (E) وفي العربيَّة بالحرف "إ": إشراك (Engage)، إنشاء (Establish)، إعداد (Equip)، وإعطاء القوَّة والتمكين (Empower).

نحن مدعوُّون لكي نُشرك غير المؤمنين في الإنجيل، وننشئ أساساتٍ للكتاب المقدَّس في حياتهم، مع مساعدتهم على تعلُّم كلمة الله، وإعدادهم ليعملوا عمل الخدمة، وإعطائهم القوَّة لتحقيق الهدف الذي يعطيهم الله إيَّاه.

كان لستيف موريل ثلاثة أبناء يلعبون التنس في الجامعة، وكان يُمضي الكثير من الساعات يشاهدهم وهم يتمرَّنون ويلعبون عددًا كبيرًا من المباريات. ويسترجع ستيف حكمةَ واحدٍ من مدرِّبي ابنه، الذي كان يشجِّع لاعبيه باستمرارٍ ألَّا يملُّوا إطلاقًا من الضربات المملَّة القديمة الأساسيَّة:

> "كان المدرِّب توم (Tom) يقول: «أتريد الفوز؟ عليك إذًا التمكُّن من الضربات المملَّة القديمة الأساسيَّة ذاتها، إلى أن تتمكَّنَ من إطلاقِ الضربةِ اللولبيَّة التي تريدها. ما من سحرٍ هنا، فقط الضربات المُملَّة القديمة الأساسيَّة!» أعتقد أنِّي أقود الكنيسة بالطريقة نفسها التي يُدرِّب بها توم لاعبي التنس. هل تريد أن تُتلمِذ؟ لا يتطلَّب الأمرُ شيئًا وَهْميًّا، فقط

الضربات المُملَّة الأساسيَّة القديمة ذاتها: إشراك، إنشاء، إعداد، وإعطاء القوَّة والتمكين؛ إشراك، إنشاء، إعداد، وإعطاء القوَّة والتمكين؛ إشراك، إنشاء، إعداد، وإعطاء القوَّة والتمكين، وهذا هو كلُّ ما نفعله في كنيستنا منذ عام ١٩٨٤م، الضربات المملَّة القديمة الأساسيَّة.[١٤]

١٠

المدافعون عن الإيمان

مستعدُّون لمشاركة الإنجيل

"إذا كان الأولاد يرَون أنفسهم بأنَّهم مسيحيُّون، فذلك غالبًا ليس لأنَّهم درسوا الحقائقَ وأتوا إلى نقطةِ اقتناعٍ فكريٍّ، بل لأنَّ عائلتَهم مسيحيَّة، لذا يعتقدون أنَّهم لا بدَّ أن يكونوا مسيحيِّين أيضًا".[١]

بوب بلتز

إنَّ النُّسخةَ البائسةَ للعالم الآتي، والتي نجدها في روايات مثل "**مباريات الجوع**" *(Hunger Games)* و"**مُتشعِّبة**" *(Divergent)* و"**عدَّاء المتاهة**" *(Maze Runner)*، تتوقَّع أنَّه سيأتي يومٌ ما تنزعُ فيه حكوماتٌ استبداديَّةٌ كلَّ الحرِّيَّات الفرديَّة لضمان سلامٍ مُصطَنَع. وأيُّ توجُّه يطلب العكسَ، يُقطَع من مكانِه بسرعةٍ وقسوة. وتُهيمِن فكرةُ جورج أورويل (George Orwell)، وهي فكرة السُّلطة المتحكِّمة التي ترى كلَّ شيء، وتغتصب الحرِّيَّات الفرديَّة. ورغم ذلك، ففي كلِّ حالةٍ يظهرُ بطلٌ مكافحٌ يخلِّص الناسَ من العبوديَّة والسيطرة التي يمارسها بشدَّةٍ عدوٌّ خانقٌ مؤذٍ. وفي الغالب يكون الشبابُ هم مَن يَصِلون إلى معرفةِ ما هو حقيقيٌّ فعلًا، ويتعلَّمون مكافحةَ قوى الظلام بمختلف أشكالِها، وبعدها ينتصرون. وقد ألَّف جاي. آر. آر. تولكين (J. R. R. Tolkien) وسي. أس. لِويس (C. S. Lewis) رواياتٍ مثل "**سيِّد الخواتم**" *(Lord of the Rings)*

و"حكايات عالم نارنيا"* *(The Chronicles of Narnia)* التي تحكي عن تحدِّيات جمَّة لا تُصدَّق، حيث قُدِّمتِ الدعوةُ إلى شبابٍ غير مستعدِّين لينهَضوا ويتصرَّفوا ببطولةٍ وشجاعةٍ من أجل صدِّ الظلمة الزاحفة.

هذه القصص مُلهِمة وحافلةٌ بالتحدِّي، لكنَّها ليست أكثر من ذلك؛ فهي مجرَّدُ قصص. ولأتباع السيِّد المسيح، هذا الصراع ليس قصَّةً خياليَّة، إذ نرى النُّسخةَ الحقيقيَّة من هذا السيناريو في الدعوة المسيحيَّة للمناداة بحقِّ الإنجيل. وبذلك ينطلق الأسرى أحرارًا من العبوديَّة الروحيَّة، ومن سيطرة قُوى أكثر غَدرًا وخداعًا من القُوى التي تُصوِّرها الأفلام. وفي هذا الصراع الكونيِّ، صراعِ الخيرِ والشرِّ، لا يوجد ركنٌ محايد؛ فعلى الكلِّ أن يقرِّروا أين يقفون وبماذا يؤمنون والطريقة التي يمكنهم بها أن يُحدثوا فرقًا في جيلهم.

أسَرَتْ هذه الدعوة لتغيير العالم خيالي في أثناء السنة الأخيرة لي في الجامعة، فلم تكُن هناك أيَّة وظيفة أو فرصة تهمُّ قلبي أكثر من الاحتياج لأن يعرفَ الناسُ المسيح. وكان تحوُّل أخي الأكبر المتشكِّك في سنته الدراسيَّة الثالثة في كلِّيَّة الحقوق هو ما أظهرَ لي بوضوح الفرقَ الذي يمكن أن يُحدِثَه حقُّ المسيح في مَن يبدون أبعدَ ما يكون من الله. وأتذكَّر أنِّي قلتُ: "إذا كان الله يستطيع تغييره، فيمكنه إذًا تغيير أيِّ شخصٍ آخر".

وقد ركَّزتُ لأكثر من ثلاثين عامًا على الوصول إلى طُلَّاب الجامعات، واليوم تصل خدمتُنا إلى مئات الجامعات في أكثر من ستِّين بلدًا. وقد ألهَمَنا الكثيرون ممَّن ذهبوا قبلنا، ورأينا بهم كيف أنَّ الشبابَ منفتحون على التقديم المعقولِ للإنجيل ولحقِّ الإيمان المسيحيِّ. والإحصائيَّات التي تشير إلى عدد الشباب الذين يتركون إيمانهم بمجرَّد التحاقِهم بالجامعة- تجعل القضيَّةَ أكثر إلحاحًا لتدريب أكبر عددٍ ممكنٍ، وبأسرع ما يمكن.

---

* سلسلة "حكايات عالم نارنيا" للأديب البريطانيِّ سي. أس. لِويس من منشورات أوفير للطباعة والنشر (الناشر).

يحتاج كلُّ مؤمن لأنْ يشترك في عمليَّة التعلُّم

لقد كان لي امتياز أن تدرَّبتُ وتعلَّمتُ على يد بعض أفضل العقول المسيحيَّة، وأشعر باتِّضاعٍ شديدٍ حين أقفُ أمامَ رجالٍ ونساءٍ كرَّسوا قلوبَهم وأذهانَهم لتوصيل حقِّ الإيمان مستَخدِمين مهنتَهم أو منبرَهم الأكاديميّ. ولسببٍ ما، لا يصلُ كثيرٌ من كتاباتهم وحكمتِهم اللافتةِ إلى مستوى القاعدة الشعبيَّة، فلا يصل إلَّا التأثير الذي يمكنُ أن يؤثِّرَ في المؤمن العاديِّ. ورجائي هو أنْ تجعلَ هذه المادَّةُ المعرفة المهمَّة متاحةً للمؤمنين من كافَّة مجالاتِ الحياة.

كما ذكرنا في الفصل السابق، أوَّل ناحية من التلمذة هي إشراكُ الناس بحقِّ الإنجيل، ورجاؤنا في هذا الفصل هو استحضار كلِّ ما ناقشناه في هذا الكتاب (فضلًا عمَّا ناقشناه في كتاب "الله **ليس** ميتًا") إلى نقاطِ تركيزٍ عمليَّةٍ بحيث يُمكن أن تصلَ المعلومات، وكذلك الإعلان عن الحقِّ، إلى آخرين.

الكرازة والدفاعيَّات متَّصلان

حين سمعتُ كلمة **دفاعيَّات** (Apologetics) للمرَّة الأولى، بدت لي كأنَّ على المسيحيِّين الاعتذار دفاعًا عن ريائهم وسلوكهم السيِّئ؛ فقد كان ذلك هو كلُّ ما أعرفه في نشأتي بينما كنتُ أحضرُ الكنيسة. وحين أفكِّر في بعض الأمور الفظيعة التي تعلَّمتُها بينما كنتُ منخرطًا في فعَّاليَّاتِ الكنيسة وأنشطتها، لا يزال الأمر يُغضبُني. كانت هناك مجموعة من المجلَّات الإباحيَّة تحت دَرَجِ قاعةِ الشباب في الكنيسة التي كنتُ أذهبُ إليها أيَّام دراستي الابتدائيَّة. ولم يكُن هناك عمليًّا أيُّ فارق ما بين حياةِ مَن يحضُرون الكنيسةَ ومَن لا يحضرونها. وهذه النوعيَّة من الخبرة جعلتْ من أخي الأكبر مُلحِدًا، وأكَّدتْ لي ببساطة أنَّ أسلوبَ الحياة غير الأخلاقيِّ الذي كنتُ مزمعًا أن أتبنَّاه بعد بضع سنوات هو أسلوبٌ مقبولٌ وعلى ما يُرام.

غير أنَّ الدفاعيَّات لا تتعلَّق بالاعتذار دفاعًا عن إخفاقات مَن يدَّعون أنَّهم مسيحيُّون، لكنَّها تتعلَّق بتقديم أسباب إيمانك. بكلماتٍ أخرى، أنت تدفعُ بأسبابك، وتأتي الكلمة اليونانيَّة "أپولوجيا" (Apologia) في ١بطرس ٣: ١٥ حيث تقول: "مُستعِدِّين دائمًا لمجاوبة كلِّ مَن يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم، بوداعة وخوف". وكما سنناقش حالًا، سنجدُ أنَّ الجزءَ الأخيرَ من تلك الآية هو بأهمِّيَّةِ الجزءِ الأوَّل.

أتذكَّر التأثيرَ الذي أحدثَتْه فيَّ قراءةُ كتاب "**برهان يتطلَّب قرارًا**" *(Evidence That Demands a Verdict)* لجوش ماكدويل (Josh McDowell)† منذ سنوات. فحقيقة وجودِ برهانٍ حقيقيٍّ داعم لموثوقيَّة الكتاب المقدَّس، وقيامة يسوع، أعطَتْني ثقةً كافيةً لإشراك طُلَّاب الجامعات، محاولًا مساعدتهم على فكِّ تشابكات عدم الإيمان التي كانوا قد وقعوا في شِراكها. ورغم أنِّي لم أكُن أعرفُ الكثير، فإنَّ القليلَ الذي كنتُ أعرفُه حَماني على الأقلِّ من أن أنجرفَ بسبب الفياضانات المفاجئة من التشكُّك المنتشر في مكانٍ مثل الجامعة.

ثمَّ اكتشفتُ آياتٍ مثل ٢كورنثوس ١٠: ٣-٥: "لأنَّنا وإنْ كُنَّا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسديَّة، بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنونًا وكلَّ عُلْوٍ يرتفع ضدَّ معرفة الله، ومستأسرين كلَّ فِكْر إلى طاعة المسيح". تشيرُ الحصونُ هنا إلى الحصون الفكريَّة في أذهان الناس، ونحن مدعوُّون إلى هَدْم تلك الحصون بمعرفة المسيح، ثمَّ تقول الآية "مستأسرين كلَّ فكر" إلى طاعة تلك المعرفة، وعلينا استئسار كلِّ فكرٍ؛ لأنَّ فكرةً خاطئةً واحدةً كفيلةٌ بأن تستأسرَك.

مرَّات ومرَّات في محادثاتٍ مع مؤمنين وغير مؤمنين على حدٍّ سواء، لا تزال الشهادة مُكرَّرة: أنَّهم إمَّا جاءوا إلى المسيح وإمَّا زاغوا عن الإيمان بسبب أفكارٍ بدَتْ

† كتاب "برهان جديد يتطلَّب قرارًا"، منشور باللغة العربيَّة في أواخر القرن العشرين (من منشورات دار الثقافة، القاهرة)، وهو كتاب يستحقُّ القراءة في هذه الأيَّام أيضًا (الناشر).

كأنَّها تُغيِّر نظرتَهم ما بين ليلة وضحاها. والجهلُ بحقِّ الله يتسبَّب في كونك عُرضةً تقريبًا لأيِّ نوعٍ وكلِّ نوعٍ من الخداع. وبالعكس، إذ يمكن أن تكونَ معرفةُ الله أشبَهَ بحصنٍ إيجابيٍّ، مُنتِجةً سلامًا وجَسارة. وها إنَّ رياحَ التغيير تجتاحُ الثقافة الغربيَّة، مسبِّبةً تشويشًا هائلًا في مناطق الأخلاقيَّات الجنسيَّة، بل في الهويَّة الجندريَّة، وهذه شهادةٌ على النقص المأسويِّ في الحقِّ اللازم من أجل إرساء حياتنا الشخصيَّة ومجتمعاتنا إرساءً نافعًا.

سلاحُ الله الكامل

"أخيرًا يا إخوتي تقوَّوا في الربِّ وفي شدَّة قوَّته. البَسُوا سلاحَ الله الكاملَ لكي تقدروا أنْ تثبتوا ضدَّ مكايد إبليس" (أفسس ٦: ١٠-١١).

قبل الخروج من أجل مساعدة الآخرين، عليك الاستعداد من أجل المعركة، وهذا التذكيرُ بشأن ارتداء سلاح الله ليس مجرَّد درسٍ لطيفٍ من دروس مدارس الأحد؛ فقد حاول كثيرون خدمةَ آخرين ولم يكونوا مستعدِّين للتعامل مع ما أُثير من اعتراضاتٍ على الإيمان. وفوقَ ذلك، تظهرُ حقيقةُ أنَّ هذا الصراعَ ليس صراعًا فكريًّا، كما يذكرُ النصُّ الافتتاحيُّ، بل هو في الواقع صراعٌ روحيٌّ. ويتطلَّب الأمرُ استعدادًا ليكونَ المرءُ قادرًا على تحمُّل الهجوم الذي تَسبَّبَ في ارتداد الآخرين تاركين الإيمان. فالأمر مثل الذهاب إلى منطقةٍ موبوءةٍ بڤيروس قاتل، فمثلما نرى مَن يعملون في مراكزِ مكافحة الأمراض يرتَدون سترات واقية لتحميَهم من أن يتأثَّروا بالڤيروسات والجراثيم التي دمَّرتْ آخرين، فيمكن القول إنَّ سلاح الله يُشبه تلك السترةَ الواقية، والمُكوِّنات الدفاعيَّة التي تسردُها الآياتُ التالية للفقرة المذكورةِ آنفًا تتناوَلُ خوذةَ الخلاصِ وسيفَ الروح وتُرسَ الإيمان لإطفاء جميعِ سِهامِ الشرِّير الملتهبة (أعداد ١٤-١٨).

في أثناء تأليفِ هذا الكتاب؛ وتأليف كتاب "الله ليس ميتًا"، أمضيتُ مئاتِ الساعات في الاستماع إلى عروضٍ تشكُّككيَّة وقراءة كتبٍ ألَّفها أكثرُ المفكِّرين المُلحدين المتحمِّسين في زمننا. وبينما تأمَّلتُ طويلًا في كتاباتهم، كان هدفي التحقُّق من عدم وجود شكوكٍ أو اتِّهاماتٍ في قلبي وذهني ضدَّ الله تحملُ تحدِّيًا ما. وكانت مهمَّةً صعبةً أن أستمعَ إلى تعليقاتٍ لا حصر لها تُقدَّم بغرضٍ واضحٍ للتَّشكيك المقصود في الإيمان المسيحيِّ. ثمَّ أن أبحثَ بعُمقٍ وأردَّ على الحُجج العنيدة. وقد احتجتُ أحيانًا إلى استخدام ترس الإيمان لإطفاء هذا المذاق الحافلِ بالشكِّ الذي تخلِّفُه هذه الكتابات. وكنتُ أذكِّر نفسي أنَّه ليس هناك شخصٌ موضوعيٌّ حقًّا، لا أنا ولا المتشكِّكون أيضًا. وقد فعلتُ ما في وُسعي لأكون واضحًا وأقول إنَّ دافعي لتأليف هذا الكتاب هو أن أساعدَ الناسَ ليؤمنوا بأنَّ يسوع المسيح هو ابن الله، مثلما قال الرسولُ يوحنَّا: "وأمَّا هذه فقد كُتبتْ لتؤمنوا أنَّ يسوع هو المسيحُ ابنُ الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمِه" (يوحنَّا ٢٠: ٣١).

في الفصل التاسع، نظرنا إلى موضوعِ أنْ يكونَ الشخصُ تلميذًا ليسوع أوَّلًا وقبل كلِّ شيء، وكلُّ النواحي المتعلِّقة بتواصلِ الشخصِ بمجموعةٍ من المؤمنين في شركةٍ، وإعداده وتدريبه وتعلُّمه ليسلكَ في تعاليمِ المسيح ضمنَ بيئةٍ شفَّافةٍ منفتحة- لا بدَّ أن تكونَ كلُّ هذه النواحي جزءًا من حياتك قبل أن يمكنك أن تشرعَ في مساعدة الآخرين؛ فيسوع أرسلَ تلاميذه اثنين اثنين، وما من عيبٍ في إدراك احتياجنا إلى آخرين في حياتنا لمساعدتنا. وبهذا النوع من الأساس الراسخ يمكننا أن نساعدَ الآخرين بثقة.

حين قرَّرتُ اتِّباعَ المسيح وقبولَ الإيمانِ به في الجامعة، كان لديَّ امتيازُ وجودِ مجموعةٍ صغيرةٍ من الأصدقاء المسيحيِّين، وكنيسة تابعة للجامعة كنتُ جزءًا منها. وتلك المجموعة الصغيرة كانت أشبَه بطَوقِ النجاة لي في تلك الأيَّام الأولى؛ فكوني أتمتَّعُ بوجودِ آخرين أستطيع أن أشاركهم صراعاتي، وأتعلَّم منهم أيضًا جعلني أستمرُّ في النموِّ روحيًّا بدلَ أن أزوغَ بعيدًا. ومرَّتْ بي أيَّامٌ حُفِظْتُ فيها من المشكلات بقوَّةِ

رفقائي في السكن، وتحمُّلهم المسؤوليَّة بسبب المعارضة المستمرَّة التي كنتُ أواجهُها في مكان الدراسة. وقد نجوتُ، بل استطعتُ أيضًا أن أساعدَ آخرين. وبسبب هذا النوع من الدعم استطعتُ مساعدة الكثير من أصدقائي امتدَّتْ صداقتُنا على مدى وقتٍ طويل، علاوةً على أفراد عائلتي ليقبلوا الإيمان بالمسيح.

بعد التخرُّج في الجامعة، شرعتُ في تأسيس مجموعاتٍ من المؤمنين بالمسيح في مجتمعات جامعيَّة حول العالم. وكان جوهرُ هذه المجتمعات يتَّخذ نموذجًا له ما كنتُ قد استفدتُ منه واختبرتُه خلال أيَّام دراستي. وغالبًا ما لا تجدُ هذه الأمور حين تقرأ كتبًا عن الدفاعيَّات؛ إذ يريدُ الناسُ أن يبدأوا بعَرْض البرهان الداعم لله وعرْض مناطق القصور في تحدِّيات المشكِّكين. لكنَّ علينا أن نكونَ أوَّلًا تابعين راسخين للمسيح لنكونَ أفضلَ مَن يشهدُ عنه للآخرين. ولأنَّ هدف جهودنا هو أن نجلب غير المؤمنين إلى الإيمان بالمسيح، فعلى المؤمنين الجددِ الانضمام إلى مجتمع من المؤمنين لكي ينموا ويجدوا الحماية والتغذية بينما يتطوَّر إيمانُهم. فإنْ لم نتعهَّد بشركة مؤمنين، لا يُرجَّح أن يكونَ لنا تأثيرٌ في الذين نحاول مساعدتَهم.

فضلًا عن ذلك، ينبغي لجماهير العابدين أن يتعلَّموا أن تكونَ اجتماعاتُهم أماكنَ حيث يكون التبشير والدفاعيَّات جزءًا لا يتجزَّأ من نسيجهم؛ فمن المستحيل النموُّ روحيًّا دون تعلُّم مساعدة آخرين ليأتوا إلى مكانِ الإيمان. ويا لها من ظاهرة غريبة! لكنْ كلَّما ساعدْتَ آخرين، اشتدَّ إيمانُك وتقوَّى. وقد قادتني معرفةُ هذا الحقِّ إلى تكريس جزءٍ مهمٍّ من وقتي لمساعدة الناس والكنائس أيضًا، ليتعلَّموا مشاركة حقِّ الإيمان المسيحيِّ والدفاع عنه.

العطيَّة المفقودة- الكارزون

وصلتُ مبكِّرًا في حياتي المسيحيَّة إلى إدراك أنِّي مدعوٌّ لأكونَ كارزًا (مبشِّرًا). وهذه الموهبةُ مذكورةٌ في الكتاب المقدَّس بوصفها إحدى المواهبِ الأساسيَّة التي

أعطاها الله للكنيسة لمساعدة الناس على النموِّ روحيًّا. "وهو أعطى البعضَ أنْ يكونوا رسلًا، والبعضَ أنبياء، والبعضَ مبشِّرين، والبعضَ رعاة ومعلِّمين، لأجل تكميل القدِّيسين لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أنْ ننتهي جميعنا إلى وحدانيَّة الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح" (أفسس ٤: ١١-١٣)، فالكارزون هم أشخاصٌ وهبهم الله عطيَّةً ليساعدوا على تقديم نموذج فعَّال للكرازة وإعداد مؤمنين ليصيروا متواصلين مُثمرين للإنجيل. وحتَّى تكونَ لديك كنيسةٌ برؤية إرساليَّة، يجب أن تكون لديك هذه الموهبةُ من الله لتصيرَ هذه الرغبة حقيقةً. ويعملُ الكارزون مثل المدرِّبين في مساعدتهم لك على الاحتفاظ بالزخم الناتج عن ممارسة هذه المبادئ.

كانت رسالتي لدرجة الدكتوراه في كُلِّيَّة فولر للدراسات اللاهوتيَّة (Fuller Theological Seminary) عن "موهبة الكرازة" (The Gift of the Evangelist). وحين نُشرتْ في عام ٢٠١٠م، أخبروني بأنَّها أوَّل رسالة دكتوراه في العالم عن تلك الموهبة، وقد أذهَلني إدراكُ ذلك؛ فقد كانت هناك دون شكٍّ المئات من الرسائل العلميَّة والدراسات عن الكرازة، لكن لم تكُن هناك أيَّة رسالةٍ (على قدر معرفتنا في ذلك الحين) عن الموهبة المُحدَّدة التي أعطاها الله لتصيرَ الكرازةُ حقيقة. وقد مُنحَتْ موهبةُ الكرازة للكنيسة لكي تُعدَّ أناسَ الله ليكرزوا. فإنْ لم تعمل تلك الموهبة، كانَتِ النتيجةُ قلَّةَ إثمارٍ في تلك المنطقة، وهذا بالضبط ما تخبرنا به الإحصائيَّات.

أذكرُ الكارزين تحديدًا؛ لأنَّ مَن يعملون في الدفاعيَّات عادةً ما تكون لديهم هذه الموهبة والدعوة، وهُم شغوفون بشأن تدريب أكبر عددٍ ممكنٍ على فَهْم المعتقدات المحوريَّة للإيمان، والأسباب التي تجعل هذه المعتقدات حقيقيَّة. كما يميل المدافعون لأنْ يكونوا مُعلِّمين أيضًا، لكنَّ عددًا كبيرًا منهم يتوقُ إلى رؤيةِ الناسِ يأتون إلى معرفة الحقِّ ونَيلِ الخلاص.

إحدى أكبر الكنائس في العالم هي في مانيلا في الفيلبِّين، ويحضُرُ فيها أكثر من ثمانين ألف شخصٍ، مع أكثر من ثمانية آلاف مجموعة صغيرة يلتقون في بحرِ الأسبوع. والخادم الرئيسيُّ فيها هو فيردي كابيلينغ (Ferdie Cabiling)، وقد أتى إلى المسيح في صيف عام ١٩٨٤م، حين تأسَّس جمهورُ العابدين في برنامج قافلةٍ صيفيٍّ يتكوَّن من تسعة وخمسين طالبًا أميركيًّا وطالبٍ كنديٍّ أتوا جميعًا في رحلة مدَّتُها شهر. وقد نما جمهور العابدين أضعافًا مُضاعَفة منذ ذلك الحين لأسباب عديدة. ويرى فيردي أنَّ النموَّ كان مُذهلًا؛ لأنَّ كلَّ جماهير المتعبِّدين والقادة في المدينة ظلُّوا في تركيزهم على الكرازة والوصول إلى آخرين. ويقول أيضًا: "وُلِد جمهورُنا من العابدين بفضل الكارزين الذين أتوا وكرزوا لنا ببِشارَةِ الإنجيل، ولا يزالُ ذلك الشغفُ مَوجودًا بيننَا. فبوصفي كارزًا وقائدًا، هدفي الأوَّلُ هو أن نتحقَّقَ من بقائنا أوفياء للمسؤوليَّة القصوى التي أعطاها المسيحُ: أن نكرزَ بالإنجيل ونُتلمِذ جميع الأمم".[٢]

في الولايات المتَّحدة، هناك أيضًا نموٌّ ملحوظٌ حين تُميَّز موهبة الكرازة وتُحشَد للعمل بجانب الرعاية والتعليم في الكنيسة المحلِّيَّة. ومن الكنائس الأصغر إلى الأكبر، هناك فارقٌ ملحوظٌ حين يُعترَفُ بالكارزين ويُطلَقون ليَصيروا جزءًا من فريقِ الخدمة. ونسمِّي هذا "كنيسة جاذبةً"؛ لأنَّ الناسَ فيها مُعَدُّون ومجهَّزون لمساعدة آخرين.

عمليَّة إشراك آخرين

يأتي هذا بنا إلى أن نوضِحَ المكوِّناتِ الضروريَّةَ من أجلِ ظُهورِ ثقافةِ دفاعيَّاتٍ وكرازةٍ ناجحة، سواءٌ في الكنائس أم في الحياة اليوميَّة للمؤمنين بالمسيح. معظمُ الأمور المهمَّة التي نتعلَّمُها هي أمورٌ مُمنهَجةٌ يمكن تكرارُها مرَّاتٍ ومرَّاتٍ إلى أن تصيرَ تلقائيَّةً. ويُرى تعليمنا المبكِّر حين تُقدَّم إلينا أساسيَّات الحروف والرياضيَّات في دروس قابلةٍ للتَّكرار والتذكُّر، مثلما يتعلَّمُ الأطفالُ الحروفَ بسماع أغنية من برنامَج "بارني" (Barney). وبمُجرَّد أن يوضع أمرٌ ما في صورة عمليَّة واضحة، يصير أسهل في تعليمه

لآخرين أيضًا. ومن المهمّ استيعاب هذا حين يتعلّق الأمرُ بالكرازةِ والدفاعيّات؛ فهناك قدر هائلٌ من المعلومات المتاحة عن هذين الموضوعَين الحيويَّين. ومع كلِّ المعرفة المتاحة، فإنَّ أغلب المسيحيِّين لا يحوزون أدنى فكرة تقريبًا حين يتعلّق الأمرُ بشَرْح سببِ حقيقةِ الإيمان المسيحيِّ، إذ يعود أغلبُ الناس إلى موضع الدفاع عن "الحقِّ في الإيمان" بدلَ القدرة على إظهار أنَّ ما يؤمنون به صحيح.

لقد أمضَيتُ سنواتٍ محاوِلًا جَعْلَ الكرازةِ والدفاعيّات أمرًا بسيطًا وواضحًا. وفي الكثير من الأوقات، تتركّز الرسائل بشأن الكرازةِ على التفويض الواردِ في الكتابِ المقدَّس بالمناداة بالإنجيل إلى كلِّ الأمم، وهو أمرٌ ينبغي تدريسُه. لكنَّ أغلب هذه الرسائل لا تقدِّم مسارًا واضحًا لتحقيق هذا الهدف، ونقص الوضوح بشأن التدريب يتركُ أغلبيَّة المؤمنين بالمسيح غير فاعلين ومحبَطينَ حين يتعلّق الأمرُ بالكرازة، بل قد يصيبُهم القلق حين يتعلّق الأمرُ بالقدرة على تقديم أيِّ برهان داعمٍ لحقيقة إيمانهم.

يقعُ كثيرٌ من المؤمنين بالمسيح، في حَيرةٍ بشأن الكيفيَّة التي يمكن بها أن يعدِّلوا مسارَهم تعديلًا معقولًا لقَلْب الاتِّجاهات السلبيَّة لدى تحريكهم مسألةَ المسيح إلى الأمام. ويشيرُ ذلك إلى فجوةٍ ضخمةٍ موجودة في أغلب الأماكن حين يتعلّق الأمرُ بالكرازةِ المقصودة والدفاع.

إذا سبقَ لك أن لعبتَ الغولف، تعلمُ أنَّ بضعة تغييرات يمكن أن تُحدث فرقًا كبيرًا في تسديدك، الأمر الذي يقلِّل من مستويات الإحباط لديك، ويحميك من التوقُّف عن ممارسة اللعبة. وقد توقَّف أغلب الناس عن الكرازةِ جرَّاءَ شعورهم بالإحباط المماثل، ولأنَّهم يرَونَ ما يفعلونَه دون جدوى، ويفترضون فقط أنَّه ينبغي لَمن يعملون في المجال الدينيِّ أن يقوموا بذلك. وإنْ لم تتغيَّر هذه العقليَّة، فنحن ندعمُ قضيَّةً خاسرة؛ إذ إنَّ من المستحيل الوصولَ إلى العالم بالخُدَّام المتفرِّغين فقط.

وقد تبدو المبادئ التي نحن بصدد مناقشتها مبادئ بسيطة، لكنَّها حصدتْ نتائجَ حين مورست بأمانة. وقد حاولتُ توضيح العمليَّة واختزالها إلى خمس نقاط

أساسيَّة، وهي المكوِّنات الرئيسيَّة للوصفة التي يمكن بها جَعْلُ أيِّ فردٍ شاهدًا أمينًا، وأيِّ جمهور من المتعبِّدين مكانًا للوصول الفعَّال إلى غير المسيحيِّين.

ولمساعدتك على تذكُّر المكوِّنات الأساسيَّة لكرازةٍ مباشرةٍ ناجحة، إليك كلمتَين مفتاحيَّتَين: **عظيمة** (GREAT) و**ملح** (SALT)‡، وتنطبق كلمة **عظيمة** على الشكل الكُلِّيِّ للعمليَّة التي ننصح بها، وكلمة **ملح** على بُعدٍ أساسيٍّ غيَّر الكرازة، وجعلَ منها خبرةٍ ممتعة ورائعة بدلَ أن تكونَ عبئًا.

أُلهِمَني عددٌ في الكتاب المقدَّس يصفُ خدمةَ يوحنَّا المعمدان لأستخدم كلمة **عظيمة** لتذكِّرَنا بالكرازة. فحين أخبر الملاكُ جبرائيلُ بميلاده ودوره الذي يُعدُّ الطريقَ للمسيَّا، قال: "لأنَّه يكون عظيمًا أمام الربِّ...ويردُّ كثيرين من بني إسرائيل إلى الربِّ إلههم" (لوقا ١: ١٥-١٦). وتمثَّلتْ عظمة يوحنَّا في شخصيَّته وقدرته على ردِّ الناس إلى الله. ويشير هذا إلى كلمات قالها ما يعتقدُ كثير من العُلماء أنَّه الملاك ذاته الذي أتى إلى النبيِّ دانيال قبل ذلك بأكثر من خمس مئة سنة قائلًا: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبديَّة، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبديِّ. والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد، والذين ردُّوا كثيرين إلى البرِّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دانيال ١٢: ٢-٣).

ليس هناك شكٌّ أنَّ الله يهتمُّ بالذين يأتون إلى معرفته، ويَعِدُ بمباركة أولئك المستعدِّين لأنْ يكونوا أدواتٍ يمكنه استخدامُهم في تلك العمليَّة. وهناك الكثير من الطُّرق الأخرى لجلبِ السرورِ إلى الله، لكنِّي أعتقد أنْ ليسَت هناك طريقة أخرى أهمُّ من توصيل الإنجيل إلى الآخرين، فكما قال يسوعُ: "لأنَّ ابن الإنسان قد جاء لكي يطلبَ ويخلِّصَ ما قد هَلَكَ" (لوقا ١٩: ١٠).

---

‡ للتوضيح: يشرحُ الكاتب خمسَ كلمات تبدأ حروفُها الأولى بحروف كلمة "GREAT" الإنكليزيَّة، وكذلك أربع كلماتٍ تبدأ حروفُها الأولى بحروف كلمة "SALT" الإنكليزيَّة (الناشر).

إنجيل (Gospel)

يبدأ كلُّ شيء بتمكُّنٍ واضح من الإنجيل، وقد كُتبت مجلَّدات عن كلِّ نواحي معانيه ومدى تأثيره. ونتكلَّمُ هنا عن **حفظ** تعريفٍ واضح لما هو الإنجيل **والتمكُّن** منه. فإذا استطعتَ التعبيرَ عن الإنجيل في محادثةٍ، ستكون قادرًا على تقديم فرصةٍ معقولةٍ لشخص ما ليَفهمَ رسالتَه ويقبلَها.

عندما تسألُ مؤمنًا بالمسيح عن معنى الإنجيل، كثيرًا ما تحصل على إجاباتٍ متنوِّعةٍ عديدة. ولو كانت هذه الإجابات إرشادات للوصول إلى مكانٍ ما، فستضلُّ طريقك. وقد وجدنا أنَّه حين تُعلِّم الناس أن يعبِّروا عن الإنجيل بوضوح، فهذا يؤدِّي إلى تعزيز ثقتهم وزيادة احتماليَّة أن يخبروا شخصًا آخر بالإنجيل. فلننظُرْ ثانيةً إلى تعريف الإنجيل الذي قدَّمناه في الفصل الرابع:

> **الإنجيل** هو الخبرُ السارُّ أنَّ الله صارَ إنسانًا في يسوع المسيح، وعاش الحياة التي كان ينبغي أن نعيشَها، ومات بدلًا منَّا الميتةَ التي كان ينبغي أن نموتها. وبعد ثلاثة أيَّام، قام من الأموات، مبرهنًا أنَّه ابن الله، ومقدِّمًا عطيَّةَ الخلاصِ للَّذين يتوبون ويؤمنون به.

إذا فهمتَ معنى هذا التعريف، وهو تلخيصٌ لآياتٍ مختلفةٍ تتعلَّق بجوهر العمل الخلاصيِّ للسيِّد المسيح الذي أنجزه نيابةً عنَّا، ستكون حينها قادرًا على مساعدةِ آخرين، بينما تساعد نفسك وفي الوقت نفسه. وأعني بهذا أنَّ الإنجيل هو القوَّة التي تُبقيك آمنًا، بغضِّ النظر عن المعارضة الروحيَّة، كمَّا أنَّه القوَّة التي تُبقيك مستمرًّا بالحُجج الفكريَّة المضادَّةِ للإيمان المسيحيِّ.

صار الله إنسانًا في يسوع المسيح. خطا الله إلى العالم باتِّخاذه جسمًا بشريًّا. وبينما تدعو أديان العالم الإنسانَ لكي يصعدَ ويعمل جاهدًا ليصلَ في طريقه إلى الله، تشرحُ المسيحيَّة أنَّ الله نزل إلينا.

عاش الحياةَ التي كان ينبغي أن نعيشَها. يتوقَّع الله منَّا التزامَ الناموس الأخلاقيِّ. وقد عاش السيِّدُ المسيحُ حياةً مثاليَّةً كاملةً، وقدَّمتْ حياتُه نموذجًا لحياةٍ خاضعةٍ بالكامل لله، كما كانت هي الحياةَ التي قصدَها الله أن يحياها كلُّ البشر.

مات بدلًا منَّا الميتةَ التي كان ينبغي أن نموتها. هذه حقيقةٌ من الصعب على المتشكِّكين تبنِّيها، حقيقة أنَّ الشرَّ ينبغي أن يُعاقَب، لكنْ إنْ لم تكُنْ هناك نتيجةٌ مترتِّبة على تجاوُزِ القانون، لا يصيرُ القانونُ قانونًا عندئذٍ. وقد حمل السيِّدُ المسيحُ عقابَنا بأخذِه مكاننا بموته على صليب رومانيٍّ.

بعد ثلاثة أيَّام، قام من الأموات. برهنتْ قيامةُ المسيح من الأموات على هُويَّته وأثبتَتْ أنَّ سلطانَه حقيقيٌّ، كما أنَّها تعطينا رجاءً أنَّ هناك حياةً بعد الموت. ويُؤكِّد هذا أيضًا تصريحُه الحصريُّ عن كَونِه الطريقَ الوحيد إلى الله.

يقدِّمُ عطيَّةَ الخلاصِ للَّذين يتوبون ويؤمنون به. في عطيَّة الخلاص المُقدَّمة من الله نتلقَّى ليس فقط غفرانًا للخطايا، بل أيضًا ننالُ خلاصًا من قوَّة الشرِّ وتبعاته، في هذه الحياة، وفي الحياة الآتية أيضًا. ومعنى التوبة هو التحوُّل عن الشرِّ وعن الثقة بجهودنا لنوال خلاصنا. وفي التحوُّل عن الشرِّ نتحوَّل إلى المسيح ونؤمن، والوعد واضحٌ وصريحٌ: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالَمَ حتَّى بذل ابنَه الوحيد، لكي لا يَهلِكَ كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنَّا ٣: ١٦).

الأسباب (Reasons)

بتحديدٍ أكثر، يمكن أن يشير حرف (R) في كلمة (GREAT) إلى **أسباب الإيمان** (Reasons to believe)، وهذا هو جوهر الدفاعيَّات. وقد ذكرنا بالفعل الآية الأساسيَّة في ١بطرس ٣: ١٥، والتي تدعونا لنقدِّم أسبابًا وراءَ الرجاء الذي لنا. وإذا شعرتَ بأنْ ليس لك احتياج إلى الدفاعيَّات، فأغلب الظنِّ أنَّك لا تتعامَلُ كثيرًا مع غير مؤمنين. ويبدو أنَّنا مَهَرة في التحدُّث إلى المؤمنين بالمسيح

ليصيروا مؤمنين أفضل، لكنَّنا لسنا مَهَرة في شرْح الأسباب وراءَ صحَّةِ الإيمان لغير المؤمنين.

إنَّ هدف هذا الكتاب هو تقديم الأسباب وراء الإيمان بأنَّ يسوع هو حقًّا ابن الله وأنَّه قام تاريخيًّا للبرهنة على ذلك التصريح. كما قدَّمنا أسبابًا للإيمان بأنَّ سجلَّات الإنجيل موثوق بها، وفي الكتاب الأوَّل "**الله ليس ميتًا**"، قُدِّمت البراهينُ الأساسيَّةُ الداعمة لوجود الله على نحوٍ تفصيليٍّ. واستطعنا صياغةَ إحدى أهمِّ العبارات: أنَّ "الإيمان الحقيقيَّ ليس أعمى"؛ إذ لا نأتي إلى الله مناقضين المنطق بل بواسطته. فليست هناك نُدرةٌ في البرهان تعطِّل الناسَ عن الإيمان بالله، بل هناك فائضٌ من هذا البرهان حتَّى إنَّنا بلا عُذر. ويتضمَّن هذا بدايةَ الكون، وأصل الحياة والأخلاقيَّات، وشهادة الله في التاريخ بحياةِ يسوع المسيح.

هناك الكثير من المصادر الرائعة في مجال الدفاعيَّات حتَّى إنَّ هناك صعوبةً في تحديد من أين تبدأ، لكن يبقى العملُ الكلاسيكيُّ للأديبِ سي. أس. لِويس "**المسيحيَّة المُجرَّدة**" *(Mere Christianity)*[§] كتابًا أساسيًّا في مجالِ الدفاعيَّات، حتَّى بعد أكثر من ستِّين عامًا على نشرِه. وأحدُ الأعمالِ الكلاسيكيَّة المهمَّة هو كتاب "**الإيمان في عصر التشكيك**"[¶]، ويحمل بالإنكليزيَّة عنوانَ *"The Reason for God"*، من تأليف تيموثي كَلِر (Timothy Keller)، وهو أحدُ الرعاة والمُعلِّمين الأجلَّاء في أميركا اليوم. وهناك الكثير من العُلماء الرائعين، مثل د. غاري هابيرماس (الذي كَتَب تقديمَ هذا الكتاب)، ود. هيو روس (Hugh Ross) عالم الفيزياء الفلكيَّة، ود. جون لينوكس (John Lennox)، وهو فيلسوفٌ وبروفيسور رياضيَّات في جامعة أكسفورد، ممَّن ألَّفوا كُتبًا متميِّزة تخاطِبُ أصعبَ المتحدِّين الفكريِّين، كما تتحدَّث كتاباتُهم إلى الشباب الذي يُصارع مع الشكوك والمخاوف.

---

§ كتاب "المسيحيَّة المجرَّدة" هو أحدُ منشوراتِ أوفير للطباعة والنشر (الناشر).

¶ كتاب "الإيمان في عصر التشكيك" هو أحدُ منشوراتِ أوفير للطباعة والنشر (الناشر).

وهناك أناسٌ آخرون جديرون بالذكر ممَّن يساعدون على إعداد الكنيسة، مثل د. ستيفن سي. ماير من كامبردج، وهو أحدٌ من الأنصار البارزين لحركة التصميم الذكيّ (Intelligent Design Movement)، ود. وليَم لين كريغ، وهو فيلسوف ولاهوتيٌّ تُشاهَد مناظراتُه ملايين المرَّات على موقع يوتيوب، ود. براين ميلر (Brian Miller) الحاصل على درجة الدكتوراه في الفيزياء، ولعب دورًا حيويًّا في هذا المشروع، ود. فرانك توريك (Frank Turek)، وهو مُناظِرٌ ممتاز يتميَّز بقدرات هائلة. وجاي. وارنر والاس (J. Warner Wallace)، وهو محقِّق في القضايا القديمة، والذي أتى إلى الإيمان من الإلحاد بعد أن خلُص إلى أنَّ الأناجيل هي حقًّا سجلَّات شهود عيان موثوقٌ بها. وتنضمُّ أيضًا إلى هذه القائمة ماري جُو شارْپ (Mary Jo Sharp)، وهي مُلهِمةٌ للنساء ليَصرنَ أصواتًا رائدةً في هذا المجالِ الحاسم من الخدمة. وقد كرَّس هؤلاء جميعًا، وكثيرون آخرون، أنفسَهم للمساعدة على تمكين الناس من كلِّ الأعمار والخلفيَّات التعليميَّة ليصيروا مدافِعين عن الإيمان.

هناك أيضًا احتياجٌ إلى مساعدةِ الناس أن يفهموا الأسبابَ وراء أنَّ الإيمان المسيحيَّ حقيقيٌّ مقارنةً بالفلسفات والأديان الأخرى التي تتنافس لنَيلِ قلوب المليارات وأذهانهم حول العالم. وأرجو أن يكون هذا الكتاب قد ساعدك على استيعاب السبب وراء أنَّ يسوع المسيح هو حقًّا الإعلانُ المطلَقُ المُقدَّم إلى البشريَّة من اللهِ، وأنَّه المُرشد الحقيقيُّ إلى الخلاص والسلام.

المواجَدة (Empathy)

ينبغي أن تكون المواجدة أمرًا مفروغًا منه لدى الحديثِ بشأن الكرازة. وتتعلَّقُ المواجدةُ بالتعاطف والرحمة، وفي أسمى صورها بمحبَّة الله للآخرين. وفي قلب هذه العمليَّة، يجب أن يكونَ لنا قلبٌ يشعر بالآخرين، لكنْ في عالمٍ حافلٍ بالحقد والغضب تُجاهَ الأمور التي يشعر الناسُ بشغف نحوها، نجدُ أنَّ الحصولَ على مثلِ هذه

المواجدة ليس بالأمر الهيِّن؛ ففي الحقيقة، يتطلَّب الأمرُ حقًّا عملًا للنعمة في قلوبنا على نحوٍ فائقٍ للطبيعة، والأمر مهمٌّ حتَّى إنَّ د. شون ماكدويل (Sean McDowell) من جامعة بيولا (Biola) أخبرني في مقابلة شخصيَّة أنَّ هدفَه الأساسيَّ هو أن يكونَ المنخرِطون في الدفاعيَّات على مستوى عالٍ من اللباقةِ والكرامةِ: "إذا كانَ لديك الحقّ، فلا داعي للغضب أو نفاد الصبر مع الآخرين. علينا تقديم أسبابنا وراء الإيمان مع كلِّ اللطف والاحترام اللذين يستحقُّهما أناسٌ مخلوقون على صورة الله".[٣]

وفي هذا الصدد، أخبر الرسولُ بولس تيموثاوسَ قائلًا:

> "وعَبْدُ الربِّ لا يجب أنْ يخاصِم، بل يكون مُترفِّقًا بالجميع، صالحًا للتعليم، صبورًا على المشقَّات، مؤدِّبًا بالوداعة المقاوِمين، عسى أنْ يعطيَهم الله توبةً لمعرفة الحقِّ، فيستَفيقوا مِن فخِّ إبليس إذ قد اقتنصهم لإرادته" (٢تيموثاوس ٢: ٢٤-٢٦).

هناك بالتأكيد أناسٌ لطفاء غير مهتمِّين بشأن الله أو الكرازة، وتأتي طباعُهم المرحة تلقائيًّا دون جهدٍ، لكنَّهم الاستثناء وليسوا القاعدة. فحين تشرع في الخروج إلى الناس حاملًا الإنجيل وبرهان حقِّ الإيمان المسيحيِّ، أنت تدعوهم على الأقلِّ إلى جَدَلٍ محتَمَل، أو في بعض الحالات إلى معركةٍ.

وما يعطيني أكبرَ قدرٍ من المواجَدة نحو أولئك المحتاجين هو تذكُّر الصراع الرهيب الذي خضتُه قبل أن أقرِّرَ اتِّباعَ السيِّد المسيح. وحين أتكلَّم إلى أناسٍ يبدون بعيدين من الله، وغير مهتمِّين بمعرفة مثل هذه الأمور، أسترجع في ذهني مشاهدَ ماضيةً لما كنتُ عليه. ولا يتطلَّب الأمرُ منِّي وقتًا طويلًا لتحريك شعور المواجدة داخلي شاعرًا بتوجُّههم المُعادي.

كُلَّما قرأتُ الكتابَ المقدَّس، رأيتُ يسوعَ نفسَه يخرجُ ويتواصلُ بتعاطفٍ مع أمقتِ الشخصيَّات؛ فقد كان أشبَه بالفضيحة للمتديِّن الملتزم أن يراه في سياقاتٍ

مع أناسٍ يُعدُّون أنجاسًا، ولا ينبغي ملامستُهم. وقد كان هذا مبدأً يرشدني بينما أخرج للتواصل مع الآخرين.

كان أحد لاعبي الدوري الوطنيِّ لكرة القدم الأميركيَّة مشهورًا بغضبه وقسوته- وهو الآن مدرِّب مساعد في الدوري. كان يشعرُ بأنَّه فعل الكثير من الأمور السيِّئة في الملعب حتَّى إنَّه لم يكنْ صالحًا بما يكفي ليقبلَ الإيمانَ بالمسيح. وأتت زوجتُه إلى كنيستنا واختبرت لقاءً مع يسوع غيَّر حياتها، وكانت قبل ذلك قد عَملتْ في هوليوود في إدارة مؤسَّسة علاقات عامَّة، كما كانت مؤلِّفة ومُعدَّة لبرامج تلفزيونيَّة. وكثيرًا ما كانت زوجتُه تسخرُ بالمسيحيِّين بسبب سلوكهم الغريب، أمَّا شهادتُها الآن فهي: "صرتُ واحدةً منهم، بعد أن كنتُ أسخر بهم". لكن ظلَّ زوجُها على مسافةٍ بعيدة من أيِّ حوارٍ حقيقيٍّ بشأن الأمور الروحيَّة.

بدأتُ أتواصل معه واستطعتُ رؤية أنَّ وراء القسوة، كانت هناك حسَّاسيَّة ورغبةً مُذهلة تتوق إلى الله. وبعد الكثير من الصلاة دعوتُه لينضمَّ إليَّ في رحلة إلى الأراضي المقدَّسة، وأدهشَني أنَّه وافق. ومنذ وقت وصولنا كان منجذبًا تمامًا. ظلَّ يقول أمورًا مثل: "الأمرُ حقيقيٌّ!"، بمعنى أنَّ الأحداث والأماكن المذكورة في الكتاب المقدَّس حقيقيَّة فعلًا. وبعد بضعة أيَّام من التجوُّل في مدينة القدس، ذهبنا إلى منطقة الجليل حيث كان يسوعُ يُمضي معظمَ وقته وخدمته. وهناك طلبَ ذلك الرجل، الذي كان صلبًا جدًّا من الخارج، أن يعتمد في بحر الجليل (بحيرة طبريَّة). وما بدا ملائمًا هو حقيقةُ أنَّنا عمَّدناه في المكان ذاته الذي فيه أخرج يسوعُ لجئون من الشياطين ليدخلوا في الخنازير. وحين سمع تلك القصَّة، قال: "هذا هو المكان الصحيح لأعتمد فيه". وكثيرًا ما تشير زوجتُه وزملاؤه إلى الفَرقِ الذي أحدثه السيِّدُ المسيحُ في حياة هذا الرجل، سواء في الملعب أم خارجه. وتتشابهُ هذه القصَّة مع ملايين القصص الأخرى، وكلُّ قصَّة فيها من الألم والحزن اللذين تغلَّبتْ عليهما محبَّة الله.

سواء كان الأمر مع أفراد في عائلتك أم زملائك في الدراسة أم مع غرباء تلتقيهم في عملك، هناك فرصة دائمًا لإظهار محبَّة الله للآخرين بطريقةٍ عمليَّة. وتذكَّر أنَّه لا يوجد أيُّ شخص ضالٍّ أو بعيد من الله بحيث لا تصلُ محبَّةُ اللهِ إليه. أو كما قالت كوري تن بوم (Corrie Ten Boom)، التي عانت على أيدي النازيِّين في معسكر اعتقال، وشاهدت أختها تموت تحت التعذيب: "لا توجد هُوَّةٌ أعمق من أن تصل إليها محبَّة الله؛ فمحبَّة الله ستظلُّ أعمق".

بينما نتبع يسوع، فإنَّنا نتعهَّد ليس فقط بالتزام مجموعةٍ من القواعد، بل نتَّبع أيضًا مثالَه في المحبَّة والتعاطف نحو العالم. وبينما تُشرِك الآخرين في الإنجيل وفي أسباب الإيمان، يملأ هذا التعاطف والرحمة كلماتِكَ وأفعالك، كما قال يسوع: "فاذهبوا وتعلَّموا ما هو: «إنِّي أريد رحمة لا ذبيحة»" (متَّى ٩: ١٣).

الاقتراب (Approach)

في أثناء الكرازة، هناك لحظةٌ لا مفرَّ منها حين تقترب بالإنجيل من شخصٍ ما، وهذا ما يُرعِب الكثيرين بسبب الغرابة المحتملة، التي ارتبطت عادةً الكرازة الشخصيَّة. وكلمة **اقتراب** (Approach) تُعرَّف بأنَّها "طريقةُ التعامل مع شيء، أو هي الفعلُ الخاصُّ بالتحدُّث إلى شخصٍ ما للمرَّة الأولى بشأن شيءٍ ما. وعادة ما يتعلَّق الأمر بعرض أو بطلب". والاقترابُ أيضًا هو وصف ممتازٌ للعقليَّة التي نحتاج إليها في الكرازة. أمَّا السؤال المهمُّ فهو: **كيف يمكننا الاقتراب من الناس حاملين رسالةَ الإنجيل؟**

لقد رأينا كلُّنا الطُّرق الغريبةَ والوقحةَ، ويشمئزُّ أغلبُنا حين نرى آخرين يفعلون ذلك، كالشخص في الطائرة الذي يشهدُ إلى راكبٍ آخر بصوتٍ مرتفع يُزعج الركَّاب الآخرين. ويتطلَّبُ الأمرُ أن نكونَ مستعدِّين ليس فقط لتقديم سببِ الرجاء الذي فينا، بل أن نفعلَ ذلك أيضًا بوداعةٍ واحترام. وأيًّا كان المنهَج الذي نستخدمه

للاقتراب من الآخرين حاملين رسالة الإنجيل، فمن الواجب أن يحملَ هذا المنهجُ ذلك الأسلوبَ في الحوار.

كان هذا هو الدافع الأوَّليُّ وراء الكلمة الثانية التي أخبرتُكم بأهمِّيَّتها: **مِلْح** (SALT)، وهي بالإنكليزيَّة اختصار للحروف الأولى من: **ابدأ المحادثة** (Start)، **واطرَحْ أسئلة** (Ask)، **وأصغِ** (Listen)، **وأخبِر** (Tell). وقد ساعَدَ هذا الأسبوع آلافَ الناس ليكونَ لهم اقترابٌ صحيحٌ لإشراك الآخرين.** وسنشرحُ حالًا هذا بتفصيلٍ أكبر، لكنَّك تستطيع أن ترى من الكتاب المقدَّس، ومن خبراتك الشخصيَّة كيف يمكن أن تصيرَ محادثاتٌ بسيطةٌ لقاءاتٍ مهمَّةً تقود إلى تقديم الإنجيل.

كان يسوع نفسُه ينخرط في محادثاتٍ مع الناس في أوضاعٍ عاديَّةٍ تمامًا، وكان ذلك يقود إلى حوارٍ أعمق بشأن هُوِيَّته وهدفه. وفُرصُ بدءِ محادثاتٍ وطرحُ أسئلةٍ على الآخرين هي عمليًا فرص كثيرةٌ جدًّا. فإذا كنتَ على استعدادٍ لتُصغيَ أوَّلًا إلى الآخرين قبل أن تحاولَ مشاركةَ قصَّتك ومنظورك، فغالبًا ما ستجدهم يُصغونَ بإنصاتٍ أكبر.

تتضمَّنُ أيَّةُ كرازةٍ "عظيمةٍ" دائمًا تعليمَ الناس أن يكون لهم منهجُ اقترابٍ حكيمٍ لبداية الحوار بشأن الإنجيل، سواءٌ في البلدانِ المحتاجة حيث تكون كارثة أو مأساة قد وقعت، أم في إطار تقديمِ الماء والطعام والتعزية؛ فالحياة حافلةٌ بفُرصِ خدمةِ الآخرين. بل نجدُ أنَّ يسوع قال: "وأكبرُكم يكون خادمًا لكم" (متَّى ٢٣: ١١)، إذ تتضمَّن خدمةُ الآخرين تسديدَ أعمق احتياجاتٍ في وجودهم، وهو في أصله ما يقدِّمُه السيِّد المسيح بالضبط. وعلى مدار السنين رأيتُ الكثير من الناس ممَّن لديهم تنوُّع من الطُّرق الحكيمة المبهجة التي يستخدمونها للاقتراب من الآخرين لشرْح الإنجيل لغير المؤمنين.

يتضمَّن المنهَجُ الصحيحُ عادةً فَهْمَ سِياقِ الناس الذين تخرج بهدفِ الوُصول

** هذا أحد الأسابيع التدريبيَّة التي تقيمها خدمة القسّ رايس (الناشر).

إليهم. ويُنتج هذا المواجَدة والفهْم الضروريَّين للتحدُّث بتعقُّل بشأن موقف الشخص. وحين نذهب إلى أمم متنوِّعة لنشاركَ محبَّةَ المسيح، يحدث فرقٌ هائل حين نعرفُ خلفيَّةَ إيمانِ الناس أو عدم إيمانهم. فأن تكونَ فعَّالًا في أمَّة مثل الفيليبِّين يتطلَّب منهجًا مختلفًا عن المنهج الذي تحتاج إليه لتكونَ فعَّالًا في حرم جامعة بيركلي، كاليفورنيا.

مثلًا، أشعرُ بمديونيَّة كبيرةٍ للعبرانيِّين على المستوى الروحيِّ، وذلك لأنَّ للكثيرِ ممَّا يتمتَّع به المؤمنون بالمسيح اليومَ جذورٌ في العهدِ القديم، في كتابات الأنبياء، وكذلك في أناجيل العهد الجديد ورسائل بولس. كلُّ هؤلاء الكُتَّاب والأشخاص كانوا يهودًا.

حين يسألني شخصٌ يهوديٌّ عن مسيحيَّتي وعن سببِ الكرازة لليهود، تكون في ذهني دائمًا الأمور التي ذكرتُها للتوِّ. وأثقُ أنَّه بغضِّ النظر عن بلدك أو عرقك، يجب أن يكون الإنجيل هو أفضلَ الأخبار التي سمعتَها.

أدوات (Tools)

لقد وجدتُ أنَّ هناك أمورًا متنوِّعة نسمِّيها "أدوات" يمكن أن تساعدَ الناسَ على إيصال رسالةِ الإنجيل بفاعليَّة، إذ تساعدُ هذه الأدواتُ على التغلُّب على الأنواع الكثيرة من العوائق المتعلِّقة باستعدادِ الناس على الانخراطِ في حديثٍ؛ فقد استُخدمتْ أفلامٌ مثل "الله ليس ميتًا" للمساعدة على بداية المحادثة بشأن أمورٍ روحيَّة. وأعتقدُ أنَّ أكثر أداة فاعليَّةً في التاريخ هي "فيلم يسوع"، الذي شاهده أكثر من مليار شخصٍ، وتُرجِم إلى مئة لغة ولهجة.

أداة بسيطة ابتكرناها وتُستخدَم في الكرازةِ الشخصيَّة هي "اختبار الله" (The God Test)[٤]، وتتكوَّن من مجموعتَين من عشرة أسئلة: مجموعة للذين يقولون إنَّهم يؤمنون بالله، ومجموعة للذين يقولون إنَّهم لا يؤمنون به. ومنهَجُ

الاقتراب "SALT" الذي ذكرناه هو أساس مفتاح المحادثة هذا. وقد تُرجم هذا التطبيق إلى لغاتٍ كثيرة، وهو متاح الآن للتحميل المجَّانيِّ من متجرَي أندرويد (Android) وآيفون (iPhone)، وقد حُمِّلَ حتَّى الآن في أكثر من مئة وعشرين دولة.

لقد تدرَّب آلاف الناس من كلِّ الأعمار على استخدام "اختبار الله"، ويشهدون كيف بسَّطتْ هذه الأداة خبرةَ الكرازة، بل جعلَتْها أمرًا ممتعًا يمكنهم التطلُّع إليه. والأسئلة المطروحة على الناس من "اختبار الله" تساعدُ على التذكُّر والاستعادة السهلة للمحتوى الدفاعيِّ المناسب. فمجرَّد قراءتك للكثير من الكتب واستماعك لمناظرات لا يعني أنَّك ستكون فعَّالًا في إيصال الرسالة الصحيحة في الوقت الصحيح إلى شخص لا يؤمنُ بالمسيح. يحتوي "اختبار الله" على بعض الأسئلة الأساسيَّة التي ينبغي لمَن لا يؤمنون بالله الإجابة عنها لفَهْم معنى وجودنا وشعورنا الكُلِّيِّ بالصواب والخطأ. وإذا اتَّبعتَ المنهَج المُقدَّم في "SALT"، فستُصغي أوَّلًا إلى ما لدى الناس بشأن الأسئلة المطروحة، ثمَّ ستنتظرُ بصبرٍ فرصةً للتحدُّث، وقد وجدنا أنَّه إنِ احترمتَ الآخرين وأصغيتَ إليهم أوَّلًا، فعادةً سيعامِلونك باللباقة ذاتها. لقد شكرَنا مُلحِدون على المحادثة القيِّمةِ الخالية من التوتُّر والضغط ذي الطابع الدراميِّ الذي عادةً ما يصاحب مثل هذا النوع من النشاط.

واستخدم فرانس أوليڤييه (Frans Olivier) في كيب تاون (جنوب أفريقيا) "اختبار الله" لتدريب عشرة آلاف شخصٍ على الأقلِّ في السنوات الأربعة الأخيرة، وأكثر من أربعة آلاف قرَّروا اتِّباع المسيح في ذاك البلد. "لقد تغيَّر توجُّهنا الذهنيُّ من نحو الكرازة تغيُّرًا هائلًا بواسطة «اختبار الله»، والكرازةُ الآن هي جزءٌ من الخبرة المسيحيَّة العاديَّة، بدلَ الواجب المرعِب الواقع على عاتق القليلين".[٥]

استخدم پيتر دوشَن (Peter Dusan)، وهو راعٍ في حرم جامعة ولاية تكساس، "اختبار الله" بفاعليَّة كبيرة جدًّا، مُدرِّبًا مئات الطُّلَّاب ليشاركوا إيمانهم مع آخرين بفاعليَّة. وفي أسبوع واحد أجرَوا أكثر من ألف محادثة مع طُلَّاب في الجامعة

باستخدام "اختبار الله". وحين يُدرِّب الناس على استخدام هذه الأداة، يقول: "إذا شاهَدَني أحدُهم وأنا أشاركُ إيماني مع آخرين، يميلون إلى الاعتقاد أنَّ فاعليَّتي هي بسبب جرأتي وثقتي بنفسي. وإذا رأوني أستخدم أداةً مثل «اختبار الله»، يصدِّقون أنَّ في وُسعِهم أيضًا فعل الأمر ذاته".[٦]

ابتكر د. بِل برايت (Bill Bright)، مؤسِّس هيئة "كامپس كروسيد" (Campus Crusade) كتيِّبَ "**الحقائق الروحيَّة الأربعة**" *(Four Spiritual Laws)*، وأُعطِي عشراتُ الآلاف من الشباب أداةً فعَّالةً لإشراك الآخرين بالإنجيل. وقد أتى الملايين إلى المسيح نتيجةً لذلك. يمكنني سَرْدُ أدواتٍ مميَّزةٍ أخرى، من سمينارات الوسائط المتعدِّدة، إلى الفرق الموسيقيَّة المسيحيَّة، والتي كانت أدواتٍ استطاعَ الروحُ القدسُ أن يلفتَ بها انتباهَ الناس. ونتيجةَ القدرِ الهائلِ من الإبداع الذي يميِّز العصرَ الذي نعيش فيه، هناك أدواتٌ كثيرةٌ جدًّا يمكن تطويرُها للمساعدة على بدء محادثات يكون لها مدلولٌ أبديٌّ قويّ.

الخلاصة

ركَّز هذا الكتاب على إعطائك برهانًا أنَّ يسوع المسيح هو ابنُ اللهِ الحقيقيُّ والمسيَّا المنتظَر ومُخلِّص العالَم. ولأنَّ هذا حقيقيٌّ، فهو خبرٌ جديرٌ بأن يُشارَك مع آخرين، وهذا هو معنى الكرازةِ. وجزءٌ من ذلك منطقةٌ تُدعى الدفاعيَّات، والتي تعني تقديمَ الأسباب وراء صحَّة هذه القصَّة، وهذه هي المسؤوليَّة التي يضعُها أمامَنا الكتاب المقدَّس: أن نكون مستعدِّين لتقديم تلك الأسباب، لكن لنفعل ذلك بوداعة وخوف ولطف واحترام؛ إذ تَظهَرُ دائمًا شخصيَّتُنا عند التحدُّث إلى الناس بشأن يسوع المسيح، وليس فقط محتوى رسالتنا.

لقد قدَّمنا في هذا الفصل عمليَّةَ الكرازةِ ببساطةٍ تختصرُها كلمةٌ **عظيمة**، وهي بالإنكليزيَّة الحروف الأولى من **إنجيل** (Gospel)، **أسباب** (Reasons)، مواجدة

(Empathy)، **الاقتراب** (Approach)، **أدوات** (Tools)، ويمكن أن تعطيَك هذه الخطوات الخمس خريطة طريق واضحة لتتقدَّم في طريقك لتصيرَ شاهدًا فعَّالًا للسيِّد المسيح. وحين يُقدَّم تعليمٌ عن هذه المبادئ في وسط جماهير العابدين؛ وحين تَعْملُ موهبة الكارز جنبًا إلى جنب مع الرعاة والمُعلِّمين الآخرين، تكون النتيجة كنيسةً تُشرك آخرين، وصولًا إلى جمهورٍ فعَّالٍ من العابدين الذين يؤثِّرون حقًّا في العالم لمجد المسيح وإنجيله.

الخاتمة

بما لا يدعُ مجالًا للشكِّ

أتوقَّع أن يكونَ لديك الآن استيعابٌ واضحٌ لبرهان أنَّ يسوعَ عاش وعمل الأمور التي تقولُها الأناجيل وأنَّه قال الأمورَ التي تخبرُنا الأناجيل بأنَّه قالها. وهو المسيحُ المنتظَر، وليس أسطورةً وثنيَّة، والرجاءُ الحقيقيُّ هو أن يتمكَّن كلُّ شخصٍ من إيصال ذلك البرهان بوضوح إلى الآخرين. كُتِب كلُّ فصل في هذا الكتاب لمساعدتك على تذكُّر أجزاء البرهان الأساسيَّة التي تشيرُ إلى حقيقةِ أنَّ يسوع التاريخيَّ هو حقًّا مسيحُ الإيمان. وعليك في النهاية أن تمتلكَ القدرةَ على إشراكِ شخصٍ آخرَ في محادثة تقودُ إلى تقديمٍ واضح للإنجيل.

لأنَّ يسوع هو المسيَّا، ابن الله، ومُخلِّص العالم، ينبغي لرسالته أن تكون في مركَز حياتنا. وبغضِّ النظر عن دعوتك وعملك، يجب أن تكونَ رسالةُ الإنجيل هي أولويَّتُك، وينبغي للعقبات التي تقفُ في الطريق أن تُحدَّد وتنزع. وحقيقة أنَّنا نواجه مثل هذه المقاومة لجَعْل بؤرتِه هي بؤرتَنا تشيرُ إلى أنَّ هناك تأثيرًا مضادًّا معارضًا في الكون؛ فتعهُّدِك أن تكونَ حياتُك للمسيح يعني أن يكونَ لك عدوٌّ مهلِك مُكرَّس لمهمَّة إيقاف جهودك وإبطالها.

منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة، كنتُ مغمورًا بالخوف والشكِّ وعدم الإيمان، ولم يستطع الدِّينُ أن يقف ضدَّ تلك القوى التي كانت تسود حياتي. فكنتُ أصلِّي وأرتادُ الكنيسةَ وأطلبُ مساعدةَ الله، وفي النهاية كنتُ أشعر بالسخافة بسبب جهودي الضعيفة العقيمة، وأنا الآن أتفهَّم بالكامل السببَ وراء أنَّ الناس الذين

يمرُّون بمواسمَ من السعي الروحيِّ الشديد ينتهي بهم الأمر في إحباطٍ وخيبة أمل. وإذا نظرتَ إلى التاريخ يمكنك رؤية خبرات متشابهة في حياة أناسٍ مثل القدِّيس أغسطينوس (Augustine) وجون وسلي (John Wesley) مؤسِّس الكنيسة الميثوديَّة (Methodist church)، وكثيرين آخرين.

عاش القدِّيسُ أغسطينوس في القرن الخامس وتربَّى على يد أمٍّ مسيحيَّة، لكنْ بدا كأنَّ تأثيرَها لم يتناسب مع القوَّة المغوِية للفلسفة المانويَّة (Manichee's philosophy) والتي أعطت رُخصةً للانغماس في الفسوق الجنسيِّ. وفي كتاب "**اعترافات**" *(Confessions)*، سجَّل أغسطينوس رحلتَه من ظُلمة عدم الإيمان بسبب القبضة الهائلة التي كانت لخطاياه على نفسه، وتحدَّث بشأن أعداء الإيمان المسيحيِّ الرافضين للكلمة المقدَّسة في استهزاءٍ وتشكيكٍ، مُذكِّرًا بالصراع نفسه الحادث في يومنا. غير أنَّه كان يرى فراغَ إجاباتهم، بل فراغ حياتهم. وبسبب سطحيَّة الذين كانوا يعارضون الإنجيل، قرَّر أغسطينوس أن يستمع بإخلاص إلى أولئك ممَّن كانوا قادرين على تقديم شَرْح للصعوبات التي التقاها عند اختبار الكلمة المقدَّسة، وكتب في "**اعترافات**": "كانت قناعتي تنمو أكثر وأكثر أنَّه يمكن حلُّ كلِّ المشكلات الشائكة والافتراءات الماكرة التي كان المخادعون لنا قد اخترعوها ضدَّ الكلمةِ المقدَّسة".[1]

لقد أعطى وعيُ أغسطينوس بتاريخ الأحداث الماضية التي كان قد قبلَها مُعطيًا إيَّاها مصداقيَّة- الموضوعيَّة اللازمة لينفتحَ على حقِّ الأحداث التي تكلَّمَت عنها الكلمةُ المقدَّسة.

> "وقليلًا قليلًا يا ربُّ، لمستَ قلبي وهدَّأتَه بيدك الحانية الرحيمة، وتأمَّلتُ في الأمور العديدة التي صدَّقتُها دون أن أراها- أحداثٍ تمَّت في عدم وجودي، مثل الكثير من الأحداث في تاريخ الأمم، وحقائق كثيرة تختصُّ بأماكنَ ومدنٍ لم أرَها بتاتًا، وأمورٍ كثيرة قبلتُها بحسبِ كلمةِ الأصدقاء،

والكثير من الأطبّاء، والكثير من الناس. وإنْ لم نصدِّق ما أُخبرنا به، فلن نفعلَ أيَّ شيء في هذه الحياة".[٢]

بعد رؤية الفراغ والتناقضات في كتابات الفلاسفة والساخرين، ومقارنتهم بحقِّ الكلمة المقدَّسة وطُهرِها، كتب قائلًا:

"لقد أقنعْتَني بأنَّ الخللَ ليسَ في أولئك الذين صدَّقوا كُتُبَك، والتي أسَّسْتَها بسلطانٍ عظيم بين كلِّ الأمم تقريبًا، بل هو في الذين لم يصدِّقوها. ولا ينبغي حتَّى الإنصات إلى أولئك القائلين: «كيف لك أن تعرفَ أنَّ هذه الكُتب دُبِّرت من أجل الجنس البشريِّ بواسطة روحِ الإله الحقيقيِّ الوحيد، الإله الصادق صدقًا تامًّا؟» وكان هذا الأمر بالذات أمرًا يُعدُّ فيه الإيمانُ ذا أعظم أهمِّيَّة".[٣]

ويأتي أغسطينوس في النهاية إلى لحظةٍ فارقةٍ حين يُبصرُ مُخترقًا الشكوك والاتِّهامات لحقِّ الكلمة المقدَّسة وقصَّة الإنجيل، والتي تفتحُ قلبه وتسمح للروح القدس بأن يغيِّره. إنَّ إيمانك ليس مُجرَّد موضوع معرفة مجموعةٍ من الحقائق الصحيحةِ عن الله، لكنَّه اتِّخاذُ خطوةِ ثقةٍ لاستقبال عمل الروح القدس في حياتك.

حين أفكِّر في الصراع للوصول إلى الإيمان ودَفْع الشكوك في الذهن والشهوات في القلب، أتشجَّعُ بقراءةِ الكيفيَّة التي استطاع بها أغسطينوس دفْعَ هذا التحدِّي المميت، وكيف استطاع أن يصيرَ واحدًا من عظماء القادة والمفكِّرين والأبطال في تاريخ الكنيسة.

المثلُ الآخر هو جون وسلي الذي عاش في القرن الثامن عشر، وأحدث تأثيرًا هائلًا في العالم لا نزال نشعر به حتَّى اليوم. لكنْ قبلَ أن يحدثَ هذا، كان يعاني بعمقٍ الشكَّ والخوفَ والقلقَ الموهِنَ بشأن قلَّةِ إيمانه، وكان يحاول هزيمةَ هذه الأفكارَ الخانقة بالانغماس في أنشطة دينيَّة.

سافر من إنكلترا إلى أميركا، وبذلَ نفسه بلا كللٍ من أجل نَشْرِ الإنجيل. ومع كلِّ جهوده، فقد كان يشهدُ أنَّه لا يزال هو نفسُه ضالًّا، فكتب في يوميَّاته في عام ١٧٣٧م:

"ذهبتُ إلى أميركا، لأكرزَ للهنودَ الحُمرِ، لكنْ هَيهات! مَن يجعلُني أنا أقبلُ الإيمان؟ مَن الذي يُخلِّصني من هذا القلب الشرِّير المؤذي؟ لديَّ معتقداتٌ دينيَّة بمستوًى معقول، وأستطيع التحدُّث جيِّدًا، بل أصدِّق نفسي، بينما لا يوجد خطر وشيك، لكنْ إذا ما نظرَ إليَّ الموتُ، تضطرب روحي فيَّ، ولا أستطيع قوْل إنَّ الموت هو ربح".[٤]

بعد بضعة أيَّام كتب:

"صار لي الآن عامان وأربعة أشهر تقريبًا منذ أن تركتُ موطني لأعلِّم هنود جورجيا طبيعةَ المسيحيَّة. لكنْ ماذا تعلَّمتُ أنا في هذا الوقت؟ لماذا (أنا دونًا عن الباقين)، الذي ذهبتُ إلى أميركا لأكرزَ لآخرين برسالةٍ لا أرى أنِّي قبلتُها أصلًا؟ لستُ مجنونًا! رغم أنِّي أتحدَّث كما لو كنتُ مجنونًا، فإنِّي أتحدَّثُ بكلماتِ الحقِّ والرزانة، لو يستَيقظُ بالصدفة بعضُ الذين لا يزالون يحلمون ليرَوا أنَّهم هم أيضًا مثلي".[٥]

لم يعانِ وسلي شكوكًا في الحقائق الخاصَّة بقصَّة موتِ يسوعَ وقيامتِه؛ ولا بالكتاب المقدَّس، بل عانى شكًّا نفسيًّا أو عاطفيًّا. وهناك كثيرون كذلك يبدون عالقين في ما يخصُّ الذهاب إلى ما وراء المعرفة الفكريَّة عن الله، ونوال مواعيد الله تمامًا مثلما يمكن أن يأكل شخصٌ وجبةً بدلَ الوقوف خارجَ المطعم محدِّقًا في قائمة الطعام وهو واقفٌ على الباب الخارجيِّ.

إنَّ قصَّتَه تجذب انتباهَنا إلى بُعدٍ آخر لمعنى الإيمان؛ فالإيمان يبدأ بتصديق البرهانُ

عن المسيح والكتاب المقدَّس، لكنَّه يخطو خطوةً أبعدَ من ذلك إلى الاختبار الفعليِّ لما تقدِّمُه مواعيد الله، ويتضمَّن هذا الخلاص والولادة الجديدة وقوَّة الروح الساكنة فينا، والانتصار على الخوف والشكِّ اللذين يصيبان الذهن ويُزعجان النفس. وكان هذا النوع من الإيمان هو ما خلَّصني من قبضة الظلمة الروحيَّة والذهنيَّة حين كنتُ في السنة الثالثة الجامعيَّة.

في الحقيقة، حدث الأمرُ معي بالطريقة نفسها التي حدث بها مع وسلي، الذي كان يعرف ما يقوله الكتاب المقدَّس عن أهمِّيَّة أن يكون للشخصِ إيمانٌ بالله: "ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه [إرضاء الله]، لأنَّه يجب أنَّ الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنَّه موجود، وأنَّه يجازي الذين يطلبونه" (عبرانيِّين ١١: ٦). وكان اللُّغزُ هو كيفيَّةَ أن يكون لي ذلك النوعُ من الإيمان، فقد بدا لي أنَّ الإيمان هو أمرٌ لأشخاصٍ محدَّدين فقط، وليس لي. وكان سؤالي هو سؤال وسلي ذاته: **كيف يمكنني إيقاف الشكوك من أن تتسيَّدَ أفكاري؟**

لاحِظْ أنَّ هناك دائمًا فرصةً للشكِّ؛ فكما سبق أن ناقشنا، المسيحيَّة حقيقيَّة بما لا يدعُ مجالًا للشكِّ المعقول، وليس للشكِّ الممكن. وما كنتُ في احتياج إليه هو ألَّا أُسهبَ في الأسباب الممكنة بأن تكون مخاوفي وشكوكي مُحتملة، بل أن أركِّز على معقوليَّة القصَّة المسيحيَّة، ثمَّ أتصرَّف بناءً على المواعيد التي يقدِّمُها الله إليَّ. في الحقيقة، معظم هذه المواعيد مُقدَّمة إلى "كلِّ مَن" بحسب الآية المشهورة: "لأنَّه هكذا أحبَّ الله العالمَ حتَّى بذل ابنَه الوحيد، لكي لا يَهلِك كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديَّة" (يوحنَّا ٣: ١٦).

وهناك أيضًا نوعُ الإيمان الذي ينقلُ جبالًا، وهو أيضًا متاحٌ لكلِّ مَن يؤمن: "فأجاب يسوعُ وقال لهم: «ليكُنْ لكم إيمان بالله. لأنِّي الحقَّ أقول لكم: إنَّ مَن قال لهذا الجبل: انتقِلْ وانطرِحْ في البحر! ولا يشكُّ في قلبه، بل يؤمن أنَّ ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له»" (مرقس ١١: ٢٢-٢٣)، ويقدِّم إلينا سِفر رومية توجيهاتٍ إلى هذا النوع من الإيمان:

"لأنَّ «كلَّ مَن يدعو بِاسْم الربِّ يخلُص». فكيف يَدعُون بمَن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟ وكيف يكرِزون إنْ لم يُرسَلوا؟ كما هو مكتوب: «ما أجمل أقدام المبشِّرين بالسلام، المبشِّرين بالخيرات». لكنْ ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل، لأنَّ إشعياء يقول: «يا ربُّ مَن صدَّقَ خبرَنا؟» إذًا الإيمانُ بالخبر، والخبرُ بكلمة الله" (رومية ١٠: ١٣-١٧).

بينما تقدِّم هذه الفِقرةُ الفرصةَ إلى "كلِّ مَن"، تستمرُّ لتقول إنَّ الإيمانَ يأتي بسَماع كلمة المسيح، والسرُّ موجودٌ في ما تسمعُه، ولا سيَّما ما تسمعُه على نحو متكرِّرٍ. فإذا استمعتَ باستمرارٍ إلى أحاديثَ إلحاديَّةٍ ومتشكِّكة ضدَّ الإيمان، ستجدُ نفسَك ترزحُ تحت وهنِ عدم الإيمان، لكنْ لا تُسئ فَهْمي؛ فقد أمضيتُ ساعات كثيرةً في القراءة والاستماع إلى اعتراضاتٍ على الإيمان. لكنْ يأتي وقتٌ تكون قد سمعتَ الانتقادات وعليك أن تقرِّر الرأيَ الذي ستصغي إليه. في الحقيقة، وجَّهتني كتابةُ هذا الكتاب إلى كتاباتٍ لكثير من المتشكِّكين ممَّن يُوجِّهون جهودَهم القاسية بوقاحةٍ ليُشكِّكوا في الإنجيل ويُثنوا أكبرَ عددٍ ممكنٍ عن الإيمان. وفي النهاية لم يفعل هذا سوى أنَّه قوَّى من عزيمتي للخروج بالرسالة إلى أكبر عددٍ ممكنٍ أنَّ يسوع هو المُخلِّص الموعود والمسيح المنتظَر. ويحدث هذا بسَماع الناس للإنجيل كما يقول الكتاب المقدَّس: "الإيمانُ بالخبر"، أي أنَّ الإيمانَ يأتي بسماع الخبر.

كُلَّما استمع الناسُ إلى الإنجيل، زادَتْ فرصُهم من الإيمان. فالأمر بهذه البساطة، وبالطريقة نفسها، كلَّما استمعْتُ إلى الإنجيل، تَقوَّى إيماني أكثر وأكثر، وهي ظاهرة مُذهِلة: أشعرُ بأنَّ إيماني يتقوَّى كلَّما شاركتُه مع آخرين. لذا فالكرازةُ أو مشاركة الإنجيل مع الآخرين ستصنعُ لك الكثير تمامًا مثلما ستصنعُ مع أولئك الذين يسمعونه.

كان هذا هو التبصُّر الذي ناله جون وسلي من مُرشده پيتر بولر (Peter Bohler) منذ نحو ثلاث مئة سنة. فبينما كانت الشكوك ترهقُه، اقترب إلى بولر وسأله عن سرِّ الحصول على الإيمان الحقيقيِّ، ومن ثمَّ السلام الحقيقيِّ، وكان الأمر قد صارَ مُقلقًا حتَّى إنَّ وسلي كان يفكِّر في إنهاء خدمته في محاولة مساعدة الآخرين؛ إذ كان هو مقهورًا بشكوكه. وعندها سجَّل وسلي في يوميَّاته الحوار التالي مع مُرشده: "حالًا جاءني الأمرُ في ذهني، «اترُكِ الوعظ! فكيف يمكنك أن تَعِظَ آخرين، أنت يا مَن ليس لك إيمان؟»، وسألتُ بولر ما إذا كان يظنُّ أنَّ عليَّ ترْك الوعظ، فأجاب: «كلَّا»، فسألتُه أيضًا: «لكن ماذا يمكنني أن أعظ؟»، فقال: «عِظِ الإيمانَ إلى أن تحصل عليه. ولأنَّك حصلتَ عليه، ستَعِظُ عنه»".[٦]

أُخبِرَ أن يعظَ عن الإيمان إلى أن يناله. وكان معنى ذلك تمضيةَ الوقت في سَرْدِ مواعيدِ الله وما يقولُه الكتاب المقدَّس بشأن التعبير عن الخوف والشكِّ، وإذا أمكَنَ أن يأتي الإيمان إلى آخرين بسبب سَماعِهم كلماتك، فلماذا لا تشجِّع نفسك بينما تتكلَّمُ بهذه الكلمات المُحيِيَة؟ وهذا بالضبط ما بدأ وسلي في فعله. وكانت النتيجة تأثيرًا هائلًا في العالم بتكوين آلاف جماهير العابدين التي تُكوِّن الآن الكنيسة الميثوديَّة. وكما توقَّع بولر، لأنَّ وسلي وجدَ الإيمان بالوعظ به، استمرَّ في الوعظ به بقناعة وقوَّة أعظم.

ليُعطِنا الله جمهورًا من الرجال والنساء ممَّن يذهبون إلى ما وراء الدراسة الأكاديميَّة ليسوع المسيح، مُقدِّمين أنفسَهم بالكامل لإيصال كلمته إلى عالم محتاج ويائس؛ فما من قضيَّةٍ أعظم، وما من وقتٍ أفضل من الآن.

شكر وعرفان

أودُّ أنْ أشكر زوجتي جودي (Jody)، وأبنائي تشارلي (Charlie) ووايات (Wyatt)، ولويزا (Louisa)، وإليزابيث (Elizabeth)، من أجل الدعم الذي قدَّموه في الأشهر التي استغرقَها البحثُ وكتابةُ هذا الكتاب. وأشكرُ أيضًا الراعِيَين جيمس وديبي لُو (James and Debbie Lowe)، وأسرة كنيسة بيت إيل (Bethel World Outreach Church) من أجل صلواتهم وتشجيعهم؛ فلهم تكريسٌ حقيقيٌّ للوصول إلى الناس في منطقة ناشڤيل الكُبرى، وأبعدَ من ذلك برسالة إنجيل يسوع المسيح.

إنَّه امتيازٌ أن أعمل مع د. برايان ميلر (Brian Miller)، والذي ساعدني في البحث في هذا الكتاب، وبتقديم معلومات مهمَّة، وهو أيضًا يجوب العالم، متحدِّثًا إلى آلاف الطلَّاب والأساتذة بشأن إثبات وجود الله وحقِّ الإيمان المسيحيِّ. أنا شاكرٌ أيضًا لأصدقائي د. غاري هابيرماس ود. كريغ كينر ود. شون ماكدويل ود. ستيفن ماير وجيم والاس (Jim Wallace)، مَن قرأوا الكتاب قبل طباعته وقدَّموا آراءهم، ويا له من شرف أنْ يكون لديَّ فريقُ الأحلام هذا من المستشارين الأكاديميِّين!

أقولُ الأمر نفسه عن قادة خدمة "إڤري نيشن" (Every Nation Ministries)، الذين عمِلتُ معهم لأكثر من ثلاثين عامًا. شكرًا لكُلٍّ من رون ولينيت لويس (Ron and Lynette Lewis) وستيڤ وديبرا موريل (Steve and Deborah Murrell)، وبريت وسينثيا فولر (Brett and Cynthia Fuller) وكيڤين ورينيه يورك (Kevin and Renee York) وجيم وكاثي لافون (Jim and Cathy Laffoon) وفِل وكارين بوناسو (Phil and Karen Bonasso) وفيردي وجودي كابيلينغ (Ferdie and Judy Cabiling)

وفرانس وديب أوليفيي (Frans and Deb Olivier) وتم وليتشيل جونسون (Tim and Lychelle Johnson) وروس وديبي أوستين (Russ and Debbie Austin) وبيرت وشيليا توسون (Bert and Shelia Thomson) وجُوِي وماري بونافاسيو (Joey and Marie Bonafacio) وديف وآمي پولاس (Dave and Amy Polus) ومايك وجولي غوانز (Mike and Julie Gowans) ولانس ودي فيليپس (Lance and Dee Phillips) وبروك وأليسون ليليس (Brock and Allison Lillis) وبرايان وتشاڤوني تيلور (Brian and Chavonne Taylor)، و جاي. تي. وشَلي ماكرو (J. T. and Shelly McCraw) وكلِّ فريق الخدمة المُكرَّس للوصول إلى كلِّ أمَّة في جيلنا.

أودُّ أيضًا أنْ أشكرَ الكثيرين ممَّن أحدثوا تأثيرًا في حياتنا: تروي وتريسي دوهن (Troy and Tracy Duhon) وكيلي وجوني ووماك (Kelly and Joni Womack) وديل وجوان إڤريست (Dale and Joan Evrist) وغريغ ومارلين تشاپمان (Greg and Marlene Chapman) وسول ووِيني آرليدج (Sol and Wini Arledge) وستيڤ وسيندي هولاندر (Steve and Cindy Hollander) وداني وديان ماكدانيَل (Danny and Diane McDaniel)، كما أرغب في شُكر مات باور (Matt Baugher) وپولا ميجر (Paula Major) ولوري كلاود (Lori Cloud) من دار دبليو للنشر (W Publishing Group)، في توماس نيلسون (Thomas Nelson) لإيمانهم بهذا المشروع، ولجهودهم المستمرَّة لنشْر رسالةِ هذا الكتاب.

لقد كان شرفًا لي أن عملتُ مع مايكل سكوت (Michael Scott) وديڤيد إيه. آر. وايت (David A. R. White) والراحل رَسِل ولف (Russell Wolfe) من پيورفليكس إنترتيمنت (PureFlix Entertainment) في سلسلة أفلام "الله ليس ميتًا". وشكرًا لكاتبي السيناريو تشَك كونزيلمان (Chuck Konzleman) وكاري سولومن (Cary Solomon) والمخرجَين هارولد كرونك (Harold Kronk) وبريتني لوفيڤغ (Brittany Lefebvre)، وأتطلَّع إلى مشاريع مُستقبَليَّة في هذه السلسلة.

أودُّ كذلك أن أشكرَ الشبابَ المنخرطين في الخدمة الجامعيَّة إڤري نيشن كامپس (Every Nation Campus)؛ فآلاف الطلَّاب يشاركون كلَّ يوم الإنجيل بجهود القادة والطُّلَّاب أيضًا. ونحن نعمل معًا نحو هدفِ الوصول إلى كلِّ أمَّةٍ وكُلِّ جامعةٍ.

الملاحظات

المقدّمة: إنّه الأمرُ الأروَع

1. "America's Changing Religious Landscape," Pew Research Center, May 12, 2015, www.pewforum.org/2015/05/12/americas-changing-religious-landscape/.
2. Richard Dawkins and Rowan Williams, Archbishop of Canterbury, "Nature of human beings and the question of their ultimate origin," discussion at University of Oxford, February 23, 2012, YouTube video, 11:00, posted by "Anglican08," February 24, 2012, https://www.youtube.com/watch?v=HfQk4NfW7g0.
3. "It Is a Thing Most Wonderful," words by William Walsham How (1823-1897), 1872.
4. "We've a Story to Tell to the Nations," words by E. Ernest Nichol (1862-1928), 1896.

الفصل الأوّل: إنسانٌ أم أسطورةٌ أم المسيح المنتظر؟

1. Albert Schweitzer; W. Montgomery (trans.), The Quest of the Historical Jesus, (Minneapolis: Fortress Press, 2001; orig. 1910), 6.
2. SNL Transcripts, http://snltranscripts.jt org/86/86qheaven.phtml.
3. Blaise Pascal, Pascal's Pensées (Redford, VA: Wilder Publications, 2011), 61.
4. Michael Shermer, "God's Number Is Up," Scientific American, July 2004, http://www.michaelshermer.com/2004/07/gods-number-is-up/.
5. Lawrence Krauss, Krauss discusses his book A Universe from Nothing, The Colbert Report, June 21, 2012, Comedy Central video, 5:00, http://www.cc.com/video-clips/e6ik9l/the-colbert-report-lawrence-krauss.
6. Stephen Hawking and Leonard Mlodinow, The Grand Design (New York: Bantam, 2010), 5.
7. Charles Darwin, The Descent of Man, 2nd ed. (Rand McNally & Company, 1874), 133-4.
8. J. Ed Komoszewski, M. James Sawyer, Daniel B. Wallace, Reinventing Jesus: How Contemporary Skeptics Miss the Real Jesus and Mislead Popular Culture (Grand Rapids: Kregel, 2006), 16.
9. W. J. Prior, "The Socratic Problem" in ed. Hugh H. Benson, A Companion to Plato (West Sussex, UK: Blackwell, 2006), 25-35.
10. Reza Aslan, Zealot: The Life and Times of Jesus of Nazareth (New York: Random House, 2013), 35.

11. John Veitch, The Meditations and Selections from the Principles, of René Descartes (Sacramento: BiblioLife, 2009), 130.
12. Schweitzer, The Quest of the Historical Jesus, 478.
13. Craig S. Keener, The Historical Jesus of the Gospels (Grand Rapids: Eerdmans, 2012), 15-17.
14. Stephen T. Davis, Risen Indeed: Making Sense of the Resurrection (Grand Rapids: Eerdmans, 1993), 192.
15. Michael Grant, Jesus: An Historians' Review of the Gospels (New York: Simon & Schuster, 1995), 182.
16. Will Durant, The Story of Civilization: Part III, Caesar and Christ (New York: Simon & Schuster, 1944).
17. N. T. Wright, The New Testament and the Victory of God, vol. 2 (Minneapolis: Fortress Press, 1996), 110.
18. Saint Augustine, Confessions of St. Augustine, 1.1.
19. Richard J. Evans, In Defense of History (New York: W. W. Norton, 1999), 219.
20. Gerald O'Collins, Easter Faith: Believing in the Risen Jesus (Mahwah, NJ: Paulist Press, 2003), 34.

الفصل الثاني: الحدُّ الأدنى من الحقائق

1. Michael Licona, in Lee Strobel, The Case for the Real Jesus: A Journalist Investigates Current Attacks on the Identity of Christ (Grand Rapids: Zondervan, 2007), 112.
2. Gary R. Habermas, "The Minimal Facts Approach to the Resurrection of Jesus: The Role of Methodology as a Crucial Component in Establishing Historicity," August 2, 2012, http://www.garyhabermas.com/articles/southeastern_theological_review/minimal-facts-methodology_08-02-012.htm.
3. Michael R. Licona, The Resurrection of Jesus: A New Historiographical Approach (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2010), 28.
4. Paul L. Maier, In the Fullness of Time: A Historian Looks at Christmas, Easter, and the Early Church (San Francisco: HarperCollins, 1991), 197.
5. Craig S. Keener, "Assumptions in Historical Jesus Research: Using Ancient Biographies and Disciples' Traditioning as a Control," Journal for the Study of the Historical Jesus 9 (2011), 30.
6. Richard Dawkins, "Has Science Buried God," 2008 Richard Dawkins v. John Lennox debate sponsored by Fixed Point Foundation, Dawkins admits Jesus existed, YouTube video, 0:39, posted by "fusion channel," April 12, 2014, https://www.youtube.com/watch?v=Ant5HS01tBQ.
7. Bart D. Ehrman, Did Jesus Exist? The Historical Argument for Jesus of Nazareth (New York: HarperOne, 2012), 7.
8. William Edward Hartpole Lecky, History of European Morals, from Augustus to Charlemagne (New York: D. Appleton, 1897), 2:8–9.
9. Flavius Josephus, Antiquities of the Jews, 18.63–64.

10. Tacitus, Annals, 15.44.
11. Lucian of Samosata, The Works of Lucian of Samosata, trans. H. W. Fowler (Digireads.com), 472.
12. Jacob Neusner, trans. The Talmud of Babylonia: Sanhedrin (Tampa: University of South Florida, 1984), 43A.
13. John T. Carroll and Joel B. Green, Death of Jesus in Early Christianity (Peabody, MA: Hendrickson, 1995), 166.

١٤. انظر أيضًا صفحة ٢١، حيث يُعدُّ موتُ يسوع "يقينًا اكلينيكيًّا".

15. Gary R. Habermas and Michael Licona, The Case for the Resurrection of Jesus (Grand Rapids: Kregel, 2004), 70.
16. Habermas, "The Minimal Facts Approach to the Resurrection of Jesus."
17. N. T. Wright, The Resurrection of the Son of God (Minneapolis: Fortress Press, 2003), 3:686–96.
18. Digesta Iustiniani: Liber 48 (Mommsen and Krueger), 48.24.3, accessed April 13, 2014, http://droitromain.upmf-grenoble.fr/Corpus/d-48.htm.
19. Flavius Josephus, The Works of Josephus: Complete and Unabridged, trans. William Whiston, new upd. ed. (Peabody, MA: Hendrickson, 1987), 798.
20. Craig A. Evans, "Getting the Burial Traditions and Evidence Right," in How God Became Jesus: The Real Origins of Belief in Jesus' Divine Nature—A Response to Bart D. Ehrman, ed. Michael F. Bird (Grand Rapids: Zondervan, 2014), 76;

٢١. انظر أيضًا الصفحات ٧١-٩٣.

22. Craig Keener, personal correspondence to author, August 19, 2015.
23. Luke Timothy Johnson, The Writings of the New Testament: An Interpretation (Philadelphia: Fortress Press, 1986), 96–97 (emphasis in original).
24. Josephus, Antiquities of the Jews, 20.9.1.
25. Sean McDowell, "Did the Apostles Really Die as Martyrs for Their Faith?" Biola magazine, Fall 2013, http://magazine.biola.edu/article/13-fall/did-the-apostles-really-die-as-martyrs-for-their-f/.
26. Craig S. Keener, Acts: An Exegetical Commentary (Grand Rapids: Baker, 2012), 1:271–304.
27. Gary R. Habermas, Evidence for the Historical Jesus: Is the Jesus of History the Christ of Faith? e-book, rev. ed. (June 2015), 16; www.garyhabermas.com/evidence.
28. "Evidence for the Resurrection: Minimal Facts Approach," Ratio Christi—Campus Apologetics Alliance, http://ratiochristi.org/uah/blog/post/evidence-for-the-resurrection-minimal-facts-approach.
29. Eusebius, Church History, 2.25.8.
30. Habermas and Licona, The Case for the Resurrection of Jesus, 65.
31. Josephus, Antiquities of the Jews, 20.200.
32. Robert L. Web, "Jesus' Baptism: Its Historicity and Implications," Bible.org, August 2,2005,https://bible.org/article/jesus-baptism-its-historicity-and-implications.
33. For example, E. P. Sanders, Jesus and Judaism (Philadelphia: Fortress, 1985), 11.

الفصل الثالث: يمكنُنا الوثوق بالأناجيل

1. F. F. Bruce, The New Testament Documents—Are They Reliable? (Grand Rapids: Eerdmans, 1981), 90–91.
2. Michael R. Licona, The Resurrection of Jesus: A New Historiographical Approach (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 2010), 176.
3. Reza Aslan, Zealot: The Life and Times of Jesus of Nazareth (New York: Random House, 2013), xxvi.
٤. من أجل معلومات إضافيّة انظر F. F. Bruce, The Canon of Scripture (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1988); and Richard Bauckham, Jesus and the Eyewitnesses (Grand Rapids: Eerdmans, 2006). لكنَّ بوكام لا يقدِّم رأيًا مختلفًا بشأن هويَّة كاتب إنجيل يوحنَّا.
5. Irenaeus, Against Heresies, 3.1.1.
6. Eusebius, Church History, 3.39.
7. Bauckham, Jesus and the Eyewitnesses, 155.
8. Eusebius, Church History, 3.39.
9. James Patrick Holding, Trusting the New Testament (Maitland, FL: Xulon Press, 2009), http://www.tektonics.org/ntdocdef/mattdef.php.
10. Irenaeus, Against Heresies, 3.1.1.

المرجع السابق نفسه ٣,١٤,١.

11. Eusebius, Church History, 6.14.5–7.
12. Quintus Tertullian, Against Marcion, 4.5.
13. Eusebius, Church History, 6.25.6.
14. Irenaeus, Against Heresies, 3.1.1; 2.22.5; 3.3.4. See also Keith Thompson, "Who Wrote the Gospels?," Answering Islam: A Christian-Muslim Dialog, http://www.answering-islam.org /authors/thompson/gospel_authorship.htm.
15. Brent Nongbri, "The Use and Abuse of P52: Papyrological Pitfalls in the Dating of the Fourth Gospel," Harvard Theological Review 98, no. 1 (August 2, 2005): 23–48, http://journals.cambridge.org/action/displayAbstract?fromPage=online&aid=327943.
16. Daniel B. Wallace, "Daniel B. Wallace on the New Testament Documents," Apologetics 315 (blog), July 8, 2012, http://www.apologetics315.com/2012/07/daniel-b-wallace-on-new-testament.html.
17. Jona Lendering, "Alexander the Great: the 'good' sources," Livius.org, http://www.livius.org/aj-al/alexander/alexander_z1b.html.
18. Robin Seager, Tiberius (Malden, MA: Wiley-Blackwell, 2005),232–42.
١٩. المصدر المبكِّر الذي يُشار إليه كثيرًا هو ڤيليوس پاتركولوس (Velleius Paterculus)، والذي كان معاصرًا لطيباريوس، لكنَّ هناك قلقًا عامًّا بشأن كتاباته، ويتشكَّل القلق في انحيازه المتطرِّف.
20. John W. Wenham, Christ and the Bible (Grand Rapids: Baker, 1984), 187; Craig Bloomberg, Can We Still Believe the Bible?: An Evangelical Engagement with Contemporary Questions (Grand Rapids: Brazos Press, 2014), 27.
21. Craig S. Keener, Acts: An Exegetical Commentary (Grand Rapids: Baker, 2013), 3:289–94.

22. Mark D. Roberts, Can We Trust the Gospels?: Investigating the Reliability of Matthew, Mark, Luke, and John (Wheaton, IL: Crossway, 2007), 64.

٢٣. المرجع السابق نفسه، ١٥٧.

٢٤. المرجع السابق نفسه، ١٣٣.

25. Keener, Acts, 2:216.
26. Robin Schumacher, "The Gospel According to Bart Ehrman," Apologetics 315 (blog), July 8, 2013, http://www.apologetics315.com/2013/07/the-gospel-according-to-bart-ehrman.html.
27. Mark Shea, "Discrepancies in the Gospels," © 2007, Mark-Shea.com, http://www.mark-shea.com/ditg.html.
28. J. Warner Wallace, Cold Case Christianity (Colorado Springs: David C. Cook, 2013).
29. Craig Blomberg, Historical Reliability of the Gospels (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1987), 203–4.

٣٠. المرجع السابق نفسه، ٢٤٨.

الفصل الرابع: الصَّلْب: لماذا كان على يسوع أن يموت

١. كلمة "يد" (hand) اليونانيَّة المُستخدمة في الأناجيل تشملُ أيضًا الرسغ والساعد.

٢. التفاصيل الطبِّيَّة والتاريخيَّة الكاملة لموت يسوع موصوفةٌ في المقال التالي:

William D. Edwards, Wesley J. Gabel, and Floyd E. Hosmer, "On the Physical Death of Jesus Christ," JAMA 255, no. 11 (March 21, 1986): 1455–63.

3. Ann Gauger and Douglas Axe, Science of Human Origins (Seattle: Discovery Institute Press, 2012), 45–84.

٤. المرجع السابق نفسه ١٠٥-١٢٢.

٥. نجدُ الحُجَّة التفصيليَّة في كتاب المسيحيَّة المجرَّدة، للكاتب سي. أس. لِويس من منشورات أوفير للطباعة والنشر.

٦. لبحثٍ مفصَّل في هذا الموضوع، انظر Brian Dodd, The Problem with Paul (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1996); Craig S. Keener and Glenn Usry's أو Defending Black Faith: Answers to Tough Questions About African-American Christianity (Downers Grove, IL: InterVarsity Press, 1997).

الفصل الخامس: القيامة: الحدثُ الذي غيَّر كلَّ شيء

1. Gary R. Habermas, "My Pilgrimage from Atheism to Theism: An Exclusive Interview with Former British Atheist Professor Antony Flew." Available at http://www.deism.com/antony_flew_Deism_interview.pdf.
2. Karl Popper, The Logic of Scientific Discovery (New York: Routledge, 1959).
3. William Lane Craig and Sean McDowell, "Should Christians apologize for their

faith?," Fervr, February 24, 2013, http://fervr.net/bible/should-christians-apologize-for-their-faith.

4. N. T. Wright, The Resurrection of the Son of God: Christian Origins and the Question of God (Minneapolis: Fortress Press, 2003), 3:6.
5. Wolfhart Pannenberg, Jesus—God and Man (Philadelphia: Westminster Press, 1977), 109.
6. Joseph W. Bergeron and Gary R. Habermas, "The Resurrection of Jesus: A Clinical Review of Psychiatric Hypotheses for the Biblical Story of Easter," Irish Theological Quarterly 80, no. 2 (2015): 171; also see 157–72.
7. Matt Slick, "Jesus only appeared to have died on the cross—Swoon theory," CARM, https://carm.org/swoon-theory.
8. Lee Strobel, The Case for Easter: A Journalist Investigates the Evidence for the Resurrection, Kindle ed. (Grand Rapids: Zondervan, 2009), Kindle locations 279–,).
9. Bart Ehrman, How Jesus Became God (New York: HarperCollins, 2014), 164.

١٠. د. جورج وود في مقابلة شخصيَّة مع الكاتب، ٢٠ يونيو ٢٠١٥م، في جونو، ألاسكا.

11. Clement, Letter to the Corinthians 42.1–4.
12. Gary R. Habermas, "Video Debates and Lectures with Dr. Gary R. Habermas," http://garyhabermas.com/video/video.htm.

الفصل السادس: تبديدُ الأساطير: تفرُّد قصَّة يسوع

1. J. Ed Komoszewski, M. James Sawyer, Daniel B. Wallace, Reinventing Jesus: How Contemporary Skeptics Miss the Real Jesus and Mislead Popular Culture (Grand Rapids: Kregel, 2006), 237.

٢. لنقد أشمل، انظر James Patrick Holding, "Horus and Osiris vs Jesus," Tekton Apologetics, tektonics.org/copycat/osy.php.

3. Stephen J. Bedard, "Exposing the Spirit of the Age: A Response to the Zeitgeist Movie," The Poached Egg, April 9, 2013, www .thepoachedegg.net/the-poached-egg/2013/04/exposing-the-spirit-of-the-age-a-response-to-the-zeitgeist-movie.html.
4. Bart D. Ehrman, Did Jesus Exist?: The Historical Argument for Jesus of Nazareth (New York: HarperOne, 2012), 5.
5. Komoszewski, Reinventing Jesus, 234.

٦. المرجع السابق نفسه، ٣١٨.

7. Jonathan Z. Smith, "Dying and Rising Gods," Encyclopedia of Religion, 2nd ed. Lindsay Jones (Detroit: Macmillan, 2005 [original: 1987]), 4:2535.

٨. انظر أيضًا www.toughquestionsanswered.org/2012/10/08/what-are-the-parallels-between-jesus-and-the-divine-men-of-the-ancient-world-part-3/.

٩. مثلٌ تقليديٌّ هو Karen Armstrong, History of God: The 4000-Year Quest of Judaism, Christianity and Islam (New York: Random House, 1993).

10. James D. G. Dunn, A New Perspective on Jesus: What the Quest for the Historical Jesus Missed (Acadia Studies in Bible and Theology) (Grand Rapids: Baker, 2005), 44.

١١. المرجع السابق نفسه، ٥٠.

12. William Lane Craig, Reasonable Faith: Christian Truth and Apologetics (Wheaton, IL: Good News, 2008), 391.
13. Craig S. Keener, The Historical Jesus of the Gospels (Grand Rapids: Eerdmans, 2009), 333.
14. Ehrman, Did Jesus Exist?, 26.
15. Richard Carrier, On the Historicity of Jesus: Why We Might Have Reason for Doubt (Sheffield, UK: Sheffield Phoenix Press, 2014).

١٦. مأخوذ عن Alan Anderson, "The Alleged Parallels Between Jesus and Pagan Gods," Examiner.com, July 29, 2012, http://www.examiner.com/article/the-alleged-parallels-between-jesus-and-pagan-gods.

17. Michael J. Wilkins, Jesus Under Fire: Modern Scholarship Reinvents the Historical Jesus (Grand Rapids: Zondervan, 1995), 138.
18. Fitzedward Hall, trans. Vishnu Purán: A System of Hindu Mythology and Tradition (Amazon: Ulan Press, 2012), 4:294, https://archive.org.
19. Prayson Daniel, "Refuting Krishna Myth Parallelism to Christianity," With All I Am, April 26, 2011, https://
20. withalliamgod.wordpress.com/2011/04/26/refuting-krishna-myth-parallelism-to-christianity
21. William Joseph Wilkins, Hindu Mythology, Vedic and Puranic (Boston: Elibron, 2005), 217–18.
22. Benjamin Walker, The Hindu World: An Encyclopedic Survey of Hinduism (New York: Praeger, 1983), 1:240–41.
23. Jack Finegan, Myth and Mystery: An Introduction to the Pagan Religions of the Biblical World (Grand Rapids: Baker, 1989), 203–7.
24. Ronald Nash, The Gospel and the Greeks: Did the New Testament Borrow from Pagan Thought? (Phillipsburg, NJ: P&R, 2003), 137.
25. Gary Lease, "Mithraism and Christianity: Borrowings and Transformations," in Wolfgan Haase, ed., Aufsteig und Niedergang der Romischen Welt (Germany: Walter de Gruyter, 1972), 2:1316.
26. Komoszewski, Reinventing Jesus, 226.
27. Ronald Nash, "Was the New Testament Influenced by Pagan Religions?," Christian Research Journal (Winter 1994): 8.
28. Ehrman, Did Jesus Exist?, 25.

٢٩. لم يدَّعِ المسيحيُّون الأوائل قَطُّ أنَّ يسوع وُلِد في ٢٥ كانون الأوَّل/ديسمبر.

٣٠. لمعالجة أشملَ للردِّ على مثل هذه التوازيات الوثنيَّة، انظر Gregory A. Boyd, The Jesus Legend: A Case for the Historical Reliability of the Synoptic Jesus Tradition (Grand Rapids: Baker, 2007).

الفصل السابع: يسوع المسيح المنتظر: ابن الإنسان، ابن الله

١. محادثة هاتفيَّة بين الكاتب ود. "ستيفن ماير" (Stephen Meyer) في ١٥ يونيو ٢٠١٥.

2. Richard Dawkins, River Out of Eden: A Darwinian View of Life (London: Orion, 2004), 133.
3. Sam Harris, Free Will (New York: Simon & Schuster, 2012), 5.
4. Marvin Olasky and John Perry, Monkey Business: The True Story of the Scopes Trial (Nashville: Broadman, 2005), 160; http://historicalthinkingmatters.org/scopestrial/1/sources/48/fulltext/.
5. Craig S. Keener, The Historical Jesus of the Gospels (Grand Rapids: Eerdmans, 2012), 257.
6. William Lane Craig, On Guard: Defending Your Faith with Reason and Precision (Colorado Springs: David C. Cook, 2010), 199.
7. John Weldon, John Ankerberg, and Walter G. Kaiser, The Case for Jesus the Messiah (Bellingham, WA: TRI, 2011), 223.

٨. لمناقشة مستفيضة، انظر "Dr. Michael Brown Reveals the Real Messiah," AskDrBrown. org, http://realmessiah.askdrbrown.org.

9. Michael L. Brown, Answering Jewish Objections to Jesus: General and Historical Objections (Grand Rapids: Baker, 2000), 3:49–85.
10. Charles Spurgeon, "God with Us," Metropolitan Tabernacle, December 26, 1875, Spurgeon Gems, http://www.spurgeongems.org/vols19-21/chs1270.pdf.

١١. هناك جدلٌ واسعٌ بشأن الحساب الدقيق لظهور المسيَّا، غير أنَّ هناك اتِّفاقًا على أنَّ الوقتَ المتوقَّعَ يقع ضمنَ الفترة الزمنيَّة العامَّة لخدمة يسوع.

12. Craig, On Guard, 195.

١٣. لمناقشة مستفيضة، انظر:

Richard Bauckham, God Crucified: Monotheism and Christology in the New Testament (Grand Rapids: Eerdmans, 1999); و Larry W. Hurtado, Lord Jesus Christ: Devotion to Jesus in Earliest Christianity (Grand Rapids: Eerdmans, 2000).

١٤. قد تكونُ الفكرةُ مأخوذةً عن:

"He Is," words and music by Jeoffrey Benward and Jeff Silvey. © 1994 Birdwing Music, ASCAP/Shepherd's Fold Music (BMI). All rights reserved.

15. David Limbaugh, The Emmaus Code: Finding Jesus in the Old Testament (Regnery Publishing, 2015); Kindle version: Location 380–383).

الفصل الثامن: المعجزات: برهانٌ ما هو فائقٌ للطبيعة

1. Hwa Yung, in Craig S. Keener, Miracles: The Credibility of the New Testament (Grand Rapids: Baker, 2011), 264.
2. Craig S. Keener, Miracles: The Credibility of the New Testament (Grand Rapids: Baker, 2011), 264.
3. Rice Broocks, God's Not Dead (Nashville: W Publishing, 2013), chaps. 4 and 5.

4. John Lennox, Miracles: Is Belief in the Supernatural Irrational? (Amazon Digital Services, 2013), Kindle location 354–57.
5. Bart D. Ehrman, Jesus: Apocalyptic Prophet of the New Millennium (Oxford: Oxford University Press, 1999), 197–200.
6. Gerd Theissen and Annette Merz, Historical Jesus: A Comprehensive Guide (Minneapolis: Augsburg Fortress, 1996), 290.
7. Josephus, Antiquities of the Jews, 18.63–64.
8. Marcus Borg, Jesus, A New Vision: Spirit, Culture, and the Life of Discipleship (San Francisco: HarperCollins, 1987), 61.
9. Irenaeus, Against Heresies, 2.31.2–4.
10. Athanasius, Letters (AD 354), 49.9.
11. William Lane Craig, "The Problem of Miracles: A Historical and Philosophical Perspective," www.reasonablefaith.org/the-problem-of-miracles-a-historical-and-philosophical-perspective.
12. Keener, Miracles, 155.
13. C. G. Brown, "Study of the Therapeutic Effects of Proximal Intercessory Prayer (STEPP) on Auditory and Visual Impairments in Rural Mozambique," Southern Medical Journal 103, no. 9 (September 2010), http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed/20686441.

١٤. من أجل أوصاف لدراسات مشابهة وردود على النُّقَّاد، انظر:

Candy Gunther Brow, Testing Prayer: Science and Healing (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2012).

15. Blaise Pascal, Pensées—Enhanced Version (Grand Rapids: Christian Classics Ethereal Library, 2009), 128.
16. Keener, Miracles, 532.

١٧. المرجع السابق نفسه، صفحة ٥٧٠.

Richard Casdorph, The Miracles: A Medical Doctor Says Yes to Miracles! (New York: Logos International, 1976).

١٨. يمكن أن تجدَ تلخيصاتٍ للشفاءات في:

Is There a God?, "Ten Healing Miracles," http://is-there-a-god.info/life/tenhealings.shtml.

19. Gary R. Habermas, The Risen Jesus & Future Hope (Washington, DC: Rowman & Littlefield, 2003), 61.

الفصل التاسع: تبعيَّةُ يسوع: تلبيةُ الدعوة إلى التلمذة

1. Joey Bonifacio, The LEGO Principle: The Power of Connecting to God and One Another (Lake Mary, FL: Charisma House, 2012), 100.
2. "Daily News on Wars in the World and on New States," http://www.warsintheworld.com, accessed November 12, 2015.
3. Deborah Alcock, Lessons on Early Church History (London: Church of England Sunday School Institute, 1879), 56.
4. Bob Beltz, Real Christianity (Ventura, CA: Regal, 2006), 184–5.

5. Dietrich Bonhoeffer, The Cost of Discipleship (New York: SCM Press, 1959), 33.
6. Steve Murrell, WikiChurch: Making Discipleship Engaging, Empowering, and Viral (Lake Mary, FL: Charisma House, 2011), 90.

٧. المرجع السابق نفسه.

8. Charles Spurgeon, "Faith and Repentance Inseparable," Metropolitan Tabernacle, July 13, 1862, The Spurgeon Archive, http://www.spurgeon.org/sermons/0460.htm.
9. Rice Broocks and Steve Murrell, The Purple Book: Biblical Foundations for Building Strong Disciples (Grand Rapids: Zondervan, 2009), 10.
10. Murrell, WikiChurch, 130.

١١. في محادثة تليفونيَّة بين الكاتب وديل إفريست (Dale Evrist) في ٢٠ حَزيران/يونيو ٢٠١٥م.

12. Murrell, WikiChurch, 155–6.
13. Bonifacio, The LEGO Principle, 202.
14. Murrell, WikiChurch, 7.

الفصل العاشر: المدافعون عن الإيمان: مستعدُّون لمشاركة الإنجيل

15. Bob Beltz, Real Christianity (Ventura, CA: Regal, 2006), 20.

١٦. مقابلة شخصيَّة للمؤلِّف مع فيردي كابيليغ (Ferdie Cabiling) في مانيلا، الفيلبِّين، في ١٠ آب/أغسطس ٢٠١٥م.

١٧. مقابلة شخصيَّة للمؤلِّف مع د. شون ماكدويل (Sean McDowell)في ٢٧ أيّار/مايو ٢٠١٥م:

18. Apologetic Leadership Group gathering, Biola University, La Mirada, California.

١٩. للمزيد من المعلومات، انظر: "The God Test," http://www.thegodtest.org

٢٠. محادثة تليفونيَّة للمؤلِّف مع فرانس أوليفيي (Frans Olivier) في ١٤ حَزيران/يونيو ٢٠١٥م.

٢١. محادثة تليفونيَّة للمؤلِّف مع پيتر دوشَن (Peter Dusan) في ١٥ حَزيران/يونيو و١٢ تشرين الأوَّل/أكتوبر ٢٠١٥م.

خاتمة: بما لا يدعُ مجالًا للشكّ

1. Saint Augustine; Henry Chadwick, trans. The Confessions (Oxford: Oxford University Press, 1991), 93.

٢. المرجع السابق نفسه، صفحة ٩٥.

٣. المرجع السابق نفسه، صفحة ٩٦.

4. John Wesley, The Journal of John Wesley (Grand Rapids: Christian Classics Ethereal Library, 2009), Kindle Locations 757–61.

٥. المرجع السابق نفسه: Kindle Locations 812–19.

٦. المرجع السابق نفسه: Kindle Locations 938–43.

لمحة عن المؤلِّف

رايس بروكس

مؤسِّس مشارك لكنائس "إڤري نيشن" (Every Nation)، التي تضمُّ كنائسَ وخدمات جامعيَّة في أكثر من سبعين أمَّة، وهو أيضًا الخادم المسؤول لكنيسة "بيت إيل" (Bethel World Outreach) في ناشڤيل (Nashville)، تَنيسي، وهي كنيسة متعدِّدة الأعراق، ولها أماكن مختلفة.

تخرَّج رايس في جامعة ولاية ميسيسيپي، ويحمل درجة الماجستير من كلِّيَّة اللاهوت المُصلح (Reformed Theological Seminary) في جاكسون، ميسيسپي، والدكتوراه في الإرساليَّات من كلِّيَّة لاهوت فولر (Fuller Theological Seminary)، في باسادينا، كاليفورنيا.

ألَّف رايس العديدَ من الكتب، مثل "**الله ليس ميتًّا**" و "**الكتاب الأرجوانيُّ: أساساتٌ كتابيَّة لبناء تلاميذ أقوياء**" *(The Purple Book: Biblical Foundations for Building Strong Disciples)* و"**كلُّ أمَّة في جيلنا**" *(Every Nation in Our Generation)*.

رايس بروكس

هو مؤسِّس مشارك لكنائس "إفري نيشن" (Every Nation)، والتي تضمُّ كنائسَ وخدمات جامعيَّة في أكثر من سبعين أمَّة، وهو أيضًا الخادم المسؤول عن كنيسة "بيت إيل" (Bethel World Outreach) في ناشڤيل (Nashville)، تَنيسي، وهي كنيسة متعدِّدة الأعراق، ولها أماكن مختلفة.

تخرَّج رايس في جامعة ولاية ميسيسيبي، ويحمل درجة الماجستير من كلِّيَّة اللاهوت المُصلح (Reformed Theological Seminary) في جاكسون، ميسيسيبي، والدكتوراه في الإرساليَّات من كلِّيَّة لاهوت فولر (Fuller Theological Seminary)، في باسادينا، كاليفورنيا.

ألَّف رايس العديدَ من الكتب، مثل "الله ليس ميتًا" (*God's Not Dead*) و"الكتاب الأرجوانيُّ: أساساتٌ كتابيَّة لبناء تلاميذ أقوياء" (*The Purple Book: Biblical Foundations for Building Strong Disciples*) و"كلُّ أمَّة في جيلنا" (*Every Nation in Our Generation*).

الإجابةُ عن السؤال حول حقيقة يسوع

هل كان مجرَّد إنسان أم أسطورة أم المسيح المُنتظر؟

- هل هو شخصيَّة حقيقيَّة عاشت في التاريخ؟
- هل هناك برهانٌ أنَّه عاش بالفعل، وقالَ ما قاله، وفعل الأمورَ التي يسجِّلُها الإنجيل؟
- ما مدى صحَّة الادِّعاءاتِ القائلةِ إنَّ قصَّةَ يسوع ليستْ سوى أسطورةٍ مجمَّعةٍ من الثقافات الوثنيَّة في العالم القديم؟
- هل هو أحد الأنبياء أم أكثر من ذلك؟

يبحث هذا الكتاب في برهانِ يسوع التاريخيِّ، كاشفًا مفاهيمَ المتشكِّكين المنادين بأنَّ يسوعَ شخصيَّةٌ مختلَقةٌ من الميثولوجيا القديمة. ويُرسِّخ أيضًا هذا الكتابُ موثوقيَّة الإنجيل بوصفه برهانًا على قيامةِ يسوعَ المسيحِ، والذي بدَورِه يُبرهِنُ هُويَّةَ يسوعَ، المسيحِ الموعود.

هذا الكتابُ مناسبٌ للطُّلَّاب وللعُلماء وللمهتمِّين على حدٍّ سواء؛ حيث يُقدِّم البرهانَ بأسلوبٍ سلسٍ يسهُلُ تذكُّرُه، كما أنَّه كتابٌ يعزِّزُ إيمانَنا، وهو قادرٌ أيضًا على تغيير منظورِنا وطريقةِ تفكيرنا.

١٠٠٩٠٠

ISBN 978-90-5950-247-5
رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢/٨٠٨

www.ophir.com.jo
@ophirpub
ophirpub
أوفير
ophir